

إخفاء علوم الدين

للإمام الفخر الرازي

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متوالياً ، وإن كان يتضاءل دون حلى جلاله حمد الحامدين ، وأصلى وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسولين ، وأستخيرهُ تعالى ثالثاً فيما أبحث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تمجيك رابعا ، أيها العاذل التعالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين ، للسرف فى التفريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقى عهد السكلام وقلادة النطق ما أنت مشار عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصره الباطل وتحسين الجهل والتشبيب على من آثر الزرع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأسا من تمام التلاقي والجبر وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى إحياء علوم الدين فأبنت بعد اضمحلالها ، وأعيا فهوم الملحد من دركها فرجعت بكلالها ، أحمدته وأستكين له من مظالم أنهضت الظهور بأثقالها ، وأعبدته وأستعين به لعصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها ، واقية من حلول الدرجات وأهوالها ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها ، وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين فى سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عنى علمه ثم شرعت فى تبييضه فى مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ فى إكمال كاله غير متمرض لتركه وإعماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة فى إكمالها فأجبت وبادرت إليه ولكنى اختصرته فى غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله فى الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث ومحاياه ومخرجه وبيان محته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند للذاكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل فى كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مستول .

فان كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته الى من خرج من بقية السنة وحيث كان فى أحد السنة لم أعزّه إلى غيرها إلا لفرض صحيح بأن يكون فى كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق

لنشر المحاسن وطبها

فى أحسن كتاب

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلاة والسلام

على سيدنا محمد الذى

أحيا بأحياء شريته

وطريقته قلوب ذوى

الأبواب وعلى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرق شمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

الموهوب الى إسعاف

ملازمى مطالعته

ومحبته بالمطلوب .

وبعد : فان الكتاب

العظيم الشأن السمي

بإحياء علوم الدين

المشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

العاملين وأهل طريق

الله السالكين المشايخ

العارفين للنسب إلى

الامام الغزالي رضى

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه (١) » ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجسم الفغير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلك طريق الآخرة مع كثرة الفوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا الترميمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى المروف منكراً والنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندروماً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه قهها وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين ولما وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء للعلوم الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناهج العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهاسكات ، وربع المنجيات . وصدرت الحملة بكتاب العلم لأنه غاية اللهم لا كشف أولاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم (٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع (٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شاة كلة الصواب ، وانخداعهم بالامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب .

الترم مخرجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وبما ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لنرض أو لدهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهت على أنه قد تقدم وربما لم أنه على تقدمه لدهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما ينفي عنه غالباً وربما لم أذكره . وسميته :

المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة إلى التعميم المقيم .

أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فريضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بأسناد حسن .

الاسلام حسنة الدهور
والأعوام تاج المجتهدين
سراج التهجدين
مقتدى الأئمة مبين
الحل والحرمة زين الملة
والدين الذي باهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
النفع جليل المقصد
ليس له نظير في بابيه ولم
ينسج على منواله ولا
سمحت قريحته بمثاله
مشمعاً على الشريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن العوامض
الخفية مبيناً للأسرار
الدقيقة رأيت أن أضع
رسالة تكون كالعنوان
والدلالة على صبابة
من فضله وشرفه
ورشحة من فضله
جامعه ومصنفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة في عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
المدائح والثناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب
كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب
أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب
الأذكار والدعوات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العادات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام السكسب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب
آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع
والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب الميعة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة
الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب ذم الدنيا ، وكتاب
ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع النجيات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد
والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة
والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر الموت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع
عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات . وأما ربيع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات
الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين .
وأما ربيع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإمباطه وتزكية النفس عنه وتطهير
القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد
ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص .
كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع النجيات فأذكر فيه كل خلق محمود
وخصلة مرغوب فيها من خصال القربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر
في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجلب وتثمرها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في
بعض هذه المعاني كتباً ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : الأول : حل ما عقده وكشف
ما أجملوه . الثاني : ترتيب ما بدوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه . الرابع :
حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنفهام لم يتعرض لها
في الكتب أصلاً إذاً الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين
بالتنبيه لأمر يخصه وينقل عنه رقاً أو لا ينقل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراد في الكتب
أولاً يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فلهذا خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً للجانبين
هذه العلوم . وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأصلي :
أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة
وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكار عليه والجواب
عما استشكل منه
وطعن بسببه فيه
والخاتمة في ترجمة
المصنف رضى الله عنه
وسبب رجوعه إلى هذه
الطريقة .

(المقدمة في عنوان
الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة
التي يتقرب بها إلى الله
تعالى تنقسم إلى ظاهرة
وباطنة والظاهرة
فهيان معاملة بين العبد
وبين الله تعالى ومعاملة
بين العبد وبين الخلق .
والباطنة أيضاً فهيان
ما يجب تزكية القلب
عنه من الصفات
المذمومة وما يجب تحلية
القلب به من الصفات
المحمودة وقد بينى الامام
الغزالي رحمه الله كتابه
إحياء علوم الدين على
هذه الأربعة الأقسام
قال في خطبته : ولقد
أسسته على أربعة أرباع
ربيع العبادات وربيع
العبادات وربيع المهلكات
وربيع النجيات فأما
ربيع العبادات فيشتمل
على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والقصود من هذا الكتاب علم العاملة فقط دون علم الكاشفة التي لارخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم العاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم الكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فلهم سبيل إلى المدول عن نهج التأسي والاقتداء . ثم إن علم العاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم للمكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتعليق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتعليق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم العاملة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى التدرج به إلى البهامة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع وللتزوي بزى المحبوب محبوب فلم أبعاد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تالطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم ومما تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى الطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التالطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فتمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبا الأباد فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

الكتاب في علم العاملة وفيه سبعة أبواب (الأول)

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العيين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حشد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : فيما تعدد العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس : في آداب المعلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به - تنبها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد
العقائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلاة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأذكار
والدعوات كتاب
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصحة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر كتاب
آداب السماع والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربع الهلكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
عجائب القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشهوتين : البطن
والفرج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال تعالى - ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله . وقيل في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وريشا - يعني اليقين - ولباس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم - وقال تعالى - فلنقصن عليهم بعلم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء »^(٢) ومعلوم أنه لارتبة فوق النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض »^(٣) وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع الملوك حتى يدرك مدارك الملوك »^(٤) وقد نبه هذا على ثمراته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمع وقفه في الدين »^(٥) ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض قهواء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برى بها من النفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتسب إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل »^(٨) . وقال صلى الله عليه وسلم « لموت قبيلة أيسر من موت عالم »^(٩) وقال عليه الصلاة والسلام « الناس معادن كعادن الذهب والفضة يخارم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء »^(١١) .

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما في السموات والأرض هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد الغني الأزدي في آداب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان عريان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٩) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء وأصل الحديث عند أبي الدرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف

الغضب والحقد والحسد
كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل
كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الفرور . وأما
ربيع النجيات فيشتمل
على عشرة كتب
كتاب التوبة كتاب
الصبر والشكر كتاب
الخوف والرجاء كتاب
الفقر والزهد كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب النية
والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة
كتاب التفكير كتاب
ذكر الموت . ثم قال
رحمه الله : فأما ربيع
العبادات فأذكر فيه
من خفايا آدابها
ودقائق سننها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها لئلا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطلع عليها وأكثر ذلك
عما أهمل في الفقهيات .
وأما ربيع العادات
فأذكر فيه أسرار
العاملات الجارية بين
الخلق ودقائق سننها

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة قتيلاً طاماً » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهله ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل حليم » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (٨) فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولا لم يكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (١٠) فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى شيء أفضل من فقهه في الدين وفقهه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه » (١١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه » (١٢) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة » (١٣) وقال

وخفايا الورع في مجاريها وهي عمال يستغنى المتدين عنها . وأما ربيع للهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر في كل واحد من هذه الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق للعالجة التي منها يتخلص كل ذلك مقروناً بشواهد

(١) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة قتيلاً طاماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي بأسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل حليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له بأسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة بأسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بأسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله شيء أفضل من فقهه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع بأسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

من الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع للنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال القربين والصديقين التي يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجلب وتغرب التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع

والفعل

(المقصد في فضل الكتاب الشار إليه وبعض اللدائع والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطمع بسببه فيه) اعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فيها علت بتأليف وهي جديرة بالتصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر الممانى ثم لم يرض إلا بكبارها وجمال في بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها وسما إلى سماء الممانى فلم يصطف من كواكبها إلا السبابة وجللت عليه عرائس أسرار الممانى فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسمى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحتم في زمن كثير قهأؤه قليل قراؤه وخطبأؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل قهأؤه كثير خطبأؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حشر الجواد المضر سبعين سنة (٢) » وقيل يارسول الله : أى الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » فقيل أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » فقيل له نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا مبشر العلماء إنى لم أضع على فيكم إلا العلم بكم ولم أضع على فيكم لأعذبكم بكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » نسال الله حسن الخاتمة . وأما الآثار فقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكيل يا كيل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تهرس للمال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق . وقال على أيضا رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذامات العالم تلم في الاسلام ثمة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نظما :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقر بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه . وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يحمل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فان أخس العاصير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال تميم الموصلي رحمه الله أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياتاه كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط

ابن عدى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير قهأؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبى موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الأمن من خوفه والفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف فتعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورثته موت رواته فوالله نفسي يده ليودن رجل قتلوا في سبيل الله شهداء أن يعظم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض إله أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتضي قال الأشياء التي إذا هزقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجأما اتخذها الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فخرج ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن الله سبحانه رداء يحب من طلب بابا من العلم رداء الله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استغفبه ثلاث مرات ثلاثا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذلك مصيره وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترف فأحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير الدين زائرا فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي العزاق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا . وحكي ذلك في وصايا إسماعيل لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره . وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى - غاؤلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تعدوا فضل العلم خير من أن تصلي مائة ركعة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « باب من العلم تعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو باليمين (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تعدوا فضل العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم تعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ندر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو باليمين ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث أنس وقال البيهقي متنه مشهور وأسانيده ضعيفة .

فشكر الله له ذلك
المسمى فله دره من عالم
محقق مجيد وإمام جامع
لشتات الفضائل محرر
فريد لقد أبدع فيها
أودع حكاياه من
القوائد الشوارد وقد
أغرب فيها أعرب فيه
من الأمثلة والشواهد
وقد أجاد فيها أفاد فيه
وأمل يدأته في العلوم
صاحب القدر المعلى
إذ كان رضي الله عنه
من أسرار العلوم بمحل
لا يدرك وأين مثله
وأصله أصله وفضله فضله:
هيئات لا يأتى الزمان
بمثله

إن الزمان بمثله لشحيح
وما عسيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشتات
الفضائل وأخذ برقاب
الحامد واستولى على
غايات المناقب فشجرت
في فواردة العلم والعمل
والعلا والفهم والدكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضي الله عنه ذا الصدر
الرحيب والقرينة
الثابتة والبراية الصافية

وقال عليه الصلاة والسلام « العلم خزان مفاتيحها السؤال ألا فاسألوه فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والستمع والمحب لهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٢) » وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا بالعلم (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام « من جاء الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة (٤) » . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فبرزت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأصرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء إنني لأرحم رجلا كرحمتي لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فهلك . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بمجاهد فقد نقص في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليديننه للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى - وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فإنه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه (٥) » وقال تعالى - ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - وقال تعالى - ويعلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها (٦) »

(١) حديث العلم خزان مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث طي مرفوعا بإسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاء الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة التلمذ من حديث الحسن قيل هو ابن طي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرسل (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم الغيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله عليه أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمنى سئل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد للصنفين وذكر اليافعي أيضا أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن طي بن حرزهم الفقيه المشهور القزويني كان بالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها في الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً » (١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للمعابد والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٢) وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالاً إن شئتم أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلماً أو متعلماً » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما يشتت معلماً » ثم عدل إليهم وجلس معهم (١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقاً رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للمعابد والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا يترزع العلم انتزاعاً من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث من علم علماً فكتمه ألجمه يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكماء تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن النكدر مرسلاً نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلاً نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكماء يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فلما أقبل ابن حزم قال الغزالي هـنا خضمي يا رسول الله فإن كان الأمر كما زعمت تبث إلى الله وإن كان شيئاً حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذ لي حق من خصمي ثم ناول النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء فتصفحه النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بشتك بالحق إنه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المقرى فجرد وضرب فلما ضرب حمة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يا رسول الله لله ظنّ خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الفيت السكندر أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والمشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ^(١) » اهـ فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلاً للنافع والثالث للمحروم منهما . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به^(٢) » الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الخير^(٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله^(٥) » . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فكثرت لاسأله إنسان فقالوا كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا البلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حدة البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آباءهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يجمل وتعلم ممن يعلم ما يجمل فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيت أيضاً رفوعاً « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدي بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حق حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها^(٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لاحسد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلفائي رحمة الله الحديث ابن عبد البر في العلم والهروى في ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرصلاً وابن السني وأبي نعيم في رياضة التلمين من حديث علي بن عوف (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي .

فأخطأ في ظنه فرضي
الامام الغزالي وقبل
شفاعة الصديق ثم
استيقظ ابن حزم
وأثر السباط في ظهره
وأعلم أصحابه وتاب إلى
الله عن إنكاره على
الامام الغزالي واستغفر
ولكنه بقي مدة طويلة
متألاً من أثر السباط
وهو يتضرع إلى الله
تعالى ويتشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن رأى النبي
صلى الله عليه وسلم
دخل عليه ومسح
بيده الكريمة على
ظهره فعوفي وشفي باذن
الله تعالى ثم لازم مطالعة
إحياء علوم الدين ففتح
الله عليه فيه ونال
المعرفة بالله وصار من
أكابر المشايخ أهل
العلم الباطن والظاهر
رحمه الله تعالى . قال
اليافعي رويانا ذلك
بالأسانيد الصحيحة
فأخبرني بذلك ولي الله
عن ولي الله عن ولي
الله عن ولي الله الشيخ
الكبير القطب شهاب
الدين أحمد بن الليق

الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به بطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يعبد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وتفاضله ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بزيادة يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها هو كال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وتقصان في العنى وليست من الكمال في شيء والحيوان مطلوب للمعاش وصفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدرامم والدنانير فانهما حيران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصياء بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوب لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العلم إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد صرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والاتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم محبوبة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتفاوت لأعمالها فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعليم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة للآخرة هي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن أخذها آلة ومنزلا لمن يشخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمعلم والحيا كدهى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالله ياقوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله أبي العباس
المرسي عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان ماضيا لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
ولقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الامام
الفقيه الصوفي سعد بن
طى بن أبي هريرة
الاسفرايني يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحدي
زين القراء جمال
الحرم أبا الفتح الشاوي
بمكة الشرفة يقول
دخلت المسجد الحرام
يوما فطرا على حال
وأخذني عن نفسي
فلم أقدر أن أقف
ولا أجلس لشدة ما بي

وهو للممكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب العيشة وضبطها الثاني ما هي مهنة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحداثة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلابة والنزل فانها تخدم الحياة باعداد عملها . الثالث ما هي متممة للأصول ومزينة كالطحن والحيز للزراعة وكالقصار والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جلته فانها ثلاثة أضرب إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالصدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من السكال فيمن يتكفل بها فلا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاهلها صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للمستقيم النجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تقتضى قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالانزاع والنوع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق الحمودة السعيدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الفريضة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المصل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكامل العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كإسباتي بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستتراب فيه فان نفعه وعمرنه سعادة الآخرة وأما شرف المصل فكيف يخفى والعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشتغل بتكليفه وتجليته وتطهيره ووسايقته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أحل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العام الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تفريرهم إلى الله زلني وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب الثاني . في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة)
بيان العلم الذي هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم ففروا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بقول التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله

فوقته على جنبي الأيمن
نجاه الكعبة العظيمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن نفسي
النوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في أكل
صورة وأحسن زى
من القميص والعامة
ورأيت الأئمة الشافعي
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يعرضون عليه مذاهبهم
واحدا بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقررهم عليها ثم جاء
شخص من رؤساء
المتدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته ففقدت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أغنى
إحياء علوم الدين
معتقدى ومعتقد أهل
السنة والجماعة فلو
أذنت لي حق أقرأه
عليك فأذن لي
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
سم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الأحاد دون الوقائع النادرة ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى المعلوم كلها وقال للتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييزه للملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومته . وقال أبو طالب السكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله (١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يستريب فيه ما سذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كلتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويمتدحه جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل (٢) » فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهماهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاتسكاك عنها وتلك الموارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يعتمد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإسكاف عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي للمسلم أن ينبهه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافقه فإن فعل ذلك نقل فعله أيضاً فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بنى الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث أكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهت إلى قول الغزالي وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فرأيت البشاشة في وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالي وإذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناولته يده الكريمة فأكب عليها الغزالي قبلها ويتركها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشد سروراً بقرابة أحد عليه مثل ما كان بقرابتي عليه الأحياء ثم اتبعت والده مع مجري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لهذه الآفة

وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من الساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال لما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لا بأس بالحرير أو جالساً في القصب أو ناظراً إلى غير ذي محرم فيجب تحريمه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه يصدد التمرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه . وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في الماني التي تبدل عليها كلها الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن يستقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعاً ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسامع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يمان في أوله بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا السلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر المدوالة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحمد فيلزمه أن يتعلم من علم ربيع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ^(١) » ولا ينفك عنها بشر وبقيّة ما سذكروه من مذمومات أحوال القلب كالسكر والمجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الأعيان وقد نكرها الناس كافة اشتغالا بما لا ينفع . ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتفل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فإذا انتهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجارى أحواله في يومه وليته لا يغلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجديد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النواذر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المرتف بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستبشاره
مقبلة الصغالى
وتقريرها نعمة من الله
عظيمة ومنه جسيمة
سأل الله تعالى أن
يمينا على سنته ويتوفانا
على ملته آمين .

(فصل) اثني على الأحياء
عالم من علماء الإسلام
وغير واحد من عارفي
الأفهام بل جمع أقطاب
وأفراد فقال فيه الحافظ
الإمام الفقيه أبو الفضل
العراقي في تحريجه إنه
من أجل كتب الإسلام
في معرفة الحلال
والحرام جمع فيه بين
ظواهر الأحكام ونزع
إلى سرائر دقت عن
الأفهام لم يقتصر فيه
على مجرد الفروع
والمسائل ولم يتبحر
في اللجة بحيث يتعذر
الرجوع إلى الساحل
بل مزج فيه على
الظاهر والباطن ومرج
مطابها في أحسن
للوطن وسبك فيه
نقائس اللفظ وضبطه
وسلك فيه من النمط
أوسطه مقتدياً بحول
على كرم الله وجهه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في الماملات وقسمة الوصايا والوراث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها خرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحجابة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله . وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتمعق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فلم السحر والطلسمات وعلم الشيعة والتليسات . وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا تسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي التصوذة بالبيان : فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتقسم إلى الحمودة والمذمومة . أما الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب : الضرب الأول الأصول : وهي أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والاجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأثر فإنه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بمانه بهذا الفن . الضرب الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبه لها العقول فأتبع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام « لا يقضى القاضي وهو غضبان »^(١) أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا وبحويه كتب الفقه والتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب . والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لم يكتب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضى القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

خير هذه الأمة الخط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم القالي إلى آخر ما ذكره مما الأولى بنا في هذا المحل طيه ثم الانتقال إلى نشر محاسن الأحياء ليظهر للمحب والبغض رشده وغيه . وقال عبيد القافر الفارسي في مثال الأحياء إنه من تصانيفه للشهيرة التي لم يسبق إليها . وقال فيه النووي كاد الأحياء أن يكون قرآنا . وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو عبت جميع العلوم لاستخرجت من الأحياء . وقال بعض علماء المالكية الناس في فضل علوم الغزالي أي والأحياء جماعها كما سيأتي أنه البحر المحيط . وكان السيد الجليل كبير الشأن تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العبدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه تقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطلع

« إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً ^(١) » ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنىء الكتابة ولكنه صار بحكم المعجز في الغالب ضروريا . الضرب الرابع التتمعات : وذلك في علم القرآن فانه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ونحارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالنفسير فان اعتمدا أيضا على النقل إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كعرفة النسخ والنسوخ والخاص والنسب والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما التتمعات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالمعدلة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل للسند وكذلك ما يتعلق بهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات . فان قلنا لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وهاذا الدنيا إذا للمعاد ليتناول ما يصلح للتردد فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الخصومات وتعطلت الفقه ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا في الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامة أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وبما لأصل له فهو دهم ولا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالقانون كما سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذا معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا بزيارة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج ثم سلوك الطريق إلى الحج شيء ثان وللقيام بالحراسة التي لا يتم إلا به شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وجبا وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى عنه « لا يغني الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف ^(٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم للفتون وللأمو نائبه والتكلف غيرها وهو الذي يتقلد تلك المهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات يدل التكلف للرأي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غ متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال . فان قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحا والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربيع العبادات من الصيام والصلاة فيما يشتمل عليه ربيع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ولا بن حبان والدارقطني والحاكم والبيهق وصححه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي والبخاري من حديث البراء وأ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يغني الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعادوه وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفاهيم غريبة غير التي قبلها ولم يسبقها أحد ولم يلحقه أحد أنى على كتاب الاحياء بما أنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضي الله عنه : عليكم بالإخواني بتابعة الكتاب والسنة أغنى الشريعة للشروحة في الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخر أظهارها وباطنها وفكرها واعتبارها واعتقادها وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد للصنفين وبقية
المجتهدين حجة الإسلام
الغزالي في كتابه العظيم
الشان للقلب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذي هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليكم
بإلزامة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطالعه
وعمل بما فيه قد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأنبيائه
وأوليائه وجمع بين
الشريعة والطريقة
والحقيقة في الدنيا
والآخرة وصار عالماً
في الملك والملكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزيز لو بحث الله للوحي
لما أوصوا الأحياء
إلا بما في الإحياء .
ومن كلامه اعلموا أن
مطالعة الأحياء تحضر
القلب القائل في لحظة
كتصور سواد الخبر
بوتسوع الزاج في
الفضى والماء وتأثير

فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر . أما
الإسلام فتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال « هلا
شقت عن قلبي » (١) « للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتدراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه
غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف بأن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تصمم رقبته وماله مادام له رقبته وماله وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصمو مني دماءهم وأموالهم » (٢) « جعل أثر
ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالوخاص في الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق لإعند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما
أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
واقطع به عنه القتل والتعزير فأما الحشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر
لا يترس له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبا يوسف
القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً للزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه
الله فقال ذلك من قهقهة وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرت في الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الضار . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية
الشهادة والقضايا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من
الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٣) وقال صلى
الله عليه وسلم « الاثم حزاز القلوب » (٤) . الثالثة ورع للتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه
أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به
بأس » (٥) « وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للؤدى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع
الصديقين وهو الاعتراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا يبنى الاثم

(١) حديث هلا شقت عن قلبي مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريك إلى ما لا يريك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث
الاثم حزاز القلوب البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العدي في مسنده موقوفاً
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من التقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذي وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدي .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصرت قلبك وإن أقنوك وإن أقنوك (١) والفقيه لا يتكلم في حرازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في المدالة فقط فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكانت تدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظاهر واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإعنا العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فان قلت لم سويت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة ألينة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للرضى وهم الأقلون . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه ينظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق الحمودة المتبعة في الآخرة والذموم يصدر من الذموم وليس يغنى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤها صفاء في المزاج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شره وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة . فان قلت فصل إلى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قبان : علم مكاشفة وعلم معاملة . فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الحاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينسكركه أنه لا يندوق منه شيئا وينشد على قوله :

وارض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والقربين أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكته من صفاته الذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجمة غير متضعة فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه تربيته للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين ملك الملك وملك الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة لهى الحيوان

كتب الغزالي واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفين بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالي ومحبة كتبه فان مكتب الإمام الغزالي لباب الكتاب والسنة ولباب المقول والنقول واقه وكيلى على ما أقول . ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلاية أن من طالع كتاب إحياء علوم الدين فهو من المهتدين ، ومن كلامه من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصا إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط . ومن كلامه اشهدوا على أن من وقع على كتاب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة . ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاها فعليه

(١) حديث استفت قلبك وإن أقنوك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل بالى كلامه فأمل .

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمراقبة الملا الأعلى ومقارنة اللائكة والنبين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى السكوكب الدرر في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بمدا تصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعدّه الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حدث معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر جميع بصير متكلم ففنى بعلم المكاشفة أن يرتفع العطاء حتى تضع له جلية الحق في هذه الأمور اتصافاً يجري مجرى البيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جواهر الإنسان لولا أن امرأة القلب قد تراكم صدوها وخبثها بتأذورات الدنيا وانما نغنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصفيل هذه المرأة عن هذه الحباث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويغاذى به شطر الحق يتلأأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنتم الله عليه بشئ منها إلا مع أهله وهو الشاركة فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحفي الذي أرادته صلى الله عليه وسلم بقوله «إن من العلم كهيئة السكون لا يلمسه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحمقوا طالما أتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه (١) . وأما القسم الثاني : وهو علم العاملة فهو علم أحوال القلب . أما ما يعمد منها فكالمسبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهو والتقوى والتقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ، لمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضيف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما ما يندم غفوف الفقر وسخط القدر والغل والحقد والحسد والنفس وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والفضب والألفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والحيلاء والتنافس واللباهة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا ينفع وحب كثرة الكلام والسلف والتزين للخلق والمداينة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحشية منه وعدة الانتصار للنفس إذا نالها القتل وضغف الانتصار للحق واتخاذ إخوانه اللانية على عداوة السر والأمن من معسكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والانتكال على الطاعة والمكر والحيلة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالخلقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والمجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومناكب الأعمال المحظورة . وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع

بمطالعة كتب الغزالي وخصوصاً البحر المحيط بإحياء أعجوبة الزمان ومن كلامه نطق معاني معنوى القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملازمة بل جميع سر حقائق الكائنات والمقولات وما يناسب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون أن لا شيء أرفع وأرفع وأبهى وأبهى وأبقى وأقرب إلى رضا الرب ككتابة الغزالي وعجبة كتبه وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة بل قلب العقول والنقول وأنفع يوم ينفع إسرافيل في الصور وفي يوم تقرر الناقدور والله وحكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا إلا متاع القرور ومن كلامه كتاب إحياء علوم الدين فيه

(١) حديث إن من العلم كهيئة السكون الحديث أبو عبد الرحمن السلي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

الطاعات والقربات فالعلم بمحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخر وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك للوك في الآخرة كما أُر للعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا يحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين الذي في إهماله هلاك في الآخرة ولو سأله عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجملات من التفريعات الدقيقة التي تقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتجج لم تخل البلد عن يمينها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلاً ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويضل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفتن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدم عليها كثيراً من فروض الكفايات فكّم من بلغة ليس فيها طيب إلا من أهل السنة ولا يجوز قبول شهادتها فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا ترى أحداً يشتغل به ويتأهون على علم الفقه لأسباب الخلافات والجذليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال مالا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات هيئات قد اندرس علم الدين بتلييس العلماء السوء فاقه تعالى للسمان وإليه للالاف أن يبيدنا من هذا الزور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي عبيان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما أخفناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما وكانا يسألان عن كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف تفعل إذا جاء ناس لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجملوه شوري بينهم (١) » ولذلك قيل لعلماء الظاهر زينة الأرض ولللك وعلماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيعي يوماً إذا قلت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على التكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أقبلع ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مدمومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها بالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة لمنسومة وهي من البدع كما سيأتي يانهو إما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل اللقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزديها الطباع وتجبها الأصماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكيفية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبت جماعة لفقوا لها عبها وربوا فيها

(١) حديث قيل له كيف تفعل إذا جاء أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبراني من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعه الجمهور .

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط للمستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه الثور . ومن كلامه السركه في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشرعية مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للشمس أحمدة الزمان . ومن كلامه بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو حكمته أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصاً إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي والدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله العبدروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان جمعت كلام الشيخ

عبد الله في الغزالي وصيته [الجوهر التالي] خصوصاً من كلام الشيخ عبد الله في الغزالي فلم يتيسر له وأرجو أن يوفقني الله لذلك تحقيقاً لرجائه ورجاء أن يتناولني دعاء الشيخ عبد الله رضي الله عنه فإنه قال غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي وناهيك بيشارة في هذه العبارة السقي برزت من ولي عارف وقطب مكاشف لا يحازف في مقال ولا ينطق إلا عن حال وفي هذا من الشرف للغزالي وكتبه مالا يحتاج معه إلى مزيد - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - فان العظيم لا يظم في عينه إلا عظيم ولا يصف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل وإذا تصدى العبدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف

كلأما مؤلفاً فصار ذلك المذمور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به للبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سند كره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كاسبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لئلا يهتما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث الالهييات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات للبتدعة وإنما حدث ذلك بمحدث البدع كحدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرة في طريق الحج بمحدث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك للبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والتكلم إذا تجرد للمناظرة والدفاع ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامي بصناعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم للكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه وما نفعاً عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - فان قلت قد رددت حد للتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش للبتدعة كما أن حد البذرة حراسة أئمة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة الشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلو مناصبهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلوم الآخرة وسلك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا أقوى

ولا كلام ولكن شيء وقر في صدره (١) كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصه في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر للكون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس على تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أتى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في أحد من صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما من أهل ذلك إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم قيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل لما بالاه لا تعرض على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك إن للجمهور من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عندنا شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفضاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو للهالك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وقواه وذو عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بملهم ولأرادتهم وجه الله سبحانه يفتوهم ونظرهم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل علم علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لأمه حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم الكاشفة وعمل مجرد وهو كمد السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أنتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عماله الله تعالى أو حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد المجرد للاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئا محمى به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أناس نقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين اتحلوا مذاهبهم ظلموم وأنهم من أشد خصائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهده من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخر كما سيأتى بيانه في باب علامات علماء الآخرة فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقايين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذى الحكيم النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الأحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته قراء عليه مدة حياته خمس وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فحتمه عليه أيضا خمس وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبوبكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الإحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم متحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وقبها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء المصر من جعلتها على خصلة واحدة وهي التيسير والبساطة في تفاريع الفقه لأن الحصول الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمرها لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهبات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحصول الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة . أما الامام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ماروي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحو ما من ثلث الليل لما رأته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت لثانة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تموز فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل القطنة ويحلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعب تقليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت قليل له ألا تحبب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل في سكوتي أوفي جوابي فانظر في مراقبته للسان مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا ليل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال نزهوا أئمتكم عن استماع الحنا كما تنزهون السننكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمى أهل العلم بنور علمهم . وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها . وخرج من الحمام مرة فأعطى الحماني مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان إليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فغشى على الشافعي فقيل له قد مات فقال إن مات
 فقد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً تذاكر
 العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه
 خرجت أنا وهو والحرث بن ليبد إلى الصفا وكان الحرث تلميذاً لصالح اللى فالتصق بقراً وكان حسن
 الصوت ققرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فرأيت الشافعي
 رحمه الله وقد تغير لونه واقتصر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول
 أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك
 رقاب المشتاقين إلهي هب لي جودك وجللى بسترى واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى
 وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقامت على الشط أنوضاً للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي
 يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت
 في وضوئي وجعلت أقفوا أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئاً
 فقال لي أعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قوت
 عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد
 استكمل الإيمان من أمر بللمعروف واتمى عن المنكر واتمى وحافظ على حدود الله تعالى
 ألا أزيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع
 الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
 ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما غشى الله
 من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر
 كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة
 فيهما . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه . روى أنه سئل عن
 الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عمدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
 اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك العجب
 فانظر رضا من تطلب وفي أي ثواب ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء
 تذكر فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
 الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضى الله عنه من لم يرض نفسه لم ينفعه
 عمله . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره . وقال مامن أحد إلا له عيب ومبغض فإذا
 كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً
 ورعاً وكان يسأل الشافعي رضى الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
 للشافعي يوماً يا أبا الفضل الصبر أو المحنة أو التمكن فقال الشافعي رحمه الله التمكن درجة الأنبياء ولا يكون
 التمكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر وإذا صبرمكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
 ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته وامتحن سليمان عليه
 السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً والتمكن أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف
 في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكنته قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
 الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين
 إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون
 الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالماً فانه قيل

وسر نفس مصنفه
 وحسن قصده والمراد
 بالكافر هنا فيما يظهر
 الجاهل بصوب النفس
 المحجوب عن إدراك
 الحق أى فبمجرد
 مطالعته للكتاب
 للذكور يشرح الله
 صدره وينور قلبه
 وذلك لأن الوعظ إذا
 صدر عن قلب متعظ
 كان حرياً أن يتعظ به
 سامعه وكأن الله تعالى
 جعل لعباده الدين
 لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون رتبة فوق
 غيرهم كذلك جعل
 لما يبرز منهم ويؤخذ
 عنهم بركة رائدة على
 غيره لأن السهم كريمة
 وأنوار قلوبهم عظيمة
 وهمهم عالية وإشاراتهم
 سنية حتى يكون للقرآن
 أثر عظيم عند صماغه
 منهم والأحاديث بهجة
 وجلالة زائدة إذا
 أخذت عنهم وللمواعظ
 منهم تأثير في القلوب
 ظاهر وعلومهم وقفهم
 أنوار ونفع متظاهر
 حتى تجدد الرجل له العلم
 القليل وبعد ذلك
 ينتفع به كثير لحسن
 نيته ووجود بركته

وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه في منزلته ومن تأمل ذلك وجد أنه أمراً ظاهراً معهوداً وشيئاً مجرباً موجوداً فانظر إلى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتبنيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهي أظهر وأشهر لأن العلم بيزيد التقوى وقوة سر الإيمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله في القلب قلت ونما أنشد الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله :

لجاليوس إنك تأمر للقاء الواحد بالأدوية الكثيرة المجهمة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتتمكن حديثه لأن الأفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة . وأما إرادته بالفقه والناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كملت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كملت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لسان أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والناظرة فانظر كيف تابيه الناس من جملة هذه الحاصل الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأي الرايون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوله وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائهم له قال له ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوله كل هذا الدعاء فقال أحمد يابني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدين وكالعافية للناس فانظر هل لهدن من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول ماس أحد بيده بحجرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله من وجل عليه من العلم ووقفه للسداد فيه ولتقصر على هذه النبتة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب قلناه من الكتاب الذي صنعه الشيخ نصر بن إبراهيم القدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين . وأما الإمام مالك رضي الله عنه فإنه كان أيضا متجليا بهذه الحاصل الخمس فإنه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمشي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث قليل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدل في الدين ليس شيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله إني شهدت مالكا وقد سئل عن عثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري ومن رد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمع نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد من على من مالك . وروى أن أبا جعفر النصور منعه من رواية الحديث في طلاق السكر ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضر به بالباطل ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخوص قال مالك رحمه الله

ينبغي أن تخرج معنا فاني عزمتم على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اقترعوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمة رحمة (١) » وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « المدينة تنفي خبيثها كأي نفي الكبر خبيث الحديد (٣) » وهنمدنا نير كاهي إن شتمت غفدوها وإن شتمت فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطفتني إلى فلا أو الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأمور الكثيرة من أطراف الدنيا لا انتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهد وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد لال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب ما كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هذا مني إليك يا أبا عبد الله فقلت دع نفسك منها دابة تركها فقال إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توبة لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجهه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت مروان الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن يختلف إلينا حتى نسمع صيانتنا منك الموطأ قال قلت أ الله مولانا الأمير إن هذا العلم منك خرج فان أتم عززتموه عز وإن أتم أذلتموه ذل والم يؤتي ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجهه الله تعالى بعلمه فأما كونه عا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل ثم يوما في طريق فأش إليه إنسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وأنا أنا أستحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الربيع ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب . قال الحكم هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختر عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذ أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخدا فبرها فصرمها . وروى محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر للنص بعشرة آلاف درهم قال فلا رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتي بالمال فيه صلى الصل ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضموا المال في هذا الجراب في زاوية إلى

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده في المدخل من حد ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة وأسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنفي خبيثها الحديث متفق عليه حديث أبي هريرة .

أخى انبه والزم سلوك الطرائق وسارع إلى اللوى مجد وسابق أباطال بالشرح الكتاب وسنة وقانون قلب القلب بحر الرقائق وإيضاح منهج الحقيقة مشرق وشرب حيا صفو راح الحقائق وإجلاء أذكار المعاني ضوا حكا ياهج حسن جاذب للخلائق عليك باحباء العلوم ولها وأسرارها كم قد حوى من دقائق وكم من لطيفات لدى اللب منهل وكم من مليحات سبت لب حاذق كتاب جليل لم يصف قبله ولا بعده مثل له في الطرائق فكلم من بديع اللفظ يجل صرائعها وكلم من فحوس في حماه شوارق معانيه أخصت كالبدور سواطها

على درة لفظ للمعاني
مطابق
وكم من عزيزات زهت
في قبابها
محجة عن غير كفه
مسابق
وكم من لطيف مع بديع
وتغفة
حلاوتها كالشهد نعلو
لذائق
بساتين عرفان وروس
لطائف
وجنة أنواع العلوم
القوائق
رعى الله صبارا لعاني
جناتها
يروح ويفسر بين
تلك الحقائق
ويطف من ذاكي
جناها فواكها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجر بن
وأقبل على تلك المعاني
وعائق
وراجع طرفا في بديع
جمالها
وطف حياها منشدا
كل سابق

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفتموني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديتلك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنة ففعلت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أيك فلقد كان شحيحا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقبل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصلح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال عهات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي السلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فاتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء والامان أو يثمرها علم آخر أعم وأشرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصيدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يعمد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلمك تقول العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمر حساية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصده وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الامتناع بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع ولما من أولياء الله ليقته وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن عمله لم يحز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ماهو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لدائه إذ هو قيمان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

عاد كالمرجون القديم - . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو بضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أمحاني فأمسكوا » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتي بعدي ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » (٢) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما جرعته من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير السكوا كب وقع في تقوسهم أن السكوا كب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة صماوية وعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فإن الضعيف يصغر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المرید ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة الساقطة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم . وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلو كان ذلك معجزة لا دريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وأعمى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة النجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل للسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقمت الإصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتحمين الانسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى القيم مجتمع وينبث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب القيم وربما يكون بخلافه وبمجرد القيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألقه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا ينفع وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الحسرة أن « قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخميننا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من

- (١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمتي بعدي ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي عجين بإسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضمفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

نرى في بدور الحى
أقمار قد بدت
بعالى جمال مدهش
لب عاشق
فكم أنهلت صبا وكم
قشمت عسى
وكم قد صمت في غربها
والشارق
فيضحى براح الحب
سكران مغرما
أصم عن العذال غير
موافق
وعسى ينادىها طريقا
يباها
منهم عيش في الربوع
الفنادق
صلاة على سر الوجود
شفيقا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل الكارم
والعلا
وعثرته ورات علم
الحقائق
[فصل] وأما ما أنكر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تكلم
في سندها فأما من
جهة تلك المواضع
فمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
السمى (بالأجوبة)
وأسوق لك نبذة من

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقبها وقرب لك مقامات الأولياء محل معاليها عن بعض ما وقع في الاملاء الملقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز به من الحظوظ الملك قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطعام وأمثال الأنعام وأتباع العوام وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حق طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابدته ونسبوا عليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزئج عن الشريعة واختلال إلى أن قال شكتب شهادتهم ويسألون ويسعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المترضين

النبوة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الحائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كفت الناس عن البحث عنها وردهم إلى مناطق به الشرع ففي ذلك منفع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستغنى بها ولولم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بلرب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لاتلد فحس الطبيب نبضها . وقال لا حاجة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنفس عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لاتأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجاءها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك . قال رأيته ميمنة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لاتهزل إلا بخوف الموت غفوقها بذلك حتى هزلت وزال السانع من الولادة فهذا ينبهك على استعمار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع »^(١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بمخاض عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابه رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعد ما من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سنتهم بمقولك فترككم فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انعشاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما أن في خواص الأحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب وتقاها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكأن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غيرة متطرفة إليها وإعما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة القربة إلى الله تعالى زلني وعن الأعمال البعده عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ نعوذوا وقد تقدم .

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا (١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم (٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أ كثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أ كثر الثمر وليس كلها بطيب وما أ كثر العلوم وليس كلها بنافع .

بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسماء محمودات والتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسماء عليهم . اللفظ الأول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفريضة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تسمقا فيها وأ كثر اشتغالا بها يقال هو الأ فقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعقاق واللحمان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام بقى القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من التجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكما فقهاء (٣) » للدين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أفقه فقال أنفاهم لله تعالى فكانه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم ينطق الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه (٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعرق أربع رقاب (٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقائبي وزيد

بما يرجع حاصلها إلى الحمد وإلى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبا عن الحقيقة بأربعة : الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واطهار الدعوى ثم بين ما ورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من تضمنه أخبار أو آثار موضوع أو ضعيفة واكتاره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه التورع لثلا يقع في الموضوع . وحاصل ما أجيب به عن النزالي ومن المهيئين الحافظ العراقي أن أ كثر ما ذكره النزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواء عن غيره أوتبع فيه غيره متبرئا صيغة روى منه بنحو وأما الاعتراض عليه أن فيها ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجده أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال العقل بدل العلم ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث علماء حكما فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف (٤) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي . وقال ابن عبد البر أ كثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود بإسناد حسن .

الخميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا إنما كنا نحمد فنذكر الإيمان وتدبر القرآن وتنقحه في الدين ونعد نعم الله علينا تنقحها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تنقحها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه المبدكل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا وقد سأل فرقد السبخي الجبس عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله شككتك أمك فريد وهل رأيت قهبا بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبصار فكان إطلاقيهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بعض الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالس تحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعمار العلم فصره بالألف واللام ثم فسر العلم بالله سبحانه وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم للذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشقيق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الالتزامات حتى لقب طوائف منهم بأهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما لكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم تصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائل فلا يرى الخير والشركه إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني ضال لما أريد

وكتابه في الرقائق فهو من قبلها ولأن له أسوة بأئمة الأئمة الحافظ في اشتغال كتبهم على الضعيف بكثرة التنبه على ضغنه تارة والسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ما كتبت عليها حتى جاء النووي رحمه الله في التأخرين ونبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار إلى ذلك كله العراقي قال عبد الغافر القارسي سبط القشيري ظهرت تصانيف الغزالي وفشت ولم يد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا مآثره إلى آخر ما ذكره ومما يدل على جلالته كتب الغزالي ما نقل ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيها يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات للمبرين بدعة تحدث فحدثت في جميع المغرب بدعة الأمر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت

(١) حديث لا يفقه المبدكل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبيد البر من حديث شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسياتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نقيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فنخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من النفاق الذي يخالف سره جهره . والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش للتدعة . والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفرد بها فلا يعبد غيره . ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل متبع هواه فقد أخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »^(١) وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آباءه فيتبع ذلك الميل ويميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون التوجه إليها متوجها إليه ، تعالى عن أن تجده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب للتعبده فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الخيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فبقى وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكرامة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى الترجمة عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر »^(٢) وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا إلى بيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم »^(٣) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطع والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيارة.

مصنفاته إلى الغرب
أمر سلطانه على بن
يوسف باحراقها التوهم
اشتمالها على الفلسفة
وتوعده بالقتل من
وجدت عنده بعد
ذلك فظهر بسبب أمره
في مملكته مناكير
ووثب عليه الجند ولم
يزل من وقت الأمر
والتوعد في عكس
ونكد بعد أن كان
عادلا .

[خاتمة في الإشارة إلى
ترجمة المصنف رضى
الله عنه وعنا به
وقضنا بعلومه وأسراره
وسبب رجوعه إلى
طريقة الصوفية رضى
الله عنهم]

أما ترجمته رضى الله
عنه فهو الإمام زين
الدين حجة الاسلام
أبو حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالي الطوسي
النيسابوري الفقيه
الصوفي الشافعي
الأشعري الذي انتشر
فضله في الآفاق وفاق
ورزق الحظ الأوفر
في حسن التصانيف
وجودتها والنصيب
الأعظم في جزالة
العبارة وسهولتها

وحسن الاشارة وكشف
المضلات والتبحر في
اصناف العلوم فروعها
واصولها ورسومها
القسم في مقولها
ومقولها والتحكم
والاستيلاء على اجمالها
وتفصيلها مع ما خسه
الله به من العكرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهد
والعزوف عن زهوة
الدنيا والاعراض عن
الجهات القانية
واطراح الحشمة
والتكلف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أسعد
اليافى والفقير جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوي رحمهم الله
تعالى ولدا لامام الغزالي
بطوس سنة خمسين
وأربع مائة وأبتدأ بها
في صباه بطرف من
القفه ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصار أنظر أهل
زمانه وأوحد أقرانه
وجلس للأقراء وإرغاهم
الطلبة في ألام إله

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص . وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتفح شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثت بك وقال أحمد أكثر الناس كذبا بالقصاص والسؤال ، وأخرج على رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبية على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقدير العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبوبها وتصرفها ونكت عيها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المأمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله من قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم (٢) » وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد أخذ الزخرفون هذه الأحاديث حجة على تركية أنفسهم وتلقوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الله كره المأمود واشتغلوا بالقصاص التي تطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع مماعه ومنها ما يضر وإن كان صدقا ومن نفع ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضرار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أخرج الناس إلى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فليست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تسمى إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها فان العاصي يستصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويخرج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا ضرر وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيد ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحدثين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المأمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويؤمن أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من زغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيها ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يفضلك إلى لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في الباب الأول .

وصنف وكان الامام
يتجسس به ويستد بمكانه
منه ثم خرج من
نيسابور وحضر مجلس
الوزير نظام الملك
فأقبل عليه وحل منه
مخاطبة لعل درجته
وحسن مناظرته
وكانت حضرة نظام
الملك محطاً لرجال
الماء ومقصداً للآئمة
والفضلاء ووقع للامام
الغزالي فيها اتصالات
حسنة من مناظرة
الفتوح فظهر اسمه
وطار صيته فرسم عليه
نظام الملك بالسير إلى
بغداد للقيام بتدريس
للدرسة النظامية فسار
إليها وأعجب الكل
تدريسه ومناظرته
فسار إمام العراق بعد
أن حاز إمامة خراسان
ولتفتت درجته في
بغداد على الأمراء
والوزراء والأكابر
وأهل دار الخلافة ثم
انقلب الأمر من جهة
أخرى فترك بغداد
وخرج عما كان فيه
من الجاه والحشمة
مشتغلاً بأسباب التقوى
وأخذ في التصنيف
الشهيرة التي لم يسبق

صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات « إياك والسجع يا ابن رواحة (١) »
فكان السجع المهدور التكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين « كيف ندى من
لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع
الأعراب (٢) » وأما الأشعار فكثيرها في الواعظ منموم قال الله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاوون
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علمناه الشعر وما ينبغي له - وأكثرت ما اعتاده
الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس
لا يحوى إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفسكة عن الالتفات إلى الصور
الملحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فقتل في نيران الشهوات فيزعقون
ويتواجدون وأحسب ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه
موعظة أو حكمة على سبيل استنباط واستنباس . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٣) »
ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم
غيرهم فإن أولئك لا يضرون معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على
ما يستولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على
بضعة عشر رجلاً فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم
فقبل له تكلم فقد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم
الخواص . وأما الشطح فتعنى به صنفين من الكلام أحدهما بعض الصوفية . أحدهما الدعاوى الطويلة
المريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد
وارتفاع الحجاب والشاهدة بالرؤية والشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون
فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله
أنا الحق . وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحانه سبحانه وهذا فن من الكلام عظيم
ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا
الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز
الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات غبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم
يسجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم خجاب والجدل عمل النفس ، وهذا
الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم
في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد
البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعلمه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام
يرده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه
ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر راقية وفيها
عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

(١) حديث إياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولا أحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب
الرياضة من حديث عائشة بأسناد صحيح أنها قالت لاسائب إياك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه كانوا لا يسجعون ولا ابن حبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس
(٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث المغيرة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري
من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم الدين وغيره التي من تأملها عرف محل مصنفها من العلم قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم صار إلى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الأخلاق وتحسين الشاغل حتى مر من على ذلك ثم عاد إلى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ووفيد الطالبين دون أن يرجع إلى ما انحلع عنه من الجاه واللباهة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسة مائة خسه الله تعالى بأنواع الكرامة في أخراه كما خسه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالي ثلاثة أيام على ما حكى في كرامات

خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما حدث أحدكم قوماً يحدث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ^(٢) » وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يلغيه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا محل ذكره . وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن الحكمة حق وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كمداب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب المستظهرى للصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فيزني أن يليقه وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فإن في السحور بركة ^(٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره النقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتزويل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرها من الكفار وليس من جنس الشياطين واللائكة مما لم يدرك بالحواس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا ^(٤) » واهلوا إلى الغذاء المبارك ^(٥) » فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوماً يحدث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث البخاري موقوفا على علي بن ربيعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم (٣) حديث تسحروا فإن في السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور رواه البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء المبارك أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وضعفه ابن القطان .

الشيخ السيد العمودي
 وضع الله به وذكر
 الشيخ عفيف الدين
 عبد الله بن أحمد
 الباقى رحمه الله تعالى
 باسناده الثابت إلى
 الشيخ الكبير القطب
 الرباني شهاب الدين
 أحمد الصياد اليمنى
 الزيدى وكان معاصرا
 للقرالى فتح الله بهما قال
 بينما أنا ذات يوم قاعد
 إذ نظرت إلى أبواب
 السماء مفتحة وإذا
 عصابة من الملائكة
 الكرام قد نزلوا معهم
 خلع خضر ومركوب
 قميص فوقفوا على قبر
 من القبور وأخرجوا
 صاحبه وألبسوه الخلع
 وأركبوه وصدوا به
 من سماء إلى سماء إلى
 أن جاوز السموات
 السبع وخرق بعدها
 ستين حجابا ولا أعلم
 أين بلغ انتهاء فسألت
 عنه قيل لي هذا الإمام
 القرالى وكان ذلك
 عقيب موته رحمه
 الله تعالى ورأى في
 النوم السيد الجليل
 أبو الحسن الشاذلى
 رضى الله عنه النبي
 صلى الله عليه وسلم وقد

بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكذلك حرام وضلالة وإفساد الدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسد القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »^(١) معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقريراً وتحقيقاً فيستجبر شهادة القرآن إليه ويعمله عليه من غير أن يشهد لتزييله عليه دلالة لفظية لغوية أو عقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما تنقل فيه عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »^(٢) ومر يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد به دعوة الخلق إلى الخلق بضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »^(٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطلات للثقة بالألفاظ وقاطمة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم الحمودة إلى الذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسماء فإن اتبعت هؤلاء اعتادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكما فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر وذلك بالعمالة عن تبديل الألفاظ . اللفظ الخامس : وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هو الذى أنشأ الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها »^(٤) فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاعتراض بتلبيسات علماء السوء فإن شرم على الدين أعظم من شر الشياطين إذا الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء »^(٥) فقد عرفت العلم الحمود والذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى (٢) حديث اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخارى من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلى وأنس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا . تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمى بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف .

وإليك الخبرة في أن تنظر لنفسك فتتدبى بالسلف أو تتدلى بجبل الفرور وتنشبه بالخلف ، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ، قبيلى ومن الغرباء ؟ قال الذين يصلحون ما أفسدته الناس من سنتى والدين يحبون ما أماتوه من سنتى (١) » وفى خبر آخر « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم (٢) » وفى حديث آخر « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم ضريبة بحيث يحقت ذكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأنه إن نطق بالحق أنفضوه .

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم . فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو مالا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرفى الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل القدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والرأسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المسكون الذى لا يسطرفى الكتب ويعين على التنبيه للنعم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى أول الأمر ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفرغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لامتاحتها سواها . وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروع الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن هكنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله السكك علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفع

(١) حديث بدا الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وهو بتابعه عند الترمذى من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله فى وصف الغرباء لم أر له أصلا (٣) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله بن عمرو .

بأبى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالامام الغزالى وقال أنى أمتكما خير كهذا قال لا وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لأصحابه من كانت له منكم إلى الله حاجة فليتوصل بالغزالى وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن الله تعالى يحدث لهنه الأمة من يجد لها دنيا على رأس كل مائة سنة أنه كانت على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الأشعرى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه

روى ذلك عن الامام
أحمد بن حنبل رضى
الله عنه في الامامين
الأولين أعنى عمر بن
عبد العزيز والشافعي
ومناقبه رضى الله عنه
أكثر من أن تحصر
وقبها أوردناه مقنع
وبلاغ. ومن مشهورات
مصنفاته البسيط
والوسيط والوجيز
والخلاصة في الفقه
وإحياء علوم الدين
وهو من أنفس
الكتب وأجملها وله في
أصول الفقه المستصفى
والنحول والمتنحل
في علم الجدل ونهايت
الفلاسفة وعلم النظر
ومعيار العلم والمقاصد
والمضنون به على غير
أهله ومشكاة الأنوار
وللتقذ من الضلال
وحقيقة القولين
وكتاب يا قوبل التأويل
في تفسير التنزيل
أربعين مجلدا وكتاب
أسرار علم الدين
وكتاب مناج العابدین
والدرة الفاخرة في
كشف علوم الآخرة
وكتاب الأنيس في
الوحدة وكتاب القرية
إلى الله عز وجل

بشر عن الصفات الذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك
مهلكات وإهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن
عند التأذى بالجرب والدمامل والتهاون باخراج اللادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون
بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير
الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابها وقلع مغارسها من القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال
الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر
من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في اللواد وتتضاعف به الأمراض فإن
كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى فاشتغل بعلم الطل الباطنة وعلاجها
على ما فصلناه في ربيع المهلكات ثم ينجر بك ذلك إلى التمامات المأمودة المذكورة في ربيع النجيات لا محالة
فإن القلب إذا فرغ من المنوم امتلأ بالهمود والأرض إذا تفتت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع
والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفي زمرة الخلق من
قد قام بها فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعى والعقارب تحت ثيابه
وممت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجيها مما يلاقيه من تلك الحيات
والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرا وقدرت على ترك ظاهر الالتم وباطنه وصار ذلك
دينا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها
فابتدى بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من
علم النسخ والنسوخ والفصول والوصول والحكم والتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو
علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر
ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير
وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن
ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتتنطق به
ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فبما من علم الأوله اقصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير
والفقه والكلام لتفيس بها غيرها فالإقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه على
الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه
وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالإقتصار فيه تحصيل
ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد
كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تقول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين
ولكن تحصيله تحصيل لا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف
إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب
كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة
أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالإقتصار فيه على ما يحويه مختصر للزنى رحمه الله
وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه
في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام
فمقصوده حماية العقائد التى قلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاة من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب القصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس المستقيم
وكتاب التفرقة بين
الاصلام والزندقة
وكتاب الدريعة إلى
مكارم الشريعة وكتاب
اللبادى والغايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبيس إبليس وكتاب
نصيحة الملوك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
إلجام العوام عن علم
الكلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
اللدنية وكتاب الرسالة
القدسية وكتاب
إثبات النظر وكتاب
للاخذ وكتاب القول
الجميل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
للمستظهرى وكتاب
الأمالى وكتاب في علم
أعداد الوفاق وحدوده

حقائق الأمور من غير طريقة مقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاتصار منه بمعتقد مختصر
وهو القدر الذى أوردناه في كتاب قواعد المقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر
مائة ورقة وهو الذى أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العاصى وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما
للمبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولوديثا يسيرا قلما ينفع معه الكلام فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العاصى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات الملأ السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستحقار
فتنبهت منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافى مرض
التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل
التعصب واللعن والشنم للخصوم اتخذوا التعصب طائفة وآلهم ومموء ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التى أحدثت في
هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يسهل مثلها في السلف
فاياك وأن تقوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الهاء المضال وهو الذى ردا الفقهاء كلهم إلى
طلب النافسة واللباهة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفات هذا الكلام ربما يسمع من قائله
فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فلى الحبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا ويانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره
واشتغل بنفسه فلا يفرئك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بطل الخلاف فان
علل للذهب مذكرة في للذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بطل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى
يشهد له حدس الفقى إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمحيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعمل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقض عليه العمر ولا
تصرف همه إلى علم المذهب فكان من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التمسك في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند القلاء أن تقدر
نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والمرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيها
يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام
فقال له ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده وتفتح فيها ، وقال
طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى في جوف الليل وفى الحديث « ماضل
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) » ثم قرأ ماضر يومك إلا جدلا بل هم قوم خصمون -
وفى الحديث فى معنى قوله تعالى - فأما الذين فى قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عنانهم

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث أبى
أمامة قال الترمذى حسن صحيح .

الله بقوله تعالى فاحذروهم^(١) وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يخلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل^(٢) » وفي الخبر المشهور « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الحصم^(٣) » وفي الخبر « ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل^(٤) » والله أعلم .

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل

آفات الناظرة والجدل وشروط إباحتها)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوها الخلفاء الراشدون للهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تنقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمع علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلوات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أجمع والنجاح لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبيين وبعد أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالأقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى الناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فتن المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم الاشتغال بالفتاوى الدين وتقليد أحكام المسلمين إشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الحوض في الكلام وفتح باب الناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى الناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الحصم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل لم أجده أصلا .

وكتاب مقصد الخلاف
وجزه في الرد على
النكرين في بعض
ألفاظ إحياء علوم
الدين وكتبه كثيرة
وكلها نافعة . وقال
بمدحه تلميذه الشيخ
الإمام أبو العباس
الأقلبي المحدث
الصوفي صاحب كتاب
النجم والكواكب :
أياحمد أنت المخلص
بالمجد

وأنت الذي علمتنا
سنن الرشد
وضمت لنا الإحياء
نحي نفوسنا
وتفقدنا من طاعة
النازع المردى
فربيع عبادات وعاداته
التي

يعاقبها كالدور نظم
في العقد
ونالها في المهلكات
وأنه

لمنج من الهلك المبرج
والبعد

ورابعها في المنجات
وأنه

ليسرح بالأرواح
في جنة الخلد

ومنها ابتهاج للجوارح
ظاهر
ومنها صلاح للقلوب
من الحقد

ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرين عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث
الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والمناظرات لا غير ولومالت
نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم
ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .
(يان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)
اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن فرضنا من المناظرات للباحث عن الحق ليتضح
فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجدة والاخوة وحد شرب الخمر وجوب الغرم على
الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل
الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول فرضي أسترعورة
من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد وديعة في الحال ققام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي
في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحمامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحمامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
فإن من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة
وفي البلد فروض كفايات مهمل لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يغلو بل من جملة الفروض
المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرطا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون الناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز ملبوسا ومفروشا وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت المداينة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفتنة في أراذلكم (١) »
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
باسناد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفقي بما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتي فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجوز له أن يتركه فأى فائدة له في الناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فأنى لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى الناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا . الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجد من الوقائع أو ما يظن وقوعه كالفرائض ولا ترى الناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيسمع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أولأنها ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام . والقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون الناظرة في الخلوّة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فإن الخلوّة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والجامع ليس لله وأن الواحد منهم يغلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام . السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يدمن يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا صرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الجبرين أنظر كم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف ينجل به وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستحي من تشييه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق . السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل البتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمي ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

للمدة فابتدرت لأجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوقفا منه ومُلتفتنا إليه اعلموا أحسن الله إرشادكم وألان إلى قبول الحق اقتيادكم أن اختلاف الخلق في الأديان واللل ثم اختلاف الأئمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ضرق فيه الأكترون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل في عنقوان شبابي مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أناف السن على الحسين أقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتفحص كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
لأميز بين كل حق
ومبطل ومستن
ومبتدع لا أغادر باطنيا
إلا وأحب أن أطلع
على باطنيته ولا ظاهريا
إلا وأريد أن أعلم
حاصل ظاهريته ولا
فلسفيا إلا وأقصد
الوقوف على فلسفته
ولا متكلميا إلا وأجتهد
في الاطلاع على غاية
كلامه ومجادلته ولا
صوفيا إلا وأحرص
على العثور على سر
صوفيته ولا متعبدا
إلا وأريد ما يرجع
إليه حاصل عبادته ولا
زنديقا معطلا إلا
وأجسس وراءه للتعنه
لأسباب جراته في
تعطيله وزندقته وقد
كان التعطش إلى درك
حقائق الأمور دأبي
وديدني من أول
أمرى وربيعان عمري
غريزة من الله وفطرة
وضعهما الله في جيلتي
لاباختياري وحيلى
حتى انحلت عني رابطة
التقليد وانكسرت
عنى العقائد المروية
على قرب عهد منى
بالصبا إذ رأيت صبيان

ترى أن جميع المجالس تنفض في الدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلته بظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معال بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرقها ولا أذكرها إذ لا يلزمى ذكرها ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس الناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمى كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما بدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم لمعنى قوله لا يلزمى أى في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشبه والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمى وإلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهاى هذا الجنس وهل منع أحدهم الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابرخوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم علمعا في ترويح الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر الله ومن يناظر لعله . واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي تعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

(بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن الناظرة الموضوع لقصد القلب والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشديد عند الناس وقصد البهاة والمعاراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق الذمومة عند الله المحموده عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتركبة النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فتعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والقلبة في الناظرة وطلب الجاه والبهاة دعاه ذلك إلى إضمار الحباثت كلها في النفس وهييج فيه جميع الأخلاق الذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربيع المهلكات ولكننا نشير الآن إلى مجامع ما تهيج به الناظرة فمنها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فنادام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن .

وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو في العذاب في الدنيا وللعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايبون كما تتغايب التيوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظيمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعني فيما قسمته ^(٢) » ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغي والكار الخداع منهم بأنه يعني صيانة عز العلم « وأن المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه ^(٣) » فيعبر عن التواضع الذي أنشأ الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر المقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحق فلا يكاد الناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بمحقود ^(٤) » وورد في ذم الحق مالا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحق وترتيبه في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إirاده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة بمبالاة بكلامه انفرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر . ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل اللبنة ولا يزال الناظر مثابرا على أكل اللبنة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهران وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض من كلامه ويصفي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تركية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقيل لحكيم ما الصدق القبيح ؟ فقال ثناء الرء على نفسه ولا يخلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يسدها ذخيرة لنفسه في إفصاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردأى والعظيمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء ردأوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذي ومحمه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس بمحقود لم أقف له على أصل .

النصارى لا يكون لهم نشء إلا على النصر وصبان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على اليهود وصبان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الاسلام وسمعت الحديث الروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فتحرك باط إلى طلب الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدین والأستاذین والتميز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تميز الحق منها من الباطل اختلافات قللت في نفسى أولا إنما مطلوب العلم بحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لى أن العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للنقص مقارنا لو تحدى

وتنجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فساه يثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متمسكا ويستحسن ذلك منه ويمد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجعا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين للمدودين من فحولهم ومنها القرح لمساء الناس والنم لمسارهم ومن لا يحب لأخيه السلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لامحالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفرلونها فهكذا ترى الناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سباعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتسامح في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمنهبة جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطنة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيئات هيئات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق الناظرين ويرتكب عن أخلاق المؤمنين والتقنين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نموذج بالله العظيم منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواه الحسن وقد صرح ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على للماراة فيه حتى إن أبغض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشر لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والسكر والحيلة لدفعه حتى يصير الماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربه في الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من اقترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - لمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم . والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكيثر كاسياني في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير التماسكين منهم من الخصام المؤدى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحي وسب الوالدين وشم الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبيا والمصا ثعبانا لم يورث ذلك شكوا وإمكانا فاني إذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل آني ألقب هذه المصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معنى منه إلا التعجب من حكيمة قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فقتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات إلا من الجليات وهى الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأنبين أن يقيني بالحسوسات وأمانى من

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجة من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن .

ليسوا معدودين في زمرة الناس للعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الحصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانعطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله القارين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الحصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأثرة والغبض والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة واللباهة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والراكب والثياب المظورة والاستحقاق للناس بالفقر والخيلاء والخوض فيما لا يفي وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما صلي وما الذي يقرأ ومن الذي يناجي ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تمين في الناظرة مع أنها لاتنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تخصي والناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن حمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها . واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بطلب المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب العلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبدي أو يحياه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه » فلقد ضربه مع أنه لم ينفعه وليته نجائه رأساً برأس وهيئات هيئات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمدي فلا ينفك عن الملك أو الملك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطعم في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفصح الأحوال . فان قلت في الرخصة في الناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لو لاحب الرياسة لاندست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لو لا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصاير ما رغب الصبيان في الكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال عليه السلام فيهم « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد صلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمّر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إمامه لك نفسه وغيره وهم المصححون بطلب الدنيا والقبولون عليها وإمامه مدنفه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً وإمامه لك نفسه ممدغ غير هو والذي يدعو إلى الآخرة وقد فرض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربيع الهلكات ما يبين عنك الريية فيه إن شاء الله تعالى .

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي من حديث أنس باسناد صحيح

(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة

الغلط في الضروريات من جنس أمان الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان محقق لا يجوز فيه ولا غائلة فأقبلت بمجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فأنهى بعد طول التشكك بي إلى أنه لم تسمع نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذت تنسى الشك فيها ثم إنني ابتدأت بطلب الكلام فحصلته وعلقته وطالمت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنّفه فصادفته علماً وافية بقصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة إلا حمل عليها جند

(الباب الخامس في آداب التعلم والمعلم)

أما للتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر حمل :

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والآثبات فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة ^(١) » وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما المشركون نجس - تنبها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر رأى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في الآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ^(٢) » والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم وعمل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابغة فأتى تدخله للملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة لا وكون بها وهم القدسون المطهرون البرؤون من الصفات الذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعمرن بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات الذمومة ولكن أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك الطماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بسدد الانقلاب فيصوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محدودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلية وهي السبعية . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشهوة إلى الدنيا والتكلب عليها والحزم على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فتور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبية على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتطلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية « فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشرة إلى أموالهم ذئبا عاديا والتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة أسد ^(٣) » وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار . فان قلت كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم فهبات ما أبعد عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
(٢) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
(٣) حديث حشر الممزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

الشهوة جملة فيغيرها
عشية فصارت شهوات
الدنيا تجاذبني بسبب
ميلها إلى المقام ومنادى
الإيمان ينادى الرحيل
الرحيل فلم يبق من
العمر إلا القليل وبين
يديك السفر الطويل
وجميع ما أنت فيه من
العمل رياء وتخيل
وإن لم تستعد الآن
للآخرة فمق تستعد
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق فمق تقطعها
فمنع ذلك تنبث
الرغبة وينجزم الأمر
على الحرب والقرار ثم
يعود الشيطان ويقول
هذه حالة نازلة إليك
أن تطاوعها فانها
سريعة الزوال وإن
أذعنت لها وتركت هذا
الجاء الطويل المريض
والشأن العظيم الخالي
عن التكدير والتنغيص
والأمر السالم الخيالي
عن منازعة الخصوم
ربما التفت إليك نفسك
ولا تيسر لك العودة
فلم أزل أردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعي قريبا
من ستة أشهر أولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للمادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مسمومة قاتلة مهلكة وهلا بآيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسممه من الترممين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحشنة لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله أن العلم أبي وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقة وإنما حصل لنا حديثه والفاظه . فان قلت إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الفناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد صبقت إلى هذا إشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر والفكرة التوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزدراج . الوظيفة الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحته إذ عانت الرضى الجاهل للطبيب للشفق الحاذق وينبئ أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمة قال الشعبي « صلى زيد بن ثابت على جنازة فحسرت إليه بعلمه ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء قبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين التعلق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من الرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهريا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب مشهور أو خامل وضراوة سبع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يفتنمها حيث يظهر بها ويتقصد الثمن ساقها إليه كائنا من كان فلذلك قيل :

العلم حرب للفقى تعالى كالسيل حرب للكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول النية فليكن التعلم لمعلمه كأرض دمنة بالت مطرا غزيرا فتشرب جميع أجزائها وأذغت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه

- (١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم
- (٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين الملق إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبي أمامة بإسنادين ضعيفين .

وثمانين وأربعائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطيبا للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت منه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنسأغ لي شربة ولا تنضم لي لقمة وتمدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعمهم في العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجاني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال

والجاء والأهل والأولاد
وأظهرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر
الشام حذرا من أن
يطلع الخليفة وجدة
الأصحاب على غرضي
في المقام بالشام فتلطفت
بلطائف الحيل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لا أعودها أبدا
واستعزأت بأئمة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يجوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دينيا إذ ظنوا
أن ذلك هو النصب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان الاستشمار
من جهة الولاية وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجاحهم في
التعلق بي والانكار
على وإعراض عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سماوي ليس له سبب
إلا عين أصابت أهل
الاسلام وزمرة العلم
فأرقت بغداد وطارقت

في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفسها فكم من مريض محرور
بما لجه الطبيب في بعض أوقانه بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من
لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر - إنك لن تستطيع
معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال - فإن اتبعتني فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار للعلم فاحكم عليه بالاختفاق والخسران . فان قلت
قد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال مأثور به . فاعلم أنه كذلك ولكن
فيا ياذن العلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أو انه فالعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف
وما لم يدخل أو ان الكشف في كل درجة من مراتب الدرجات لا يدخل أو ان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا تكتر عليه بالسؤال ولا تفتنه في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفضي له سرا ولا تقتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل
قبلت معذرتة وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقت القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يحترز الحائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويغير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة
المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصنى إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى
واحد وإنما عاداته تقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يمد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدى عن الشبه يضاهى منع
الحديث المهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ونذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهى حث القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار وينذب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن
رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية تورد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح لإعنا روائب الفرائض
فيتراعى الناظرين أنها باطلة وكسل وإهمال وهيات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى
اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم
من الكوز فاجاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتقلب
عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يضل على الكوز ويحمله إلى صفته ولمثل هذا جواز
لنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يحور تغيره حتى أيسع له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نساؤه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما يبين من الضرار
إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاء فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمود ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به

(١) حديث أبي سعيد له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع الحديث . .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - وإذ لم يمتدوا به فيقولون هذا إفاك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذا قم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من التصود والقوام بها حفظه كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويتدى بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في اليسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي العاملة والمكاشفة فغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي ورائة أو تلقفاً ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الحباث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح (١) كما شهد به سيد البشر ﷺ فاعندى أن ما يعتقده العامي ويرتبه التكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً وكان يعجز عنه عمر وعثمان وطل وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وقعه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتشدد في هذا فعنده ضيقت رأس المال فكان حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات الشرف رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب . الوظيفة السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفى الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج . قال الله تعالى - الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته - أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطئ واحد أو أحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفتحيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبه في كتاب معيار العلم وترى طائفة يستقنون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفاق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفاق لآخر والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

ما كان معي من مالى ولم أدخر من ذلك إلا قدر الكفاف وقوت الأهل قال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على المسلمين ولم أر في العالم ما يأخذ العالم لبياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقيمت فيه قريبا من سنتين لا تشغل لى إلا العزلة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة للسجود طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخرة الحياة القانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتباره أدله وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتحمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الوصول
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد التعلم
في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال التقرب من المسبحاته والترقي إلى جوار اللأعلى من
الملائكة والقرين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وممارسة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لاجالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقدرة إلى
سائر العلوم أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
المقدمات والتمهات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الثناء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كالتكفلين بالغور والرايطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله ففهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحدهم عن
أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى - يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسبية واستحقاقنا
للمصارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن منزل عن الرتبة
القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى
بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لاجالة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع
القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهتك ولا يهتك إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
العيان فالأهم ما يبقى أبداً لا يباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعيًا إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى فقيه النعم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأفلون والعلوم بالإضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم
العوام والتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عقله وتمكنه من
الملك بالحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً وإن ابتدأت بطريق الحج
والاستعداد له وعاقبك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد
والراحلة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزل بعد منزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحج ركن بعد ركن ثم بعد الفراغ والزروع عن هيئته الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتداء أركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء السلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام
قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبان وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع

وعاودته بعد أن كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآزت
العزلة حرصاً على
الحلوة وتصفية القلب
للتذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات العيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الحلوة وكان
لا يصفو لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكني
مع ذلك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
العوائق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره لينتفع به
أني علمت يقيناً أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السير وطريقهم أصوب
الطرق وأخلاقهم أزكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء لغيروا شيئاً
من سيرتهم وأخلاقهم

تلك العقبات الشائعة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الواقفين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يفتى علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يفتى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن الباشرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم الكاشفة وهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة . وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للنعيمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما للمتنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل - فأما إن كان من الثقلين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين - وكل من لم توجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتفض إلى جهته لا طي قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد حقيقة وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والایمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم الكاشفة وعلم الكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطعم والسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة . فان قلت لم يشبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس الطمئة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم الكاشفة وهو مضمون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودرّ عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى - ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - وكل المخالقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملها وأشفق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والقصود أن هذه اللطيفة هي الساعة إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحازنة للماء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا ينبغي أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعى وحده في تحصيل طعامه بالجرأة والزرع

ويدلوه بما هو خير منه لم يجمعوا إليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة طي وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى وهو أقواها بالإضافة إلى ماتحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعدصيته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتافت إلى الأخرى فاطرحها وسعى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقة لما نالت الدنيا تاققت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت

الغزالي رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
قلت له يا امام أليس
التدريس ينفد
أفضل من هذا فنظر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

ترسكت هوى ليل
وسعدى بمنزل
وعدت إلى مصحوب
أول منزل

ونادتن الأشواق مهلا
فهذه

منازل من تهوى
رويدك فانزل

انتهى كتاب تعريف
الأحياء بفضائل الأحياء
بحمد الله وعونه .

[هذا كتاب الاملاء

في إشكالات الأحياء]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما خصني

وعزم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء

البعوث إلى العرب

والمجمل على آله وعترته

وسلم كثيرا وكرم

سألت بركة الله

لراتب العلم تصعد

مراقبها وفرب لك

مقامات الولاية محل

والجز والطيخ وفي تحصيل اللبس والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى الخالطة والاستعانة
ومهما اختلط الناعى وثار شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكمهم بسبب تضاد الأخلاق من داخل ، وبالطبع
يحفظ الاعتدال في الأخلاق للتنازع من داخل ، وبالسبب تضاد الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاق طبع ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات
والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه كالتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الحيوط التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
الموصل إلى علم الكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج أو ملاسبى أركانه فتأمل هذا أولا
واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة
الحلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدكم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف التعلم .

(بيان وظائف الرشيد العلم)

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضى كما يقتضى المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يقضى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظميا في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهى مضية فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحن غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهى تحترق كاقيل :

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على التلمذ وأن يحريهم مجرى بنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده » (١) بأن يقصد إيقادهم من نار الآخرة وهو أهم من إيقاد الوالدين ولدهما من نار الدنيا
ولذلك صار حق العلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم
سبب الحياة الباقية ولولا العلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما للعالم هو المفيد
للحياة الأخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك فعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوَادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحامد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة

(١) حديث إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والمعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون ع
موجب قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وداخلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين . الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يبطئ
على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يبر
لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله
تعالى بزراعة العلوم فيها كالتي يبيد الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفتك بها تزيد على منة
صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا ذلك
مانت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إ
أجرى إلا على الله - فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو الله
إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مدامه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خاد
والخادم مخدوماً وذلك هو الاتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرم
ناكس رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون
أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيها وفي غيرها فانه
يبدلون المال والجاه ويتحملون أصناف الدل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولوتركوا ذل
تركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من التعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصرف إليه ويعادى عدوه ويقتحم
جهارا له في حاجاته ومسخرابين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسه
بعالم يرضى لنفسه بهذه للزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر الله
تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتبارات . الوظيفة الثالثة
أن لا يدع من نصيح التعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرغبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قد
الفراغ من الجلي ثم ينهه على أن العرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة واللباه
والمناقسة ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسد
فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه
والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم
الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإنا ذلك عام التفسير وع
الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذاتما
الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمر له طمعا في الوعظ والاستبعا ولكن قديتبه في أث
الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحركة للدنيا العظيمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي
إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي يش
حوالي الفخ ليقنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النفس
وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافات المحضة ومجادلات
الكلام ومعرفة التفاريح الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغف
عن الله تعالى وتعمادا في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم
الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشهد تحقيق ذلك في الب
والبلاد والله المستعان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال صرنا متجرا الأبد
الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا . الوظيفة الرابعة : وهي من دقائق

معاليها عن بعض
ما وقع في الاملاء للقلب
بالإحياء مما أشكل على
من حجب فهمه وقصر
علمه ولم يفز بشيء
من الحظوظ لللكية
قدحه وسهمه وأظهرت
التحزن لما شاش به
شركاء الطعام وأمثال
الأنعام وأجماع العوام
وسفهاء الأحلام وذعار
أهل الاسلام حتى
طغوا عليه ونهوا عن
قراءته ومطالمتهم وأقتوا
بمجرد الهوى على غير
بصيرة باطراحه
ومنايذته ونسبوا محليه
إلى ضلال وإضلال
وبندوا أقرانه ومنتحلوه
بزيغ في الشريعة
واختلال في الله
انصرفهم ومآبهم
وعليه في العرض
الأكبر إيقافهم
وحسابهم فستكتب
شهادتهم ويستلون
وسيطم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون بل
كذبوا بما لم يحيطوا
بعلومه . وإذا لم يهتدوا به
فسيقولون هذا إفك
قديم ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه منهم
ولكن الظالمون في
شفاق بعيد ولا يجب
فقدتوى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الغالب
إلا أهل الزور والقسوق
متشبهين بدعوى
كاذبة متصفين بحكايات
موضوعة متزينين
بصفات منمقة
متظاهرين بظواهر
من العلم فاسدة
متعاطين للحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو حجة شاء أو
مغالبة نظراء قد ذهبت
المواصلة بينهم بالبر
وتألفوا جميعا على النكر
وعدمت النصائح بينهم
في الأمر وتضافوا
بأسرهم على الحديعة
والكر إن نصحتهم
العلماء أغروا بهم وإن
صمت عنهم العقلاء
أزروا عليهم أولئك
الجهال في علمهم الفقراء
في طولهم البخلاء عن
الله عز وجل بأنفسهم
لا يفلحون ولا ينجح
تابهم ولذلك لا تظهر
عليهم موارث الصدق
ولا تسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعلم أن يزجر التعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرس على الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه
وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء (١) » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه
فما ذكرت القصة معك لتكون ممرأ بل لتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس
الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن التكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح في نفس للتعلم
العلوم التي وراه كعلم اللغة إذ عادت تقيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تقيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المعجزة ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروع وهو كلام في حيز النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن يجنب بل التكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلا
بعلوم فينبغى أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم
على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونسلكهم على قدر
عقولهم (٢) » فليتب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال عليه السلام « ما أحد يحدث قوما بحديث
لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بضعهم » وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوما
حجة لو وجدت لها حملة وصدق رضى الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشى العالم كل
ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه التعلم ولم يكن أهلا للاقتناع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تملقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فهو شر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بميزار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تعلم منه وينتفع بك والإوقع
الانكار لتفاوت المعيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار (٣) » فقال أترك اللجام وأذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجنى فقد قال الله تعالى - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم - تنبها على أن
حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أثر در آيين سارحة النعم فأصبح مخزوننا براعية النعم
لأنهم أمسوا بجمل قدره فلا أنا أضحي أن أطوقه بهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة وإلا فمخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : إن التعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر
أخضر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فان ذلك يفتقر رغبته في الجلى ويشوش عليه قلبه ويومئ إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فامن أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشد حملاً وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقدم من العوام بقيد الشرع ورسخ في تقيد العقائد المأثورة عن السلف من غير تشييه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سربرته ولم يحتمل عقلاً أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يحلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقله شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددتها وإعلاء قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجحيم والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويصر عليه حلها فيشوق ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوا عيش الخواص . الوظيفة الثامنة : أن يكون العلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعلمه لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقا للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولاً : أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل العلم الرشدين المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا ينتقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لاته عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى - أتاُمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم - ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل يزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فطيه وزرها ووزر من عمل به ولذلك قال على رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متنتك وجاهل متنتك فالجاهل يفر الناس بتفكك والعالم يفرهم بتهتكك والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدوا من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهق في المدخل موقوفاً على أبي الدرداء ولم أجده مرفوعاً (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح وأسنده الخطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الحشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل التأطل وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم جيبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثهم طول الغفلة وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والعجب والرياء والله من ورائهم محيط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يفرّتك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطفيتهم ولا يفوتك

بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق في صيد - وجاءت كل نفس منها سائق وشهيد - وتلا - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيـل ومتابعة الأباطيل فأعرض عن الجاهلين - ولا تطع كل أفاك أثيم ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون - ولقد جئناك بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة ما زعمب فيه من تحصيل الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟ فقال من الأئمة المضلين » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالحوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للنافق الطيم قالوا وكيف يكون منافقا علما قال علم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم الطماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع للمروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فحالم مفترط وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فاقظوه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه » (٤) أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية » (٥) وإعماضا لعذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله

(١) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح

(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد

(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا

على الحسن من ازداد علما ثم ازداد الله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو الفتح الأزدي

في الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث

إن العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة

المذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث

متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم .

- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم - وقال تعالى - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين -
وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين - حتى قال - لئن لم يكن الكلب ينحرف علي يميني لم يكن مني شيء - فذلك العالم
الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات فشبها بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يأت فهو
يلتفت إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء
ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الخشب ظاهرها جص وباطنها تين ومثل
القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسر
حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين للقرين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب
الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداها
أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداها خفت الأخرى وأنهما كالشرق والغرب
مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تنصب
منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم
انصرام ما يصفونها فهو فاسد العقل فان الشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من
لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما مطمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء
كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله
ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد
من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع
بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني علما قد أسكرته الدنيا
فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما
يا داود من رد إلى هاربا كتبتة جهذا ومن كتبتة جهذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله
عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما
يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم يشقى
الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم عبدا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل عب
يحوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول
إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه
إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسمي أهل العلم في
نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قصيرة
ويوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكم كبرية قارونية وأوائكم فرعونية
وما تمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة الحميدة قال الشاعر :

وراعي الشاة يحصى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال لأشك أن من تكون الدنيا
عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا ننظن أن ترك المال يكفي في الحقوق

ذكر فيه الأعلام إذ
اتفق أن يكون أشهر
ما في الكتاب وأكثر
تصرفا على السنة
الصدور والأصحاب حتى
لقد صار المثل المذكور
في المجالس تحية الداخل
وحديث المجالس
فساعدتنا أمنيته ولولا
المجلة والاشتغال
لأضفنا إلى أملائنا
هذا بيان غيره مما عدوه
مشكلا وصار لعقولهم
الضعيفة غبلا ومضللا
ونحن نستعين بالله من
الشيطان ونستمصم
به من جرأة فقهاء
الزمان وتضرع إليه
في المزيد من الإحسان
إنه الجواد اللبان
[ذكر مراسم الأسئلة
في المثل]

ذكرت رزقك الله
ذكره وجهك تعقل
نبيه وأمره كيف جاز
انقسام التوحيد على
أربعة مراتب ولقطة
التوحيد تنافي التقسيم
في الشهود كما ينافي
التكرير التعديد وإن
صح انقسامه على وجه
لا يندفع فهل تصح
تلك القسمة فيما يوجد
أو فيما يقدر ورغبت

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وماوجه تمثيلها بالجوز في القشور واللذوب ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل إفساؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إفساء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتعبد والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هي مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات والمخلوقات وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الأذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فأنما يقول أو سعوا لي ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتيت أن تحدث فاسكت فإذا لم تشته تحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل نعم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنه الحديث أشد من فتنه الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ - ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا - وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موني إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب الماش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من بطلب السلام ليخبر به لا يعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتعوزون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علما مما ينبغي به وجه الله تعالى ليصيب به مرضا من الدنيا لم يجد صرف الجنة يوم القيامة (١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهدي فقال عز وجل في علماء الدنيا - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا - وقال تعالى في علماء الآخرة - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والثناء يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أعمى من الصبر إياي يخادعون وبى يستهزئون لا تبجن لهم فتنه تندر الحليم حيران (٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام السكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجما من نار ينادى مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا ففطن به على عباد الله وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس (٣) » وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم حدثني موسى نبي الله حدثني موسى كليم الله حتى أئري وكثر ماله ففقدته موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علما مما ينبغي به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبو داود وابن ماجه باسناد جيد (٢) حديث أبي الدرداء أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر باسناد ضعيف (٣) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف .

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسأله به أصاب هذا فأوحى الله عز وجل إليه لودعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين . وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع »^(١) وفي الكلام تميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يخفض للتكفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرًا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغزه الزهو والمجب فان وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك يا أخي بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير هيب أو تمشي في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء ما يعلو ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة »^(٢) وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك تفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة »^(٣) قال تعالى - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه قدوة عظيمة وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن - الآية ، فصرف أهل العلم بإشار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء مالم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أئامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه - وقال تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا الله واسمعوا - وقال تعالى ليعسى عليه السلام « يا ابن مريم عظ نفسك فان اعطت فعنظ الناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه »^(٤) وقال

على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق في فائق بالوادي المقدس طوى ولعله يغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون صماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبي أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتعلق إلى مثل ذلك للقيام حتى يسمع أسرار الآله وإن كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع في النداء إذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي

(١) حديث معاذ من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث إن العبد لينشر له من الثناء ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٣) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات (٤) حديث مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس

أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنعه من البقاء في الموضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وأبني هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا مارجعوا ما وصل من رجع وما معنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الإلهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت المشكل من الألفاظ والغز من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتنع فما بال من ليس شارحاً

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الثوار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله شكت الثواري ما تجد من ثمن جيف الكفار فأوحى الله إليهم بطون علماء السوء أتت مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهي عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به فجازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يرط القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتينا

أصبحت تصحهم بالوعظ مجتهدا فاللوقات لعمري أنت جانبا

تعب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لانتبه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بحجر بركة مكتوب عليه اقلبي تعتبر قلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكيت رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلة عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه غدوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ. عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفى مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن العالمين علموا لغير الله تعالى والتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب

(١) حديث هلاك أمتي عالم فاجر وشر الثوار شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجده صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا لعله ابن عبد البر وأسنده ابن عدي وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا على معاذ بسند صحيح.

لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا ما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عثم ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعث ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم أن مثل العالم المشا القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاض قاضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قاض بالجور وهو يعلم أولا يعلم فهو في النار وقاض قاضى بغير ما أمر الله به فهو في النار (١) » وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتغابرون على العلم كاتغابرن النساء على الرجال ينضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره أولئك الجباروا أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قليل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قاتلا وللعمل مسوا حتى يموت وما عمل (٢) » وقال سري السقطي اغترل رجل للتعب كان حرصا على طلب علم الظاهر فسأله فقال رأيت في النوم قاتلا يقول لي إلى كم تضع العلم ضيعك الله فقلت إني لأحفظه فقال حفظ العلم العمل فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همهم الرواية والعلما همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكم انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزلا القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يتقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الويل مما تصفون - وفي الخبر « مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن (٣) » ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيال والقيل فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصة العقاقير والأدوية وغرائب الطب فترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روى « أن رجلاً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال ومارأيت العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال لتعلمك من غرائب العلم (٤) » بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روى عن خاتم الأصم تلميذ شقيق البخاري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه اللدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب همري معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أعلم غيرها وإني لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أصعبها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

- (١) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث مما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء وابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن السور مرسل وهو ضعيف جداً .

اتسبى جملة مر اسم الأسئلة في المثل فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستضاء به في ظلمات السالك وأن يعم بنفعه أهل المبادئ والمدارك ثم لا بد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية . أما المقدمة فالعرض بهاتين عبارات انفراد بها أرباب الطريق تغمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يغمض منها ونذكر للمقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصاً بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي تنوى بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقته فجعلت الحسنات محبوبا فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم لما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعة وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينقد وما عند الله باق - فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة أتت نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما الخامسة أتت نظرت إلى هذا الخلق وهم يطمعن بعضهم في بعض ويعلن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عن السادسة نظرت إلى هذا الخلق يعني بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فعاديتهم وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فعلمت أنني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وقتك الله تعالى فأتت نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدر كنتم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في الطعام والمشرب والتنعيم في اللبس والتجمل في الأثاث والممكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حربه . ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الثرماقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا حتى رجل من التجار متعشفا يحب للساكنين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقبحها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فورا واسمة تزهر وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بغرس وطيبة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة فقام الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة

نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألقوه من تصانيفهم وكيف يصكون نظره فيها وإطلاعه عليها والقباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلم من ظهورها فصرخوا عنها وغلقت في وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوا من أبوابها بالترحيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [المقدمة] : اعلم أن الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجاهل والمعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعلمية كاللحن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها وآلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين للعدلة بما تحرر من الموازين ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركون فيها غيرهم

فقال نعم قال وما هي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال ثم فاستو جالسا حتى أسألك فاستو
 جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل
 عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم قضا أداء جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات
 وأداء الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سمعها أكثر كان له عند الله
 عز وجل للنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورضي
 في الآخرة وأحب للساكنين وقدم لآخرته كانت له عند الله للنزلة قال له حاتم فأنت بمن اتحدت
 أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصلحين رحمهم الله أم بفرعون وبعمروذ أول
 من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل للتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول
 العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل
 الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعا منه فصار حاتم
 متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبدءا ديني ومفتاح صلاتي
 كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأنى به قعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا
 ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكدا لما أريد قيام الطنافسي
 وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعين أربعين فقال الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا
 قال غسلت ذراعيك أربعين فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع
 هذا كله لم تسرف فلعن الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين
 يوما فلما دخل حاتم بعدد اجتماع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن
 أعجمي وليس بكلمك أحد إلا قطعتة قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح إذا أصاب
 خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال
 سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
 يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم
 وتبذل لهم شيئا وتسكون من شيتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله
 أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طيء بالأرض
 قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طئة بالأرض قال حاتم
 يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة
 فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي أنا رجل أعجمي ضريب دخلت البلد فقلت مدينة
 من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد
 قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأنتم عن تأسيسه برسول الله صلى الله
 عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر غفلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم
 رحمه الله تعالى وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه

إلا أن يكون ذلك
 بالاتفاق من غير قصد
 وتكون المشاركة إذا
 اتفقت إما في صورة
 اللفظ دون المعنى أو في
 المعنى وصورة اللفظ
 جميعا وهذا يعرف من
 بحث عن مجازي الألفاظ
 عند الجمهور وأرباب
 الصنائع وإنما سمينا
 من العلوم صنائع ما قصد
 فيها التصنع بالترتيب
 في التقسيم واختيار
 لفظ دون غيره وحده
 بطرفين مبدءا وغاية
 وما لم يكن كذلك فلا
 نسميه صناعة كعلوم
 الأنبياء صلوات الله
 عليهم والضحابة رضي
 الله عنهم فانهم لم يكونوا
 فيما عندهم من العلم
 على طريق من بعدهم
 ولا كانت العلوم عندهم
 بالرسم الذي هو عند
 من خلفهم ومثل ذلك
 علوم العرب ولسانها
 لانسميها عندهم صناعة
 ونسميها بذلك عند
 ضبطها بما اشتهر من
 القوانين وتقرر من
 الحصر والترتيب
 ولأرباب العلوم
 الروحانية وأهل
 الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة
والملقبين بالصوفية
والمقشبين بالفقراء
والمعروفين بالرفقة
والمعزى إليهم العلم
والعمل ألقاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فيما يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاء الله نذكر ما يعض
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بغير ماعرف من
ألفاظهم وعباراتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء تقدير فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمسكن والشطح
والتطاول والذهب
والنفس والسر والوصل
والفصل والأدب
والرياضة والتجلى
والتخلي والتجلى والملة
والانزعاج والشهادة
والمكاشفة والنوامح
والتلون والغيرة والحرية
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بمحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأذى به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداينة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبنولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى تزع القميص المطرز بالعلم (١) وتزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة (٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد التوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطى وتعمل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت إليك المطىء وارتحل إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة مني كتابا ما طلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوق من موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعتك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطى فتحن تفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمعت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمل ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريض على التمتع بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصة علماء الله تعالى الخشية وخاصة الخشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يحمد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتضييق فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى نجملهم فيزدري نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مدايناهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادراز والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعني من سكن البادية جفا « ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القميص المطرز بالعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس

تعرفون منهم وتكفرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا تقائلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلو^(١) وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزأرون للملوك وقال حذيفة لما كرم ومواقف الفتن قبل ومأوى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم^(٢)» رواه أنس ، وقيل للأعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تصجلوا ثلث يموتون قبل الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاجتروا منه فإنه لص وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء^(٣)» وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تعلقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أجمع بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيستل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفا فامع أي لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال وكان لا ينشئ السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحة والقدم في الإسلام فلما أتيتهم فقال يابى آتى جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لأشاركهم فيها قالوا يا أبانا إذن نهلك هزلا قال يابى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت مناقا ممينا قال الحسن خصمهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر لسلمة ياسلمة لا تنشئ أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دينهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يحيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في التناء والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا طلبوا فادخلوا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشر على بأقوام

والقبص والقناء والبقاء والجمع والفرقة وعين التحمل والزوائد والارادة والمريد والمراد والمهمة والغربة والمصكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فتذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بعشيرة الله تعالى وإن كانت ألقاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أعمودا ودستورا تتعلم به إذا طرأ عليك عالم تذكره لكهنا إذ لها بحث وإلهام سبيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بالآلة الفسكرة في طريق المعقولات وعلى ذلك انتهى لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم يريد بذلك سلوك الأقدام التي بها يقطع مسافات الأجسام فان ذلك مما شاركه فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفونهم منهم وتكفرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
(٢) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلي في الضعفاء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشرط الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق
حجب الأمر والنهي
وتعلق الفرض فيها
والمراد بها ومنها فإذا
خلفوا نواحيها وقطعوا
معاطنها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهامه أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
النفس والعدو والدنيا
فإذا تخلصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر القدر وكيف خفي
بحكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عنف وشدة
في لين وبقوة في ضعف
وباختيار في جبر إلى
ما هو في مجاريه لا يخرج
المخاضون عنه طريقة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
الملكوت الأعظم
ورؤية عجائب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي واللوح المحفوظ
والجبرين الكتابة
وملائكة الله يطوفون
حول العرش والبيت
المحور وهم يسبحونه

استمعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالحياة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فإذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليملهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين . ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو لإجماع أو قياس جلي أفق وإن سئل بما يشك فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قاعمة ولا أدري ^(١) » قال الشافعي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يخفى الناس في كل ما يستفتونه لجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوتة أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سئلوا وجدوا من يكفهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يصدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومروا على وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يني ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلى وكان أبو العالية الرياحي وإبراهيم بن آدم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسر فإذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزير بني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين بني أم لا ^(٢) » ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشربها قال لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشربها الأسواق ^(٣) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل ابن عياض وشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك

- (١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قاعمة ولا أدري ، الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرغوبا نحوه مع اختلاف وقد تقدم
(٢) حديث ما أدري أعزير بني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة
(٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشربها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبرز والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوى وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر . وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار للهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدناه عاقبته وقال ابن حصين إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلحق بالحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عامة وهو الفقي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دحية كل أحد يقترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملاً وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام وإذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلغني أنك قدمت طبيياً تداوى المرضى فانظر فإن كنت طبيياً فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطيياً فاته الله لا تقتل مسلماً فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فتهيجوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حصي ورماهم به وقال سألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تنفض إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بهائياً يسع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّة إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد بإسناد ضعيف (٣) حديث . وإخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقدسونه وفهم كلام
المخلوقات من الحيوانات
والجمادات ثم التخطي
منها إلى معرفة الخالق
لكل والمالك للجميع
والقادر على كل شيء
فتشاهم الأنوار المحرقة
ويتجلى لمرآة قلوبهم
الحقائق المحتجبة
فيملكون الصفات
ويشاهدون الوصف
ويعجبون حيث غاب
أهل الدعوى
ويصرون ماعين
عنه أولو الأبصار
الضعيفة بحجب الهوى .
والحال منزلة العبد في
الحين فيصفو له في
الوقت حاله ووقته
وقيل هو ما يتحول
فيه العبد ويتغير عما
يرد على قلبه فإذا
صفا تارة وتغير أخرى
قليل له حال وقال بعضهم
الحال لا يزول فإذا زال
لم يكن حالاً . والمقام
هو الذي يقوم به العبد
في الأوقات من أنواع
للعاملات وصنوف
المجاهدات فتق أقيم
العبد حتى منها على
التمام والكمال فهو
مقامه حتى ينقل
منه إلى غيره

والكان هو لأهل
الكمال والتمكين
والنهاية فإذا كمل العبد
في معانيه قد تمكن
من المكان وغير
المقامات والأحوال
فيكون صاحب مكان
كما قال بعضهم :
مكانك من قلبي هو
القلب كله
فليس شيء فيه غيرك
موضع
والشطح كلام يترجم
به اللسان عن وجد
يفيض عن معدنه
مقرون بالدعوى إلا أن
يكون صاحبه محفوظا
والطوالع أنواع
التوحيد يطلع على
قلوب أهل المعرفة
شعاعها فيطمس
سلطان نورها الألوان
كما أن نور الشمس
يجو أنوار السكاك
والذهاب هو أن يغيب
القلب عن حس كل
محسوس بمشاهدة
محبوبها . والنفس
روح سلطه الله على
نار القلب ليطن في شرها
والسر ما خفي عن
الحلق فلا يعلم به إلا الحق
وسر السر ما لا يحس
به السر . والسر ثلاثة

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانتظام إلى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموحه بكلمة وكم من مقتصر على التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (١) وفي بعض الكتب السالفة يابى إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ولا في تخوم الأرض من يصعده ولا من وراء البحار من يعبر بآتي به ، العلم جمول في قلوبكم تأدبوا بين يدي آداب الروجانيين وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يعطيكم ويفمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفنوك وأفتوك وأفتوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به » (٢) الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب التجردين للذكر والفكر تغلو عنها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد للراقب وعرض على المفسرين استحسونه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطفاء الله تعالى بالهمم العالية التوجه إليه وكذلك في علوم الكاشفة وأسرار علوم للعامة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يغوصه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة ومهمل رعاى أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرمك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وحمل الأحذية بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلم أبقي باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاهنا إن ههنا علما جما لو وجدت له حيلة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيع نعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن ينزع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولا ذاك أو منوما بالذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب بشهائهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبياناته وكم وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه للترفون وأنسوا بما استوحش منه العاقلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف.

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليقين الإيمان كله » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم يفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « تعلموا اليقين » (٢) ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليتقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقيل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة » (٣) ولذلك قال ﷺ « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات الشركيين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمخنيين مختلفين أما النظار والتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشئ له أربع مقامات : الأول أن يتبدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى بإيقاعه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بآيات ولا نفي بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان تقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بينه لومات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجعانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأني النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ ارسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيمان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو معضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في التوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا قسم شيئاً بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة فسر
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقعت به
الإشارة . والوصل
إدراك القائل .
والفصل قوت ما ترجوه
من محبوبك . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزم الخدمة
والثاني أدب الخدمة
وهو التشمع عن
العلامات والتجرد
من الملاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موازنة الحق
بالمعرفة . والرياضة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صحة المراد
والتحلي التشبه
بأحوال الصادقين
بالأحوال وإظهار
الأعمال . والتخلي
اختيار الخلو
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجلى هو ما ينكشف
لقلوب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل للماقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكن التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهم بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمدى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون للوجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث غير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا الطبخ مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عند عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف قوياً كثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والتصرف في النفس بالتجويز والنعم مسمى ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يفادر فيه متسماً لغيره فيصير عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلالة فأما بالقوة والضعف فله الاصطلاح الثاني وذلك في القلب والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنهاى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلالة في الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضاً ما فيها يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ، أعنى الاصطلاح الثاني وفيما اتفق الشك أيضاً عنه لاسيلاً إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقه بين تصديقك بوجود مكه ووجود فذلك مثلاً وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستندهما جميعاً التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس وضوح ملاح له بدليل واحد كوضوح ملاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره التكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يرجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة

الغيوب والملة تنبه
عن الحق والارتجاج
اتقاء القلب من سنة
العقل والتحرك للأنس
والوحدة . والملاحظة
ثلاثة مشاهدة بالحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة للحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
آتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإصابة
بالفهم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
حجة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية من
السمو من حالة إلى
حالة آتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلوين
تلوين البعد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلوين
بظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلوين

متعلقات اليقين كما يقال فلان أ كثر علما من فلان أي معلوماته أ كثر ولذلك قد يكون العالم قوی اليقين في جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوی اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيها ذا يطلب اليقين فأنى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ماورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكن أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لاحكم لها فالمصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالته عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق للنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا ينضب عليهم بل يراها آيتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر لكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريثا من الغضب والحق والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيماق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجالا في الطلب ولم يشتد حرصه وشهره وتأسفه على ما فاتته وآثر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك فكما يحرس على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرس على الطاعات كلها قليلا وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلا وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القريبون وثمره هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد له واجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو القصد فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريره كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكاثنة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا القام في اليقين بورث الحياء والخوف والانكسار والتدلل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أ كثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربيع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه الصبر الصيرة . والصيرة غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والنهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه . والحرية إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا . واللاطفية إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة . والفتوح ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الخلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطائه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق . والوسم والرسم معنيان مجريان في الأبد بما جرى في الأزل . والبسط عبارة عن حال الرجاء والقبض عبارة عن حال الخوف . والقناء قناء المعاصي ويكون قناء رؤية العبد لعمله

بقيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التعلم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثة إرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمسك وإرادة الحفظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه وذلك موضع الإخلاص والمريد هو الذي صبح له الابتلاء ودخل في جملة النقطتين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسبا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشديق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطور والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أقاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورققا فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة (١) » وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى يفضيه فانه ممقوت في السماء والأرض ويروى في الاسرائيليات أن حكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من نفاقك شيئا قد قدم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق ووا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وقت لرضاي . وحكى الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعبد بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يعقهم وهم أحق بالتمت من ذلك الشرطي وروى أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال ﷺ صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيتك ذكرتك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم ينسك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين إذا رؤوا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا (٢) »

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم أجده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسل سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد تقدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الله عز وجل لا يدرى قدره وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل فحس علما أغاربه في أغباش الفتنة سماه أشباهه من الناس وأرذلهم علما ولم يعيش في العلم يوما سالما بكر واستكثر فساقل منه وكفى خيرا كثيرا وألمى حق إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فانزلت به إحدى الهمم هيأ لها من رأيه حشوا الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر عما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلاث وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعتم العلم فاعلموا عليه ولا تملطوه بهزل فتحمجه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا ضحك ضحكة ميج من العلم حجة وقيل إذا جمع العلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وطى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره شر الدقل (٢) ، وفي خبر آخر بثله معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الحشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الحشية فمن قوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وأما الخشوع فمن قوله تعالى - خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا - وأما التواضع فمن قوله تعالى - واخفض جناحك للمؤمنين - وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى - فبأرحمة من الله كنت لهم - وأما الزهد فمن قوله تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا - ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - قيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) . ومنها أن يكون

والمراد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات.

والهمة ثلاثة : همة

منية وهي تحريك القلب

للمنى وهمة إرادة وهي

أول صدق المرید وهمة

حقيقة القصور عن

ملاحظة ذروة هذا

الأمر والجهل فان

الأمراد والخطب جد

والآخرة مقبلة والدنيا

مدبرة والأجل قريب

والسفر بعيد والزاد

طفيف والخطر عظيم

والطريق مسدود وما

سوى الخالص لوجه

الله من العلم والعمل

عند الناقد البصير رد

وسلوك طريق الآخرة

مع كثرة الفوائد من

غير دليل ولا رفيق

متعب ومكد فائدة

الطريق هم العلماء

الذين هم ورثة الأنبياء

وقد شغل منهم الزمان

ولم يبق إلا للترميمون

وقد استحوذ على

أكثرهم الشيطان

واستغواهم الطغيان

وأصبح كل واحد

بما جل حظه مشغوبا

فصار يرى المعروف

- (١) حديث إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم خوفا في الدنيا الحديث لم أجده أصلا
(٢) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي (٣) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٤) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - الحديث الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن مسعود .

أكثر بعثه عن علم الأعمال وعمما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشر فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قربية وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وإنما الشأن في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شغبه ويطول تفريجه وكل ذلك مما يطلب مسبب الحاجة إليه وتم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في الحكومات والأقضية ويتبعون في وضع صور تنقض الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فأنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان في القامعين بها كثرة ويتركون ما يلزمهم ويكررون عليهم أثناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع منهم نفسه اللازم بهم غيره النادر إشارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشربها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الحسran المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم أتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة في شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل الحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلت أن الخير لا يسبقني عنه (١) وقال مرة فعلت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رأي أني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بجم المناققين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمرو وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المناققين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يجبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلي عليها نظرفان حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم فجاهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق ص والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجه مختصرا .

منكرا والنكر معروف
حتى ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أقطار الأرض
منطمسا ولقد خيلوا
إلى الخلق أن لا علم إلا
فتوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جدل يتدرع
به طالب المباهات إلى
الغلبة والإلغام أو سجع
مزخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إذ لم يروا ما سوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للحطام
فأما علم طريق الآخرة
هو ما درج عليه السلف
الصالح وهي جمع المهمل
بصفاء الإلهام
والغربة ثلاثة : غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة القصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرد بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الدهش عن
المعرفة . والاصطلام :
نعت وله برد على القلوب
بقوة سلطان فيسكنها .
والسكر ثلاثة : مكر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

المدسومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة الصوم فهو يقاسى الشدائد لينكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكهما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل القسري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس المزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يندل للمعوم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما القلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسرارهم فان للقلد إنما يفعل القفل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفضله لا بد وأن يكون لستر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فتأخذ منه وترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرأتهم أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورهم أدركت بالقرآن فسددم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والمبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على السمع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهم حتى أشار عمر رضي الله عنه بوقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تحاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من للتشابهات فأنشراح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك لجمع القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس مامن أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه برهه بلفظه من قوله ويدع .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق . والرهبة رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقدته والوجود : تمام وجد الواجدين وهو آتم الوجد عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكن والوجود مع التمكن والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي ينبني عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح المعاني والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه مئتا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والفوس في إبطال المقالات ، ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الانداس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون
فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والفاصل للزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام
هم المستمعون إليهم فكان لا يميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعلمهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم الطاء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون
سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنفسه إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت . ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات
الأمر وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف والناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام
ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب دقيق الهم وجليسه والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد
الشیطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فتم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرنا أتبعنا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طباعهم إليه ولم تسمع نفوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأى سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبعد
الدنيا لها ينضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما بمن
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك نكونوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يطولن عليكم الأمد فتسوق قلوبكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن البعيد ما ليس بآت (١) »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا على ماسلكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى الملكوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاونة
الوجودات الخس :
الداني والخس والخيالي
والعقلي والشهوي
حسبا فهم من الشرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقلما أدرك
شيء من المعجز والعلم
لا ينال براحة الجسم
ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزله
إليكم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء
قدرا (الوصية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصانيف
والستشرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنظر فيه بالله وفيه
وفي الله لأنه إن لم يكن

نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو إمام متبع أو صحة ميز أو ما يشاكل ذلك وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عليك لغيره ونكصت على عقبك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواء ورؤية غيره دونه تعمى القلب وتهتك السر وتحجب اللب وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغنى عنه في الظاهر وله إليه كثير حاجة في الباطن ولا تقف به حيث وقف به كلامه فالعلماني أوسع من العبارات والصدور أفصح من الكتب للؤلؤات وكثير علم مما

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأتقى من مالا اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خلقته وصلحت سريره وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأتقى الفضل من مالا وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنن ولم يمدحها إلى بدعة (١) » وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أتم في زمان خيركم فيه للشارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيراً من غيره فيه التثبت التوقف لكثرة الشبهات وقد صدق لمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيها خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وأن منكم اليوم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بغير ما صرتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاناً كثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم إذ من غير المعروفات في زماننا تزيين للساجد وتجيدها وانفاق الأموال العظيمة في دقائق مخابراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى في السجدة بدعة وقيل إنه من محدثات الحاجب فقد كان الأولون قداماً يحصلون بينهم وبين التراب حاجزاً وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من النكرات ومن ذلك التحسين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب والتساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال أتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله للثمان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان غشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوا اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه وإعماقال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب وورب يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان النبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يا مروان ما هذا البدعة فقال إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم إن الناس قد كثروا فأردت أن يلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لأصليت وراءك اليوم وإنما أنكر ذلك عليه « لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على النبر (٢) »

(١) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأتقى مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبرار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب الصرى وسط الحديث وكلها ضعيفة (٢) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحية ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف وروا في الصغير من حديث سعد القرظي كان إذا خطب في العيدين خطب على قوس وإذا خطب في الجمع خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بأسط كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس الحديث

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمك قال أن يتدع بدعة يحمل الناس عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بأبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ماتكم في السلف بالسكوت عنه جفاء وما سكنت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالنقط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التال»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما الضلالة لها حلوة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذر الذين أخذوا دينهم لعبا ولهوا - وقال تعالى - أئمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم بما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من الهوى وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجموا إليه محصورين فقالوا ما شأنكم قالوا مارأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد أتبعونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم قد صعبوا نبيهم وشهدوا نزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجموا إليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم شيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال جفاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا. فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم من حيث لا يملكون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية قال بعض العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يرضى إلى قوله بل ينبغي أن ينهم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ في أمرنا ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي فعليه لعنة الله الحديث الدارقطني في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنه شفاعته لم أجده أصلاً (٤) حديث عليكم بالنقط الأوسط الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على أبي طالب ولم أجده مرفوعاً .

لم يبر عنه واطمع بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدره ويقتضيه باب قصده ولا تقطعه بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحمين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيرة فانتشر الحسنة واطلب المآذير للسيئة ولا تكن كالذبابه تنزل على أفقر ما تجده ولا تجعل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجھيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عورة وله في بعض ما يأتي به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولي الله تعالى الخضر وكنيته موسى على نبينا وعليهما السلام وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بحال أو اختلال فخدمنا ظهره عليه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله

في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيها أحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً والعوام العصاة أسعد حالاً من الجاهل بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشغول به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمر عليه إلى اللوث وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى واقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والافتقار عنهم كإسباني في كتاب العزلة يانه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة للرعي ما ظنك عن يبق لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيد ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن الاستفادة إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا وسيلة إلى الشرف فيكون هو معينه على ذلك ورده أو ظهوراً أو مبرئاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له في البيع من يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكأن أحدر جلين إمامتصافاً بهذه الصفات أو معترفاً بالتقصير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث فليس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه بسيرة البطالين بسيرة العلماء الراغبين وتلتحق بمهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجهرر فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغرهم الحياة الدنيا ولا يضره بقاءه الضرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتكم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدّها ضلالة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمته وهابة لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» (١) وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكير شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تبحره التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون للشيخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلأأ على دياجته وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وإنما القصداً أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة فقال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل فهذه وصيقتك فاحفظها وتذكرى إياك فلا تذهل عنه : اسمع وصيقتي إن تحفظ حظيت بها وإن تخالف فقد ردى بك الخلف وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولي في وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا : العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتبا بالحشية لله سبحانه والورع في الدين والزهد في الدنيا والإيثارة عز وجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة وإطفاء نار البدعة قد أخرج للتكلمين وأخرج للتخرسين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ما ينازع شواهد بينة ونجومه نيرة قد حوى صراط الله للمستقيم والمهجوج عالم بالله وبأمره وبآياته

ولكنه قد الحشية قد
برؤيته لنفسه وحجبه
عن الورع والزهد في
الدنيا والرغبة والحرص
وبعد من بركات
علمه محبة الملوك
والشرف وخوف
السقوط والفقر فهو
عبد لعبد الدنيا خادم
لخدمها مفتون بصد
علمه مغتر بصد معرفته
مخدول بصد نصرته
شأنه الاحتقار لعم
الله والازدراء لأوليائه
والاستخلاف بالجهال
من عباده وفخره ببقاء
أميره وصلة سلطانه
وطاعة القاضي والوزير
والحاجب له قد أهلك
نفسه حين لم ينتفع بطله
والاتباع له ومن يكون
بعده قدوة به ومراده
من الدنيا مثله في مثل
هذا ضرب الله للكل
حين قال - واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها
فأصبح الشيطان
فكان من الضالين
ولو شئت لرفعناه بها
ولكنه أخله إلى
الأرض واتبع هواه فله
كمثل الكلب إن حمل

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور -
وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم
عنه واعلموا أنه ينجذكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم النظر حقير الخطر
دنى المنزلة رث الهبة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل النظر عظيم الخطر شريف المنزلة
حسن الهبة فصيحانطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا
يا أيكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك
أثيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان
جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز . فاعلم أن هذا من علم الكاشفة فلا يليق ذكره بعلم
العامة وغرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضي الله عنه قال « أتني قوم على رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما
يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلني من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن
ردى وماتم إيمان عبدا ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه
إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء
دعامة ودعامة المؤمن عقله فيقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل
ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الداري « ما السودد فيكم قال العقل
قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال
العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوم ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
« يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للراء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المهبر أحد الضعفاء في
كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول
ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة، وأبو نعيم من حديث
عائشة بإسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس أني قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا في الثناء فقال
كيف عقل الرجل الحديث ابن المهبر في العقل بتأمله والترمذي والحكيم في النوادر مختصرا (٤) حديث
عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المهبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث
إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث
ابن المهبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله
ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله
الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال
صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المهبر وعنه الحرث (٨) حديث البراء
كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث
ابن المهبر وعنه الحرث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا النازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم (١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أو فرم عقلا (٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله بما يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم بإعائشهم وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون (٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابد العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهد العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل (٤) » وقال ﷺ « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « آتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا (٦) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكترون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم المين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يفارق الإنسان بمسائر البهائم وهو الذي استعده لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتبأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستمد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن العاقل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المجر (٢) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل الحديث ابن المجر كذلك وعنه الحارث في مسنده ورواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذي رواه ابن المجر (٣) حديث عائشة قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المجر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه (٤) حديث ابن عباس لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل الحديث ابن المجر وعنه الحارث (٥) حديث إن أحب المؤمنين إلى الله من نصب في طاعة الله الحديث ابن المجر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسناد آخر ضعيف (٦) حديث آتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المجر من حديث أبي قتادة .

عليه يلهث أو تركه يلهث - فويل لمن يحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عبادته تراه إن أعطى من الدنيا رضى بالمدحة لمن أعطاه وإن منع رضى بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فعود بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وإنما زدتك هذه الزيادة وإن ظهر لكبرأتها ليست من الفرض الذي نحن فيه قصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان بقي منهم أحد فهو خير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

غاب الدين إذا ما حدثوا
صدقوا
وظنهم كيفين إن هم
حدسوا
وذلك لما سبق في
القضاء من ظهور
الفساد وعدم أهل
الصلاح والرشاد نعم
وعدم الصنف الثالث
على غربته وأعز شيء
على وجه الأرض وفي
الغالب ما يقع عليه في
الحقيقة اسم علم عند
شخص مشهور به
وإنما الوجود اليوم
أهل سخافة ودعوى
وحماقة واجترأ وعجب
بغير فضيلة ورياء
يحبون أن يحمداوا
بما لم يفعلوا وهم أكثر
من عمر الأرض
وصيروا أنفسهم أوتاد
البلاد وأركان العوام
وهم خلفاء إبليس
وأعداء الحقائق
وأخذان لموائد السوء
وعنهم رد عتب الحكم
الشائعة واتقاض أهل
الارادة والدين :
مثل البهائم جهال غالتهم
لهم تصاوير لم يعرف
لهن حبا
كل بروم على مقدار
حيلته

العلوم والناسم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع قد العلوم وكأن الحياة غريزة بها
ينها الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنها بعض الحيوانات
للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والجماد في الغريزة والادراكات الحسية فيقال لافرق
بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوما وليس يخلقها في الجماد والبهائم لجاز أن
يسوى بين الجماد والحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الجماد حركات مخصوصة بحكم
إجراء العادة فإنه لو قدر الجماد حاداميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر
على خلقها فيه على الترتيب الشاهد وكما يجب أن يقال لم يكن مفارقه للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت
به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يبرعها بالعقل وهو
كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك
العين تفارق الجهة في صفات وهيئاتها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين
إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس إلى البصر فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات
الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص
الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض
العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة الاستحيات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه
العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرا وإنما القاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال موجود إلا هذه العلوم .
الثالث : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبه المذاهب يقال
إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى
عقلا . الرابع : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقع الشهوة الداعية إلى
اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن
سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول
والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي
الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عاقلين فطبع ومسموع ولا ينفع مسموع

إذا لم يلك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل (١) » والأخير
هو المراد بقوله ﷺ « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك (٢) » وهو
المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا
قَالَ بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ فَقَالَ اجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَدْفِرْ أُنْصُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَكُنْ عَاقِلًا
وَاهْمِلْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ تَزِدْ فِي طَاجِلِ الدُّنْيَا رِفْعَةً وَكَرَامَةً وَتَقِلْ فِي آجِلِ الْعَقَبِ بِهَا مِنْ رَبِّكَ

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من
رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك
أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل
فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والتقرب وإسناده ضعيف .

عز وجل القرب والعز^(١) وعن سعيد بن المسيب «أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا^(٢) قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته^(٣)» ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الفريضة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من غشى الله تعالى فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالحجاز لغير تلك الفريضة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الفريضة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله للساء في الأرض فإنه يظهر بحجر البئر ويجمع ويتميز بالحسن لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم اتفقوا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقرر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني أنها كالمضمنة فيها القرب استعدادها للادراك ثم لما كان الإيمان مركزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسها بفعله ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لعلمهم يتذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا النمط تذكر ليس بعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه^(٤) السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتصنف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التسفات ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من التناقض وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحغار ويمتد فيها التهاوت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول

(١) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبي الدرداء ابن الحبر ومن طريقه محطرات ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الحبر (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الحبر من حديث سعيد بن المسيب مرهلا وفيه قصة .

(٤) قوله يستروجه : من الرواج أي يكون السماع والتقليد رافعا عنده فتأمل اه مصححه .

زوال الأسد والنباح

اللهنا

فاحذرهم قاتلهم الله
أي يؤفكون أخذوا
أيمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله إنهم
سواء ما كانوا يصلون .
أولئك كالأنعام بل هم
اضل أولئك هم
الغافلون .

أولو النفاق فإن قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولناخذ في جواب
ماسأل عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله تقود
البصيرة وحسن
السيرة وغفران
الجريرة وهو ربي ورب
كل شيء وإليه المصير .

[ابتداء الأجوبة عن

مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الأحياء
بقسم التوحيد على
أربع مراتب تشبها
لمواظفة الغرض في
التحليل به وذكرت أن
للمعرض وسوس أو
بالخاطر هجس بأن
لفظ التوحيد ينافي
التقسيم إذ لا يخلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له إنها في مواضعها وإنما الحلل في بصره فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفرس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضرم من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وعمى ضده عمى قال تعالى - فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثله دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم البادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قد يعا حادًا وكذا سائر النظائر وكل ما يدرك إدراكا محققا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لضعفها وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعروف لعائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرّة وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرّة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدله في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك الماصي من الجاهل لقوة علمه بضرر الماصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد مميّنا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لاحالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتات في الغريزة وإما تفاوتات في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشرافه عند من التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمو الخفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدرج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبقة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أحسن في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولا لما اختلف الناس في فهم العلوم

التي ليس بزائد عليه
فذلك لا ينقسم
لا بالجنس ولا بالفصل
ولا بغير ذلك وإما أن
يتعلق بوصف المكلفين
الذين توجب لهم حكمه
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انتسابهم إليه
بالعقل وذلك لضيق
المجال فيه ولهذا
لا يتصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلك
حق بين مسلكين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلbas وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان محض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال أكثر
التكلمين بتماثل
إيمان جميع المؤمنين
والملائكة والنبين
 والمرسلين وسائر عموم
الرسلين وإنما تختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذاهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنتم في هذه الإجابة
كلها بشيء من أنحاء
الجدال ومقابلة الأقوال
بالأقوال بل بقصد
إزالة غير الإشكال

ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالفهم إلا بعد تب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى - يكادزيتها بشيء ولولم تمسه نار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعن ماشئت فانك ميت واعمل ما هئت فانك عجزى» به (١) وهذا النمط من تعريف اللائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والجوهر فيها لا يليق بعلم العامة بل هو من علم الكاشفة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يعد أن يعرف الطبيب للمريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود للعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا يفهم التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت «يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك» (٢) فان قلت فما بال أقوام من التصوفة يذمون العقل والعقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندكم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب فذموا العقل والعقول وهو المسمى به عندكم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رساله فكيف يتصور ذمه وقد أثبت الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده محمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريد بين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها آدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما نارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف
(٢) حديث ابن سلام مثل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن لللائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الهجر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

ورد ما ظن به أهل الضلال والإضلال .
واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أنحاء يتوجه منها شيء قدح به المقترض أو هجر به الخاطر وإنما للاستعمل ههنا من أنحاء ما تميز به بعض الأشخاص بما اختصت به من الأحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والليل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به يسمى أيضا موحدا على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعي والحنبلي حنبلي

ومن رزق علم التوحيد
وما يتحقق به عنده
وسمى من أجله
بشكوكه المارضة له
فيسمى موحدا لأنه
عارف به يقال جدلي
ونحوي وقهه ومعناه
يعرف الجدل والفتنة
والنحو . وأما من
استغرق علم التوحيد
قلبه واستولى على جملة
حق لا يجد فيه فضلا
لغيره إلا على طريق
التبعية له ويصكون
شهود التوحيد لكل
ماعداه سابقا له مع
الذكر والفكر مصاحبا
من غير أن يعتريه
ذهول ولا نسيان له
لأجل اشتغاله بغيره
كالعادة في سائر العلوم
فهذا يسمى موحدا
ويكون القصد بالمسمى
من ذلك البالغة فيه .
فأما الصنف الأول وهم
أرباب النطق بالفرد
فلا يضربون في
التوحيد بسهم ولا
يفوزون منه بنصيب
ولا يكون لهم شيء من
أحكام أهله في الحياة
إلا مادام الظن بهم أن
قلب أحدهم موافق
لسانه كما يفرد القول

ثم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل
الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فتقول
وبالله التوفيق : الحمد لله للبدى للعبد الفعالم لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والسلوك السديد النعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار محبه الأكرمين الكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو
شاهد للمعرف بإمام أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قويم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا يزال موصوفا بنموت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانقضاء بتصرم الآباد وانقراض
الآجال بل هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور
ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا عمله
الجواهر ولا بمرض ولا عمله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ليس كشيء ولا هو مثل
شيء . وأنه لا يحده القدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتشفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن العاصية والاستقرار
والتكبير والحلول والاتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومهرون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء
كما لا تزيد بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى البعد من جبل الوريد وهو
على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء
ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواء ولا في سواء ذاته
وأنه مقدس عن التغير والاتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزلها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالقول مرتين
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما منه للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا يحجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمارضه
فناء ولا موت وأنه ذو الملك والمكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع التوحد بالابحاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصارييف
الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تنهاى معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(هـ كتاب قواعد العقائد)

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سموا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر به ويلزم البشر قول لا إله إلا الله للنبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فראوا على كل منها خطأ منطبقا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر إلى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

يظهر ديب الفلحة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة النور في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر يعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الإرادة : وأنه تعالى مرید للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والمسلوك قليل أو كثير صغير أو كبير خيرا أو شرا تقع أو ضرر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتته لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيته لقته ناظر ولا قلته خاطر بل هو المبدى العبد الفعال لما يريد لا إرادة لأمره ولا مقب لقصائه ولا مهرب لبعده عن مصيبته إلا بتوقيفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن واللائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيته لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مریدا في أزاله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أرادته في أزاله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا ترصد زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سمع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم آمرناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو سطكك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه للنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالأسنة مكتوب في الصحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مریدا مميما بصيرا متكلم بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا يعجز دالت . الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعما وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم يتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسما وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأ إنشاء بعد أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في الأزل من كنهه لا لا فقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده للؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه وعيده

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به . معنى الكلمة الثانية : وهي الشهادة للرسول بالرسالة وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمد صلى الله عليه وسلم برسالة إلى كافة العرب والمجم والجن والانس ففسخ بشرية الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترب به شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيان هائلان يقعدان العبد في قبره سويًا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك (١) وهما قناتا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بمذاب القبر (٤) وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرته الله تعالى ، والصنح يومئذ مثاقيل النور والخردل تخفيًا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها للميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها للميزان بعدل الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر محدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه قهوى بهم إلى النار وثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالخوض للورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت أو قال أحكم أتم ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما النكير وللآخر النكير وفي الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما قناتا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قناتا القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجه من حديث عائشة إنكم تفتنون أو تعذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طباق السموات والأرض البهيقي في البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أبخف ميزانه أم يشغل زاد ابن مردويه في تفسيره قالت عائشة أي حي قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء وترجح إحداها وتخف الأخرى والترمذي وحسنه من حديث أنس وأطابني عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان بالصراط وهو جسر محدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشبان من حديث أبي هريرة ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفع أحمد من حديث عائشة والبهيقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلًا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم شرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم القريبون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين (٥) ويسأل للبتدعة عن السنة (٦) ويسأل للمسلمين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج اللوحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد

(١) حديث الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة آيته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث ابن عمر أما لكم حوض كما بين جرباء وأدرج . وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن صبرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب ولشيوخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حساباً يسيراً - قال ذلك المرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأمّ قليل هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمّتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فها استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر فها استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين بديه الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لييك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتيه فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمه الحديث . ولابن ماجه يحمي النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازماً للدعوة ماداً إليه وإن دعا رجل رجلاً وإسنادها ضعيف (٧) حديث سؤال للمسلمين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتي في الصلاة .

التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيجاده عن غيره وعقلت أنها علفت توحيدة فسبحان من يسرها لذلك وتفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجوداً لديه فيما لا يزال وهم القريبون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن يعرف ربه موجوداً لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده فأما من عدت عنده فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو طي قريب يمكن وصول عليها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعّد عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعه الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن يؤمن من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٤) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المبرّد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يفرغ سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار

(١) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيوخ من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعه الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنين ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يصلوا خيراً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى وللشيخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . وللطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به والتقليد هو العوام وهم أهل للرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لسنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فإلّا لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل للرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل للرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائر بين النفي والاثبات ومحصور بين المبادئ والغايات ولم يدخل أهل للرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث مزيد شرح وبسط بيان تعرف منه ماذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين وبما لهم وسماهم وسماعهم وهياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربة له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل أكثر مما يعمده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالبيان برهانا قس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة التكلمين والمجادلين قس اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة التكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل في الهواء تفيثه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم الدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوء على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة اختصت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيق الوعد عز وجل إذ قال - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يحم الحسنيين - وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقرين وإليه الإشارة بالسرا الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كثافات الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه . مسألة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خيره من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإن أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأمل رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن يظفر في الكلام . وحكى الكراييني أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب بما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لقروا منه فراهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفراني قال الشافعي حكى في أصحاب

كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يستقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يملوه لا يتصورون صحته ولا فساد ولا كذبه ولا خطأ ولا صوابه إذ لم يحشوا عليه ولا أرادوا فهمه إما بعد همهم وقلة أكثراتهم وإما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يئزهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموها فارقوا راحت أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فككون عيشتهم منغصة وملازم مكدر من خوف

عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنع عنه مخافة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنسجة أو كثير منها فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقيه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأساً. مثل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يستقد وما دعانا النطق إلا مساعدة الجماهير وانحراباً بظاهر القول في الجمل الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة المسلمين أحدهم في القبر إذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون قولا قتلته

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالع في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على البدعة وقال له ويحك أأنت تحكي بدعتهم أو لأنهم ترد عليهم أأنت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعوم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أرايت إن جاءه من هو أجدل منه أبدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون»^(١) أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستنباء^(٢)، وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظنهم الأستاذون والقدة ونحن الأتباع والتلامذة وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المحدثين من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولوعرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحدث هو المعنى فنحن لانعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كاجاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المحدث هو القشع والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن السكر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى - قل هاتوا برهانكم - وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم من سلطان بهذا - أي حجة وبرهان وقال تعالى - قل لله الحجة البالغة - وقال تعالى - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى قوله - فبهت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإخامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر جدالنا - وقال تعالى في قصة فرعون - وما رب العالمين - إلى قوله - وأولو

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم الاستنباء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث ولقرننذي من حديث أنس وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهام عن الكلام في القدر وقال أمسكوا. تقدم في العلم.

جشك بشي ميين سوطي الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فسمدة أدلة للتكلمين في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وفي النبوة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحيى الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون للنسكرين ويجادلونهم قال تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنسكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من من دعوة البتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلهمم فقال ماتقمون على إمامكم قالوا قاتل ولم ينسب ولم ينضم فقال ذلك في قتال الكفار أرايهم لو سميت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أ كنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألغان وروى أن الحسن ناظر قدر يفرج عن القدر وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد ابن عميرة في الإيمان قال عبد الله لوقلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هدمزلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث واليزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلنا أنتم من أهل الجنة فمن أجل ذلك يقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة فيقال أما قل خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إخماد الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الخصم أو لجاجة لطال لاهماله إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الدور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيذا للخاطر أو لادخار الحاجة حتى لا يجر عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بدمه في كل حال أو بمحمد في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك للسلم في وقت الحيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قلبه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالمسل فان كثيره يضر بالهرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على المعدل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومعه حرام أما مضرته فثلاثة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان لا حريت ولا تليت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الدين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه ففرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا النسكرويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « متفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار وإذا رجعوا إلى أهل

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
البتدعة للبتدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبتدع العاصي يمكن أن يزول اعتقاده
باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدرُوا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويسرك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراه ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء الضال
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعة فقد يظن
أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخبط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما
خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قل له بعد حقيقة الحجة وبعد التخلل
فيه إلى منتهى درجة التكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتحقيق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفع الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على الدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعة شيء
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجعها على العوام وحفظها عن تشويشات البدعة بأنواع الجدل
فإن العاصي ضعيف يستغزه جدل البدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف
الصالح عليها والعلماء يتبعون بحفظها على العوام من تلبسات البدعة كما تعبد السلاطين بحفظ
أموالهم عن نهجمات الظلمة والفساد وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبغي أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضره إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تأمنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بذلك بالإصلاح وأما العاصي المتعمد للبدعة فينبغي أن
يدعى إلى الحق باللطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف القنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق
أدلة القرآن والحديث المزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل للوضع على
شرط التكلمين إذ العاصي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها التكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فإن هجر عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرُون على دفعه فالجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القرينة
المقبولة البينة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض على
اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بعلة فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامة فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل فجاء أن يلقي إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر
قدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذعوا فلا بأس أن يملأوا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات البدعة إن وقعت

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث التثكلمين فإن أقنعه ذلك كفى عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه قسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى النع أو العمى وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيد الإطباب والتقرير غموضا . ولوقال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والخطاير آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشجيدهم كان كقوله لعب الشرطج يشجذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فإن الخطاير يتشجذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمدها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به . فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع البدعة والآل قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشغل العلماء بشئ ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولوترك بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه البدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه البدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعلم ينبغي أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف بمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت . الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والقدم لا ينتفع بحججه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه . الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرم على إزالة الشبهة بل يقتضيها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يخدمه مثل هذا التعلم أكثر مما يضره وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجاج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغافل في التفسيات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوزة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نهى عنه وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الحوارج

فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكيم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الدهن وفرط البلالة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا ومحاذاة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعنى المحترم قبل تحصيله المقدم مع هذا البليد البعيد بعض ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى: فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي . وهو أرحم الراحمين فيخرج

من النار أقوام لم يصلوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة فيكون في أعناقهم
سمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
وإنما اختصرت منه
قدر الحاجة على اللغز
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث أجمعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمة ولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة المالكين ما
عثر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيف
الموحدين وإن لم يشر
عليهم فهم صائرون إلى
جهنم خالدين تلفح
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ النبوي عن
التوحيد إذا انفرد
عن المقد وتجرد عنه
لم يقع به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسيه نجا إلا مدة
حياته عن السيف
أن يراق دمه واليدان
تسلط على ماله

وما تقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ
هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالسكينة على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المبادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر
الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مسئلة] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها
جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شئ من أشغال الدنيا سوى للطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعلم بل الظاهر والباطن والسر والعلم واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدوا عليه فلم يمكن لهم ترقى إلى شأو العلماء ومقامات الأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما (١) » وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما حجة لو وجدت لها حجة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم (٣) » وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كهيئة الكون لا يعلمه
إلا العالمون بالله تعالى (٤) » الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا (٥) » فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولم يفي آخر فلم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتنزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لرجتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبسته
وأما الآخر لو بسته لقطع هذا الخلق . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام
ولا صلاة ولكن بسروقر في صدره (٦) » رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبتله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسمه إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد . وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة والنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلم باق سر لو أظهره

(١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث
ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كهيئة الكون
الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث
عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لتصور فهمهم فاذا ذكره ليد بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يظني " نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة [مسئلة] فان قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فيبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن إن كان مناقضا للظاهر فيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلا الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقض ولا يخالفه فهو فيزول به الإنقسام ولا يكون للشرع سر لا يخفى بل يكون الخفي والجلي واحدا . فأن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم الكاشفة ويخرج عن مقصود علم العامة و غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تصدنا بتلقيها بالقول والتصديق بقدر القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشرح الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فن قال إن الحقيقة تخالف الشر أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها للتقريب يدركها ولا يشاركهم إلا كثرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : الله الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تسكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وحده أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تنقص أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الراد وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه (١) من هذا القسم فان حقيقته مما تسكل الأفهام : دركه وتنقص الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوقا لرعول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يأن يكون ذلك مكشوقا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأداب الله فيسكتون عما سكت عنه بل في صفاء الله عز وجل من الخفايا ما تنقص أفهام الجماهير عن دركه . يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرها حق فهمها الخلق بنوع مناه توهونها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض النامية شيء لم يفهموه بل لغة الجماع ذكرت للصبي أو العنيد لم يفهمها إلا بما يناسبه إلى لغة الطغوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لغة الجم والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفاته نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو بما كانت له قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة الباطن إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به . الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) ولي

(١) حديث كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم قلم برد عليهم شيئا الحديث .

(٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

إذ لم يعلم حتى حاله حسن فيه أن يشبه بفشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أي يجالس الطعام ولا تشبه النفوس إلا مادام منطويا على طعمه صوتا على له فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لإخفاء في صحته والفرص بالتمثيل تقرب ما غمض إلى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على التعلم والسمع فهمه وليس من شرط الثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يصكون مطابقا للواحد المراد منه .

[فصل] فان قلت لما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق من النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله

وهم في الظاهر قادرون على ذلك وما السانع الحسنى الذى منهم وأبدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم ثقة فاعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من المقصد ولكن لابد إذا وقع في الأصماع ووعته قلوب الطالبين واشتاتت إلى صماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتفتح به النفوس بحول الله وقوته، نعم ما سبق في العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق السكالية والشيم الدنائة والطباع السبعية وغلبتها عليهم واللائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والقلوب بيوت تولى الله بنامها يسه وأعدا لأن

للعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالصعوبة عن إدراك كنهه خلاه ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتنبض عنان الكلام عن هذا النقط وترجع إلى الفرض وهو أن أحد الأقسام ما تسكل الأفهام عن إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (١) » القسم الثانى من الحقيقت التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا بكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر السامعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفايش وكانضرب رياح الورد بالجمل وكيف يعدهذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيتته حق في نفسه وقد أضر سماعة بقوم إذ أومهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه وتقيض الحكمة والرضا بالتبعية والظلم وقد ألد ابن الراوندى وطائفة من المتدولين على ذلك وكذلك سر القدر لو أفشى لأومهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصرو أفهامهم عن إدراك ما ينزل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوم ما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فعمل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرائها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لمعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم . القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحها لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكفى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه كالمو قال قائل رأيت فلانا يتلذذ الدر في أعناق الخنازير فكفى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير ففطن لدرك السر والباطن في تفاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السكك الأعزل

لا زال بنسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب للقبل

فانه عبر عن سبب محاورى في الاقبال والادبار برجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن معنى المعنى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار (٢) » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقيره فيضاد معنى السجدة مضادة النار لاتصال أجزاء

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهها ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بين الله وبين اللائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بيني وبينه سبعين حجابا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث أبي موسى حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا بين ما به شيء أدركه بصره .

(٢) حديث إن للمسجد لينزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحق وهو القصد دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي أما العقلي فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الحق وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقما في تفهم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل في كنياته عن الاقتدار قوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون - فان ظاهره ممتنع إذ قوله كن إن كان خطا بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ للعدوم لا يفهم الخطاب حتى يتمثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهم غاية الاقتدار عدل إليها . وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والتفاح فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهداية التي تنفع الناس تمكث ، وفي هذا القسم تصق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من اليزان والصراط وغيرها وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر . القسم الرابع : أن يدرك الإنسان الشهادة جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والدوق بأن يصير حالا ملبسا له فيتفاوت العلان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدق الإنسان بوجود المشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدقه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك فترق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام الأربعة تفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام . القسم الخامس : أن يمر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نظما والبصير بالحقائق يدرك السرفيه وهذا كقول القائل : قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالبلد يفترق في فهمه إلى أن يقدّر لها حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة .

(٢) حديث قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خدائن علمه ومشارك مصكّناته ومهيطة ملائكة ومغاشي أنواره ومهابت فحاته ومحال مكاشفاته ومجاري رحمة وهياها لتحصيل المعرفة به فحق كان فيها شيء من تلك الأخلاق للذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للذمومة التي حلت فيهم وهي التي ذم الكلب لأجلها لما احترمت للملائكة بأذن الله عن حلولها فيها وهي لا تغلو من خير تنزل به ويكون معها حينما حلت حل الخير في ذلك القلب بحلولها وإنما هي لها خفيّا وجدت قلب خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على الملائكة ما زعمها عنه

بحرف وصوت وتقولان آمينا طائمين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هذا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فالبليد يخترق فيه إلى أن يقدر لأجماعات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحانه الله ليتحقق تسميحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبعا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحداية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء ٤ آية يدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكال العلم لا يعني أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك مامن شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويقيه ويدبره أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجة يشهد لحالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسميهم - وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما القريون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسميحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم العامة فهذا الفن أيضا يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - وقوله تعالى - وقالوا لجباؤهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الليزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون - وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعد كون كل مكون حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود بين الله في أرضه (١) » وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وقوله صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين (٢) » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسم للباب ورعاية لصالح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمرؤها كاجأت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعا بصيرا وأولوا للمراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر والليزان والصراط وخيلة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتغالها على الأكلات والشهوات والنكوحات ولللاذ

(١) حديث الحجر بين الله في الأرض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمين ورجاله تحت .

من تلك الأخلاق للنسوة بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت واتسراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثر فيه من متاعها واستماتت بغيرها حتى عتلى البيت من متاعها وجهازها وهو الإيمان بالله والصالح وضروب العارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قتله الله وطرده عن ذلك المثل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب اللعاب وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد

انشرحه وهكذا حال
من آمن وكفر وأطاع
وعصى وذل واعتدى
فان قلت : فيزلي
أصناف هذه الأخلاق
الذمومة التي صددت
هؤلاء الأصناف
الذكورين عن اعتقاد
الإيمان ونفرت الملائكة
عن النزول إلى قلوبهم
بكشف معاني التوحيد
ومنهم من الحلول فيها
حق لم ينالوا شيئاً من
الحيرات السكائن معها
فاعلم أن الأخلاق التي
لا يجتمع معها الملائكة
في قلب واحد كثيرة
والتي في قلوب هؤلاء
منها معظمها وهي الطمع
في غير خيط والحرس
على فان حقير . وأما
الصنف الأول فانهم
رجعوا وخافوا أن تبدو
لهم صفة ما يشغلهم عن
قدراتهم وينقص عليهم
ما رغبوا فيه من
راحاتهم وتكدر لديهم
منال شهواتهم فأبقوا
أمرهم على ما هم عليه .
وأما الصنف الثاني
والثالث فقدم أيضاً
خوف وجزع وحرس
على ما ألقوه من تبجيل
أحدهم أن يزول

المحسوسة والنار واشتغالها على جسم محسوس يحرق بحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترتبهم إلى
هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية
وأنكروا حشر الأجساد وقالوا يبقا النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم
لا يدرك بالحس وهؤلاء هم السرفون وحد الاقتصاديين هذا الانحلال كله وبين جمود الخنابة دقيق
غامض لا يطلع عليه إلا الوقفون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالساع ثم إذا انكشفت لهم
أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين
قررروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين
له موقف والأليق بالتقصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء
عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض
بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفه فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا
رأينا أن تقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررتها وأنهم لا يكفون غير ذلك في الدرجة
الأولى إلا إذا كان خوفه تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوازم من
الأدلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوازم ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل
القدس وصيناء الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب .
الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فقول : بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهن الحق بالهداية إلى دعائم الدين
وجنبهم زينغ الزائعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه
الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين
ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا
أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصل إن لم يتحقق الإحاطة
بماتدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلتي الشهادة على إيجازها تتضمن
إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفضاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه
الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى
ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته
ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حياً عالماً قادراً مريداً صميماً بصيراً متكاملاً منزهاً عن
حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة
أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق
والاختراع وأن له تعالى تكليف ما لا يطاق وأن له إيلام البرى ولا يجب عليه رعاية الأصليح وأنه لا واجب
إلا بالشرع وأن بنة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع
في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر
والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشرائط الإمامة .

فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى

وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

وما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من العصرات ماء فنجاء لنخرج به نباتا ونباتا وجنات الفايا - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب السخريين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجها - وقال تعالى - أفأنتم ما تمنون - أتم تخلقونه أم نحن الخالقون - إلى قوله - للمقوين - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها متهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفى الله شك فاطر السموات والأرض - ولهذا بث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللإله إله فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما ينفي عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار يقول من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب فجلى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديره وتأخير فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى المختص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دواوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وانكار فإن من عقل جسا لاسا كنا ولا متحركا كان لمن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا . الثانية قولنا إنهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ماشوهد منها وما لم يشاهد لها من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منها حادث لطريانه والسابق حادث لصدمة لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولولم تنفص تلك الحوادث بمحملها لانتهى التوبة إلى وجو الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شغفا أو وترا أو شغفا وترا جميعا أو لا شغفا ولا وترا ومحال أن تكون شغفا وترا جميعا أو لا شغفا ولا وترا فإن ذلك جمع بين النفي والإثبات إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شغفا لأن الشفع صير وترا بزيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا إذ الونر صير شغفا بواحد فكيف يجوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شغفا ولا وترا إذ له نهاية فتجصل من

ومؤانسة أشياءهم أن
تغير وتذهب ومواساة
إيلافهم أن تنقطع
واستقالاتها شاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلزموه وفرارا من
شرائطه وما يصحبه
من الأعمال والوظائف
إذ يمتلوه والكلب
ما ذم لصورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحسائس
والجزع من الصبر على
ما يسهل من الفضائل
حق احترمت اللاتسكة
أن تدخل بيتا فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لا تفارق
قلب الكافر والمعاصي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق الذمومة
التي هي كلاب نابغة
وذئاب عادية وسباع
ضارية وأصناف الخير
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة اللاتسكة
وهي لا تدخل موصفا
يحل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
معه ولم تصل إليه قط

هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من الدركات بالضرورة. الأصل الثاني : العلم بأن الله تعالى قد يرزق، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو أيضاً إلى محدث واقتصر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى مالا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئته ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أنديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بعدمه بضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدمه بضاده لأن ذلك العدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فإن كان الضد للعدم حادثاً كان محالاً إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فإن سماه مسم جوهرًا ولم يرد به التحيز كان غلطاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصاً بحيز بطل كونه جسماً لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الاقتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحوادث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو شيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطاً في الاسم مع الإصالة في نفي معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده . ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تقبل إلا لوجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثل شيء . وأن يشبه المخلوق خالقه وللمقدور مقداره وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه ومنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشايبته . الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزلة الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفلى لما يلي جهة الرجل حتى إن الكلمة التى تدب بمنكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحته وإن كان في حقا فوقاً وخلق للإنسان اليدين وإحداها أقوى من الأخرى في القالب فحدث اسم

هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمناً معصوماً فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا الفهم . فاعلم أن هذا يستدعى أصنافاً من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام للعلوم والقول وللمنى في جواب ما سألت عنه أن للشيطان غفلات وللأخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمت قلباً خالياً ولو زماناً ما فر ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه من الخير تشوقاً وتزوعاً أورد عليه ما يعلو ويستغرق له وإن صادف منه صحواً وسمع منه بجنود الشياطين استغاثته بالأخلق الكلاية استعانة رجل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلأب عن لمة ملك أو نزغة شيطان . فإن قلت : فأى بيت فهم

عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأي كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكتب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملة أن القصد بالإخبار هو بيت اللبن وكتب الحيوان معلوم ولا يترك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما ينهك عليه ويتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تنج القلوب المستضاء ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من تقور مقلة فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما في معناه ومشابهه من الجهة التي تصلح أن يعديها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب مبلغ أوعى من سامع وحامل

اليمن للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمن يمينا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدم للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولولم يخلق الإنسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن العقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بمحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصا بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الإنسجام مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وهو محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن . العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو القوي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

واضطرت أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرت أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود عين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون التمكن جسا محاسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بنوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك . الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإنجاد والاختراع لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه وينأويه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

ففيها آلهة إلا الله لقدتنا - ويأنه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومدافته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم عظم في صنعه مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من دياج حسن النسيج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لا قدرته كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل العباوة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات - لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لاستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع اللزبن بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقصاص في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادره عن إرادته فهو البدئ للعبد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضده له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد التقديرين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص العلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن ينفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سمعا بصيرا والسمع والبصر كاللا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على آية إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له - لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا ينفي عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكاعقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب وماغ فليقل كونه بصيرا بلا حدقة ومميما بلا أذن إذ لا فرق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهة الشراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يمتعه عقله ولا نهانها عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم

قوله إلى من هو أفعه منه
سؤال : فان قلت قد
قال النبي صلى الله عليه
وسلم « لا تدخل
اللائكة بيتا فيه
صورة » وعلم السبب
الذى جاء هذا الحديث
عليه وفيه فهل يمدى
عن سببه ويترقى منه
إلى مثل ما ترقى من
الحديث الآخر فهذا كما
قبل الحديث شجون
وأبتنا هذا الباب
ما يقرب منه ويعد
علينا التخلص عنه نعم
يترقى منه إلى قريب من
ذلك وشبهه ويكون
هذا الحديث منها
عليه وهو أن الصورة
النحوتة قد اتخذت
آلهة وعبدت من
دون الله عز وجل وقد
نه الله عز وجل قلوب
المؤمنين على عيب فعل
من رضى بذلك ونقص
إدراك من دان به حين
قال حضرا عن إبراهيم
عليه السلام حيث قال -
أصعدون ما تحتون
والله خلقكم وما
تعملون - فكان
امتناع اللائكة من
دخول بيت فيه صورة
لأجل أن فيه ما عبد

من دون الله سبحانه
أو ما حكي به ما هو على
مثاله ويترقى من ذلك
المعنى إلى أن القلب
الذي هو بيت بناء الله
ليكون مهيأاً للملائكة
ومحلاً للذكر ومعرفة
عبادته وحده دون
غيره فإذا حل فيه
معبود غير الله سبحانه
وهو الهوى لم تقر به
الملائكة أيضاً . فان
قيل فظاهر الحديث
يقتضى منافية الملائكة
لكل صورة عموماً وما
ذكرته تعليلاً ينبغي أن
لا يقتضى إلا منافية
مأبداً أو ما تحت على
مثاله . قلنا تشابهت
الصور النحوتية كلها
في المعنى الذي قصد بها
التصوير لأجله وهو
مضاربة ذى الأرواح
وما تحت للعبادة إنما
قصد به تشبيه ذى روح
فلما كان هذا المعنى
الجامع لها وجب تحريم
كل صورة منافية
للملائكة . فان قيل
لما وجه الترخيص فيها
رقم في ثوب فذلك لأنها
ليست مقصودة في
نفسها وإنما المقصود
الثوب الذي رقت فيه .

فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء
وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين التأخر عن الباء قديماً فتره عن الالتفات
إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بعض العباد - ومن يضل الله لهاله من هاد - ومن استبعد أن
يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاماً ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجوداً
ليس بحجم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره
فليقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات
فليقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع مادل عليه من العبارات وإن عقل كون السموات
السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك
مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحمل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة
والقلب والورقة فليقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة محفوظاً في القلوب مكتوباً في المصاحف من غير
حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه
في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولا حرق . الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه
قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلاً للحوادث داخل تحت التغير بل يجب للصفات من
نوع القدم ما يجب للذات فلا تغتريه التغيرات ولا تحل الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفاً بمحامد
الصفات ولا يزال في أبدنه كذلك منزهاً عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبتت الحدوث للأجسام من حيث تغتريها للتغير وتقلب الأوصاف
فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبغي على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما
الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق
ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علماً متعلقاً بما في قلب أبيه من الطلب صار مأموراً بذلك
الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليقل قيام الطلب الذي دل عليه
قوله عز وجل - اخلع نعليك - بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به به - وجوده إذ خلقت
له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم . الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته
وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم
الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلعت الشمس كان
قدم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذلك ينبغي أن يفهم قدم
علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللاتقة
بها على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو
مريداً لها كما لا تكون أنت متحرراً بحركة ليست في ذاتك وكيف قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة
أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تختقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث
إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم بعلمه حي حياة
قادر بقدرته ومريد بإرادته ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من
هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم
فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتل
ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم
بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم

فليجوز انفسكا كه عن المعلوم وانفسكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .
(الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواء ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعمهم وأوجد قدرتهم وحر كتهم لجميع أفعال عباد مخلوقه ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسروا قولكم أو جهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وإسرارهم وإظهارهم لعلهم بما ورد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لخلق العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات مماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها لما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتعجب فيه عقول ذوى الألباب فكيف انقردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات . الأصل الثاني : أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسبه وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات للكسبية وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاتصاف في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرته العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلًا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجرى في الملك والملكوت طرفة عين ولا فتنة خاطر ولا فتنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيتته ومنه الشر والخير والنفع والضرب والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والترك والإيمان لأراد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرها ولا يريد لها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لئنه الله سمع أنه عدو لله سبحانه والجارية على وفق إرادة العدو أكثر من الجارية على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لوردت إليها رياسه زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند البدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهاظروا أن أفعال العباد مخلوقة لله صرح أنها مرادة له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد

فان قيل لما بال الثياب
رخس في محاسنها
بالصور وذات أنواط
في العرب مشهورة
مطلومة فاعلم أن
ذات أنواط إنما كانت
شجرة في أيام العرب
الجاهلية تعلق عليها
يوما في السنة فاخر
ثيابها وحلى نسائها
لأجل اجتماعها عندها
وراحتها في ذلك اليوم
ولم يكونوا يقصدونها
بالعبادة لما كانت بغير
صفة التماثيل للنحوتة
والأصنام ولو كان ذلك
ماسأل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يجعل لهم ذات أنواط
حق أنكر النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك
عليهم ولو عبدت فقد
عبد كثير من خلق
الله تعالى كالملائكة
والشمس والقمر
وبعض النجوم
والسبح عليه السلام
وعلى رضى الله عنه ولم
يبدوا ما نحت على
شكل النبات فلم تعبد
من هذه الإذات روح
فما أبدع من دركها من
حرمة الله تعالى إياها
فله الحمد وهو أهله .

قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فصاحبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجة بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعشيد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد أمثاله ولو لم يكن أمرا لما كان عذره عند السلطان محمد اولو كان مريدا لا أمثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمر والنهي وكيف ينهدف لإيجاب أو يترخص للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر وأن أراد به المعنى الثاني فهم مسلم إذ بعد سبق العلم لا ينمن وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباد كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فاما أن يخلقهم في دار البلياء ويرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فإني ذلك غبطة عند ذوى الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجوز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألو إذا ذلك فقالوا لا ولا نعم لنا ما لا طاقة لنا به . ولأن الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أبا جهل لا يصدق ثم أمره بأن يأمره بأن يصدق في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدق فكيف يصدق في أنه لا يصدق وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن الله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صلب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم يتقدمها جريمة . فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قامت من الإلام ويجب ذلك على الله سبحانه . فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقعة عركت حتى يشيها على آلامها قد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائة مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يارب لم رفعت منزلته على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتي في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد قد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضله فيقول الله تعالى لأنني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر للمعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فانارضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فهذا يجب عن ذلك وهل يجب عند

[بيان أصناف أهل الاعتقاد المجردين]

وأما أهل الاعتقاد المجردين عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالأدلة وشده بالبراهين فقد اتسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقرّوا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروا في أنفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفراط بعدم وغلظ طبائهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم الموحدين وتحمقنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضى الله عنهم ثم لم يلبثنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والعروق عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه وهؤلاء

هذا إلا لقطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل هما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستبح قتل الشخص أو لياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من محاسبة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح ، وأما الحكيم منايراعى الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى بيان وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه وليس في المآل إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وإنما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فإذا قال المكلف للنبي إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدنى ذلك إلى إفحام الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضا هي قول القائل للواقف في موضع من اللواضع إن وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورأى ولا ألتفت ورأى ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المهرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتصرفوا إلى صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلهلكم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإنما على البلاغ المبين قال شرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي إلى الهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال النجبة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كعاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
بقوله سبحانه لا يكلف
الله نفسا إلا وسمها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات محال
وسبدي لك طريقا
من الاعتبار تعرف به
صحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والصف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
النطق واعتقدت مع
ذلك أنواعا من الخبايل
قام في مخيلتها أنها أدلة
وطائها براهين وليست
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصف من يزعم
عليهم تلك الخبايل
بالصدق ويظهرها
عليهم بالمعارضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أصغوا لما يأتي
به ويتصرفوا إلى أن
يجابوه لما يحملهم
عليه من سوء الفهم
أو رداء الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الخبايا في باب الاستدلال أرسخ من شوايح الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبره ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية أو حديث صحيح ولعمري أنهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يفعلوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يجرؤوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يصر انحلالها أو يقعوا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة . واعلم أن اعتقاد الخلاق وعليها من أغذية النفوس فمن رغب في أكملها لم ينع بدونها وإلّا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بأيسرها ولم تطمع همة إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر (١) وتسييح الحمى (٢) وإنطاق العجاء (٣) وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تعدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدقوا لسيده ونبيه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على ممارسته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكقوله تعالى - ألم تغلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فلهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك إليهم فانه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقصد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السميات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر (٤) وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة - فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول . الأصل الثاني سؤال منكر ونكير (٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم صماغنا للسؤال له فإن النائم ما كن بظاهرة ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبيه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه (٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسييح الحمى البهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق العجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير التي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذب والجرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لحشورون إلى الله الحديث ومن حديث سهل بن محشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء الحديث ومن حديث عائشة عثرون يوم القيامة خفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفنا في بيت القدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب وإلا قد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقد ورد الصرع به قال الله تعالى - النار يمرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر ^(١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحوامل الطيور فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : الميزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع للوازن القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى - وسارعوها إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه إلا الروافض واعتقاد أهل السنة تركية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منارعة من معاوية في الامامة إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون للصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة على ذو تحصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة ^(٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والنزِيل بقرآن الأحوال ودقائق التفصيل فلو لا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة كورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قریش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قریش » ^(٣) وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وإنما يهلك من لا بلغة له ولا يمجدها أو يمجدها ولكنها تكون مشابة ممن جاء بمضرة بدعة وسموم كفر فلا تنهل عما يشار لك إليه وإنما المرغوب تنبيهك والله للسمعان وقفا بين الصنف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يستقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من شكهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا . والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كأفضل الدين من قبلهم وقد موا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الدكاء والفطنة واليقظ مالمو نظروا لهم ولو استدلو

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قریش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

لتحقةوا ولو طلبوا
لأدر كواسيل العارف
ووصلوا ولكنهم آثروا
الراحة ومالوا إلى الدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستقلوا الأعمال
الموصلة إليه وقنعوا
بالقعود في حضيض
الجهل فهؤلاء فيهم
إشكال عند كثير من
الناس في البديهة
ويتردد في حالهم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تمهيد آخر ليس هذا
مقامه والالتفات إلى
هذا الصنف أوجب
خلاف التكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفريق بين
بلد ومتبعض وفطن
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولعلك تقول إن
مذهبهم المشهور أن
الحل لا يخلو عن
الصفات إلا إلى ضدها
فن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحرمة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الانقياد إلى الخلق . الأصل العاشر : أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بانمقاد إمامته لأننا بين أن تحرك فتنة بالاستبدال فما يلقي المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يغوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة شغفا بمزاياها كالتدنى بيني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الأقضية وذلك محال ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى في بلادهم لميسر حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالحمد لله تعالى يسد لنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد] في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلفوا في أن الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلزمه قليل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب السكي في هذا كلاما شديدا الاضطراب كثير التطويل فلنجهم الآن على التصريح بالحق من غير تعريض على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب اللفظين في اللغة ، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث الأول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي . البحث الأول : في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فوجب اللغة أن الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس ^(١) » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ^(٢) وأما الاختلاف فقوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره »

(١) حديث بنى الإسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس ، البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام ، والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزادوا أن تؤتوا خمسا من اللغم .

وشهره فقال لما الاسلام فأجاب بذكر الجلال المحس (١) « فببر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم « أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « وأما التداخل فمأروى أيضا أنه سئل « قيل أى الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال ﷺ الإيمان (٣) « وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إمام القلب وإمام اللسان وإمام الجوارح وأفضلها الذى بالقلب وهو التصديق الذى يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم يعنى حال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لمس غيره يعنى بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا - وقوله ﷺ في حديث سعد « أو مسلم » لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل السمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذى عنينا بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أى الاسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله - فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعى، والاسلام والإيمان حكمان أخروى ودينوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان (٤) »

(١) حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أى الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أى الاسلام أفضل فقال الإيمان أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير قال رجل يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال الإيمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان أخرجه من حديث أبى سعيد الخدرى في الشفاعة ، وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان لفظ البخارى منهما ، وله تعليقان من حديث

الحياة والوالت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات. قلنا فلن صحت ذلك في الصفات التي هي أعراض قد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الإيمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الإيمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهو لا يخالقوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة للشروط في صحة الإيمان وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألوا بقول من جعل المعارف

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم إذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بعد الاعتقاد وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك . واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما افتقر الناس إلى النسبية ولم يتم نواحي العبارة على مواضع العلوم وإلا فهم إذا نبهوا عليها وتلطف بهم في تفهيمها بالزوال إلى ما ألقوه من عبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى القبيحة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نسيه أو رآه فنسيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة . والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للسكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به (١) » وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثم مات فهل يخلد في النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عده تلك الطاعات التي يتركها يظل الإيمان وما عدد الكبائر التي يتركها ييطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل يقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمرملة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يحفل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلنا الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام الأول أظهر وقد خلا في هذا طائفة للرجة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصي فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلانك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالآئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما نشك في أمرناك وهو الحكم الديوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستقى ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت واليراث الآن في يدى فهل يحللى بينى وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تتاط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المناققين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوفى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » وليس هذا مانعا لقولنا إن الإرث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قهية ظنية تبين على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذى يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والراسم في العلوم . فان قلت فمما شبهة المعزلة والرجة وما حجة بطلان قولهم . فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما للرجة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن آتى بكل المعاصى لقوله عز وجل - فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا - ولقوله عز وجل - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - الآية ولقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها . إلى قوله - فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء - قوله كلما ألقى فيها فوج عام فينبغى أن يكون كل من ألقى في النار مكذبا ولقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذى كذب وتولى - وهذا حصر وإثبات ونفى ولقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون - فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى - والله يحب المحسنين - وقال تعالى - إنا لانضيق أجر من أحسن عملا - ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى - إن الله لا يغير أن يشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء - والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها - وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى - ألا إن الظالمين في عذاب مقيم - وقال تعالى - ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار - فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون (١) بل قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - كالصريح في أن ذلك لا بد منه لكل إذ لا يغلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى - لا يصلاها إلا الأشقي الذى كذب وتولى - أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقي شخصا معينا أيضا وقوله تعالى - كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها - أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس لصيين أقوام اسفح من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتى في ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من التكلمين أيضا أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة بالشروط عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل القول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف ما ينفى فيها بآذن الله عز وجل .

[فصل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تمة ما جرى قلن أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضرورى فأصنف الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان

الإيمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق . الحالة الثانية أن لا يستقدوا إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا نفر ولم تنصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمناً أو مسلماً أن يستقد وجود الواحد فقط أو يستقد أنه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويغلو عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملاً لا يخطر بباله ولا يستقد فيها حقاً ولا باطلاً ولا صواباً ولا خطأً ولكن التقدير الذي يستقده من الأركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب لغيره . الحالة الثالثة أن يستقد الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكون فيها يستقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ما هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من التكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما العترة فشبهتهم قوله تعالى - وإني لفجار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردة كان على ربك حتماً مقضياً - ثم قال - ثم تجي الذين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يصص الله ورسوله فإن له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم خالداً فيها - وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى - وينفر ما دون ذلك لمن يشاء - فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضيق أجر من أحسن عملاً - وقوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بحصية واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمناً متعمداً - أي لا يمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فإمضاء . قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدائها فالصدق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ^(١) » والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب للعترة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً كما يقال للعاجز لا تقطع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية . (مسئلة) فان قلت قد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود المدول وما لأحد عن قولهم عدول لما ذكروه حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والثاني لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد ببلعته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالأداب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فلا إشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا المداينة ولم نكثر بتشبيب من تشب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال فنقول : الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وإشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الحيط مثلاً ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاه عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيماناً - وقال تعالى - ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «الإيمان يزيد وينقص»^(١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات الواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده لمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك يعتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسبباً في ربيع النجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالمقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

رق الزجاج ورقف الحجر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ولترجع إلى التصود فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين العلمين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم المكاشفة تتصلق كل ساعة على علوم العامة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه: إن الإيمان ليدولمة يغيث فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الحتم وتلا قوله تعالى - كلاً بل ران على قلوبهم - الآية - الإطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون باباً»^(٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وإشراق الصدر والشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق

(١) حديث الإيمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يعتمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الإيمان بضع وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الإيمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فكركه ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه .

والله أعلم على سبيل
نجاه ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو إسلام
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أهل
الاعتقاد ويبقى الصنف
الثالث على محتملات
النظر كما نبهناك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الاقتصار على
الوجود المفرد أو الوجود
ووصف آخر معه مع
الحلو من اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالتقدمون من السلف
لم تشهر عنهم في صورة
للسئلة ما يخرج صاحب
هذا العقد عن حكم
الإيمان والاسلام
والتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الإقرار بنبيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأجلاف والرعيان
وضغفاء النساء والأتباع
على هذا بلامزيد عليه
لو سئلوا واستكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أو بقاء أو كلام

أو ما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هي هو ولا هي غيره
ربما وجدوا مجهولون
هذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووحدايته مع الاقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والنبي صلى الله
عليه وسلم قد رفع
القتال والقتل وأوجب
حكم الايمان أو الاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتمد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضي
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى الدنية
من غير نظر ثم ممنا
عمن قالها في صدر
الاسلام أنه لم يعلم بعدها
إلا فرائض الوضوء
والصلاة وهيئات
الأعمال البدنية
والكف عن أذى
السلم ولم يلحقنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولاهل الله
تعالى عالم يعلم أو عالم
بنفسه وهو باق يقاء
أوباق بنفسه وأشياء

وكيف لا وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مسئلة) فان قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقل سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو ميميا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فإذا تقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أن مؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمنى أن يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك مؤمن أنت قل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الايمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لمقلقة مؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فاما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك لافي أصل الايمان ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكم ما الصدق القبيح فقال ثناء للرء على نفسه والايمان من أعلى صفات الجهد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها قل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة التريد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للآزم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لأحالة وأنه شاء ولكن القصد تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخرج عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل القابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » واللعوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك إن فلانا يموت سريعا تقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسيأتي في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لما دخل القابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر . الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا - فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لافي أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه . والثاني أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما للمؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال **عليه السلام** « الإيمان عريان ولباسه التقوى » ^(١) الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان يضع وسبعون بابا أدناها إمطة الأذى عن الطريق » فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحقيقى قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر » ^(٢) وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهو قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة بمدّها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بمدّها القبيح والصديد فأى اللادتين غلب عليه حكم له بها » ^(٣) وفي لفظ آخر « غلبت عليه ذهبته » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها » ^(٤) وفي حديث « الشرك أخفى في أمتى من ديب النمل على الصفا » ^(٥) وقال حذيفة رضى الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات » ^(٦) وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكلاه وهو خفي . وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لانفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبئت للمناققين أذنان ما قدردنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمتى من ديب النملة على الصفا أبو يلى وابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبي موسى وسبأى في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد بإسناد فيه جهالة وحديث حذيفة للمناققون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر .

سده المعارف ولا يدفع ظهور هذه إلا معاند أوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولملك يقول قد قال في مواطن أخرى إلا بحفها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعزّ وكاله من حقها ثم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يلقاها ولم يسمع بها فيه مرمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من الثقال إلى القدرة والحردة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط لما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لافي الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وأنهم أرباب تصف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدا له أنه تسبب إلى ما يظهر له من نظره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولا أثر من حسه الركون إلى ما رأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تتكلم فيه فقال لا قال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إلي من تلاع الأرض ذهابا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن للنفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم» (٢) وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم قبيلا له آخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» (٣) قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر نخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكاله وصفاه لأصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويأحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلفين في النار والثاني يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمر آخر لا يخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع: وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل

(١) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أ كنت تتكلم فيه قال لا قال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبراز والدارقطني من حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل ولا يبكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم .

الصائم ضحوة النهار عن صفة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصفة موقوفة على القيام إلى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صفة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة غوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور القضية به ولا مطلع عليه لأحد من البشر تخوف الحاتمة تخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بتقيضه فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى - وجاءت سكرة الموت بالحق - أي بالسابقة يعني أظهرتها . وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحديا من أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الحاتمة نعموذاً من ذلك وقيل هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالأقراء . وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت للموت على التوحيد عند باب الحجرة لأنني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»^(١) وقيل في قوله تعالى - وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا - صدق لمن مات على الإيمان وعدل لمن مات على الشرك - وقد قال تعالى - ولله عاقبة الأمور - فمهما كان الشك بهذه الثابتة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوماً فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصحمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو القبول والقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جلّ جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تطف بعباده فتعبد بهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطفه، وأعدّ لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالبرقة واللطف ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافه ، وتنصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة »^(٢)

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن أبي كثير رواه الطبراني في الأوسط بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود والنظافة تدعو إلى الإيمان .

ولعدل عن مذهبه ثم بعد ذلك تراهم حين أخبروا عن سلب الإيمان عنهم لم يقولوا اسم الكفر عليهم ثم عرضوا على الاستنابة إن كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه وقص ما قالوا إليه فلترجع إلى مانع بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فإن حكما بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصدي طمطمهم عن إيصال العذر لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الملاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فإن أمكن ردم في الدنيا وزجرهم عنه أن أظهروا النع عن الاصلاح والرجوع

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » وقال الله تعالى - فيرجال يحبون أن يتطهروا
والله يحب المطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السرائر إذ يعد أن يكون المراد بقوة صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان »
عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخبات والأقدار هيات
هيات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخبات
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق الذمومة والردائل المقتومة . للرتبة الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صلوات الله عليهم والصدّيقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحمل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل
ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - لأنهما لا يجتمعان
في قلب - وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن شوائبها من العقائد الفاسدة والردائل
المقتومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فهذه
مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات الذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب من الخلق
الذموم وعمارته بالخلق الحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارتها باطلاعات وكلما عزّ الطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنّ
أن هذا الأمر يدرك بالمنى ويتال بالهوى ، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالتشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة إلى اللب للطلب فصار
يعمن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنانه بحكم الوسوسة وتخيّل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواضاً من ماء في جرة نصرانية وحق إنهم
لما كانوا يسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخص أقدامهم وعدوا
الأشنان من البدع المحدثه ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات
ومن كان لا يجمل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فتقام
الصلاة فندخل أصابعنا في الحصى ثم نقرّكها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضى الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث عليّ قال الترمذى هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الإيمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة
فندخل أصابعنا في الحصى الحديث ه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة.

« ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا القمر مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البدع بدرس رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع الناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعت نعالكم (٢) » وقال النخعي في الدين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسة والباطن خراب مشحون بخبائث السكر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو طى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على القرش من غير غلاف للقدم من آدم أو توصأ من آنية عجوز أو رجل غير متكشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زميرتهم واستكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسحوا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظائهم من المحظورات أو للسكرات . فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقنع به لدفع الفجار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقرن بها أحوال ونيات تليقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بني الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قرينة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للباطنين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يحدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٢) حديث خلعت نعليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئا من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم ونزدد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالمصحة سيد البشر إمام المؤمنين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم

بصرفوا من أوقاتهم إليه لإقذار الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفُس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطل أن يترك النظافة ويشكر على التصوفة ويؤمن أنه يتشبه بالصعابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذن لغارغ فلماذا لا أرى للعالم ولا لتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصار تقصيرا في الفصل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوعة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوعة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر إليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون حمام الدهن لاستنباط مثل هذه الرقائق لافي احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامي يتنفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه للعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشئ شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأننا في الشرط الأول من الكتاب لا نتمرّض قصد إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستعداد واستعمال النورة والحلتان وغيره .

(القسم الأول في طهارة الحبث والنظر فيه يتعاقب بالمزال والمزال به والازالة)

(الطرف الأول في المزال)

وهي النجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذهب والخفشاء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها فيه وأما أجزاء الحيوانات قسمان : أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والعظم ينجس . الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللحاح والمخاط وما له مقر وهو مستحيل نجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعنى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة : الأول أثر النجوس بعد الاستجمار بالأحجار يعنى عنه ما لم يعد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعنى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب التلطيخ به إلى تفریط أو سقطة . الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يغسل الطريق عنها فيعنى عنه بذلك الحاجة . الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته . الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصدید وذلك ابن عمر رضى الله عنه برة على وجه

من الرمية قد قال متصلا بهذا القول وتبارى في الفرق وما موضع هذا التمازى من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمالى أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيئا وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهّم قول الله - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا - .

[فصل] ولما كان

الاعتقاد المجرب عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونا وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للحتاج وبلاغا للجانح وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من قدّم

فخرج منها الدم وصل لم يفسد وفي مضاه ما يترشح من لطخات الدمايل التي تدوم غالباً وكذلك أثر القصد إلا ما يقع نادراً من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الإنسان عنها في أحواله ومساهمة الشرع في هذه النجاسات المحس تترك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لأصل لها .

(الطرف الثاني في الزال به)

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترق وأما المائعات فلا تزال النجاسات جسيمة منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم ينفحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً»^(١) وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجارية للتغير نجسة دون ما فوقها وما تحته لأن جريات الماء متفاضلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما هن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما أسفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط قلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب للشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله وما لأشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكد الكثرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحرزون عن النجاسات وقد توضحاً عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصرح في أنه لم يبول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبية تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفصل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة^(٢) وعدم تقطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل القارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنابير فيها وكانت لا تنزل الآبار . والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم يتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل إن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجابة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإحانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني . والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً وأى فرق بين الجاري والراكد وليت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إصغاء الاناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فضل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الأدلة ضعيفاً فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خيراً من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم الحرج والضرر . [بيان أرباب للرتبة الثالثة وهو توحيد القربين] والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود : أحدها أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه وللأسالك التي يصبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بمصولة كإقذاره العزيز المليم واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في حين ذلك التوحيد وقسه وحقيقته وكيف يتصور للآسالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه بالمشاهدة

شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أن تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يفترق منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ولت شعري هل لتليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تنزل في الأعصار الخالية بتوضاها للتقشفون ويضمون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولونه أوريمه (١) » وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى السكب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة السكبية عنه فكذلك الحل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بظلمة طعمه أولونه أوريمه فهذا للبيان وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يمول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا إذ يظلم عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الفسالة وفي الماء الجاري وفي إصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالفسالة ولا ببولغ السنور في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » فهو في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير . فان قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها يمكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي يقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويضمون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة . فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يحمل خبثا » ومهما كثرت حملها فهذا يقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حافلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فمبلى في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسب المادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه السائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكمة وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص أما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يفي عنها إلا إذا كان الشيء رائحة فائحة يصر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أوريمه . من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء دونت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره .

والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يلحق أهله به وبطلعون عليه بسببه ويكرمونه به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل للصغير والكبير مأثور به مشددا في أمره متوعدا بالنار على كتمه فيه بحث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمناء وحبه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه وقصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات فلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على المؤمنين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله بأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإبغضت رسالتي وإياه عن رسول الله

والزبل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة يقين فلا يشاهد عليه نجاسة ولا يلحقها يقينا يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث : ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي أن يعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر حتى إن وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء والعدول أيضا عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتة جاز وكذلك بذيله وأن يتق الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الحجر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاهها من رشاشه وأن يتكىء في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بستان يقدم الرجل اليسرى في الدخول والنجس في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه » (١) وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال : يا عمر لا تبلى قائما » (٢) قال عمر فابلت قائما بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما فأنتبه بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في الغتسل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في الغتسل إذا جرى للماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستحب شيئا عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء في موضع الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحيع والترثلا وإمرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكير في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعله أعنى رش الماء (٥) وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فعدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه « علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الحراة فأمرنا أن لا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

(٢) حديث عائشة من حدثكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن . قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٣) حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبلى قائما ابن ماجه بإسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٤) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٥) حديث قال في البول في الغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت وإسناده صحيح (٦) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الاتضاح د ن . من حديث سفيان بن الحكم الثقفي أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كقالت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحراة الحديث م وقد تقدم في فواعد العقائد .

صلى الله عليه وسلم بقوله « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وجميع ذلك محصور في اثنتين العلم بالمعبر والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرس الشديد والنية الحافظة والسر في تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم للعامة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبها بالرمز تارة وبالتصريح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد ، وأما الحد الثالث فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على

سبيل التذكار لا طي
التعليم إنما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه محض النص
للخلق واستنقاذهم من
غمرة الجهل والتكيب
بهم من مهاوى العطب
وقودهم إلى معرفة هذا
اللقام وماوراءه مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأكبر وفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السعادة فمن عجز عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالغالب عليه
الوصول إن شاء الله بضيع
أجر من أحسن عملا
ومن وصل شاهد ومن
شاهد علم وذلك غاية
الطلب ونهاية المرغوب
وال محبوب ومن قصد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله للمجاهدين على
القاعدين أجرا عظيما
ومن غاب لم تنفعه
الأخبار ولم يفده
كثير من الأحاديث
وأياها فإن الأخبار
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحسبك تحسن الحراء قال بلى وأيك إنى لأحسنها وإنى بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر
وأستقبل الشيع وأستدير الريح وأقى إقام الظبي وأجفل إجمال النعام . الشيخ ثبت طيب الرائحة
بالبادية، والاقعاء ههنا أن يستوفى على صدور قدميه ، والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبين للناس ذلك.

(كيفية الاستنجاء)

ثم يستنجى لقعدته ثلاثة أحجار فلن أنقى بها كفى والاستعمل رابعا فان أنقى استعمل خامسا لأن الاقاء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استجمر فليوتر (٢) » يأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم القعدة قبل موضع النجاسة ويمر بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر
كذلك ويمر به إلى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فان عسرت الإدارة ومسح
من المقدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل للمسح فان حصل ذلك بمرتين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على
الحجر وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ثم ينتقل من ذلك الوضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمين على محل النجاسة ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللبس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فمظهره أن
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن
فرجى من الفواحش ويدلك يده بماء أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

(كيفية الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط إلا توضأ ويبتدىء
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهم طرق القرآن فطيوها بالسواك (٤) »
فينبغى أن ينوى عند السواك تطهير فيه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر
فليوتر متفق عليه في حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن
يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف
ورواه ك ومحمه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر
وقول النووي تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم
(٤) حديث إن أفواهم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث على ورواه موقوفا على
وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم
في كتاب السواك من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف ورواه ك ومحمه والبيهقي وضعفه من حديث
عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

والثاني على وجهه
لو كشف للخلق كافة
وأمكن بما أعد من
الكلام وجري بين
الناس من عرف
التخاطب كان فيه زيادة
محنة وسبب فيه إهلاك
أكثرهم ممن ليس
من أهل ذلك المقام
وذلك لمرابة العلم
وكثرة غموضه ودقة
معناه وعلوه في منازل
الرفعة وبسده بالجملة
والتفصيل من جميع
ما عهد في عالم الملك
والشهادة وخروجه
عن تلك الحدود المألوفة
ومباينته لكل ما نشوا
عنه ولم يشاهدوا
غيره من محسوسات
ومعقولات وضروريات
ونظريات فلما كان
لا يدرك شيء من ذلك
بقياس ولا يتصور
بواسطة لفظ ولا يعمل
عليه مثل كما قال عز
وجل : فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة أعين
وحكى عن ابن عباس
رحمه الله أنه قال ليس
غند الناس من علم
الآخرة إلا الأسماء وأراد
من لم ينكشف له
شيء من علمها وحقائقها

« لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا (٢) » أي صفر الأسنان « وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا (٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء (٤) » : وقال عليه السلام « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب (٥) » وقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلاء (٦) . وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بمخشب الأراك أو غيره من قشبان الأشجار مما يخنش ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولاً ، اقتصر فرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبها وعند تغير النكبة بنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره رانحة ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يسبح الله تعالى (٧) » أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه ييمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويخرجها بأن يرد الماء إلى الفمصة إلا أن يكون صائما فيرق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الله كركك ثم يأخذ غرفة لأفقه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدإ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه التزعتان اللتان على طرفي الجبين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يمتد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الحيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زواية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والمذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والمذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدإ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفة حكم اللحية في الكشافة والحفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب دوالبغوي من حديث تمام بن عباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقدرناه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعنده دت وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكها على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسبح الله ت . من حديث سعيد بن زيد أحد الثمرة ونقلت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب .

من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل ويتقيهما قد روى أنه عليه السلام فعل ذلك (١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجود أعدائك ويغسل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يفسل يديه إلى مرقبيه ثلاثاً ويحرك الحاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى المضد فاتهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليطهله » (٢) وروى أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء (٣) ويبدأ باليمين ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حساباً يسيراً ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن ييل يديه ويصق رؤوس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويعدّها إلى القفا ثم يردّها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثاً ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل عليّ من بركاتك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظلك إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحة في ضماخى أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهاراً ويكرره ثلاثاً ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني مناديا الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة » (٤) ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يفسل رجليه اليمنى ثلاثاً ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويغتم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً شكوراً واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكراً وأصيلاً يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « توضأ عليه السلام ثلاثاً وقال من زاد فقد ظلم وأساء » (٥) وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور » (٦) ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور (٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

(١) حديث إدخاله الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد الملقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم (٢) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليطهله خرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من الغل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث توضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له . ومن رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور . وابن حبان وك من حديث عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلاً .

في الدنيا وأيضاً فلو جاز
الاخبار بها لغير أهلها
لم يكن لهم سبيل إلى
تصورها إلا على خلاف
ما هي عليه بمجرد
تقليد ويتطرق إلى
من أهل الغفلة وذوى
القصور جحود وتباعد
فلهذا أمرؤا بالكم
إشفاقاً على من حجب
من العلم ولهذا قال
سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « لا تحدثوا
الناس بما لم تصله عقولهم
أتريدون أن يكذب
الله ورسوله » وقال صلى
الله عليه وسلم « ما حدث
أحدكم قوماً بحديث لم
تصله عقولهم إلا كان
عليهم فتنة » وعلى هذا
يخرج قول المشايخ
إفشاء سر الربوية
كفر برزقنا الله وإياكم
قلوبا واعية الخير إنه
ولى كل صالح وإذا
علمت أن الحد الأول
قد تقرر علمه في كتب
الرواية والنزاهة ومثلت
منه الطروس وكثرت
به في المحافل الدروس
وهو غير محجوب عن
طالب ولا ممنوع عن
راغب قد أمر الجهال
به أن يتعلموه والطماء

إن أول ما يتبدى الوسواس من قبل الطهور ، وقال الحسن إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفذ اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطحاوكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضى الله عنه « أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه ^(١) » وروى عائشة رضى الله عنها « أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ^(٢) » ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء الشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه وتقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق الذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للعنت والبوار والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فضيلة الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ^(٣) » وفي لفظ آخر « ولم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات ^(٤) » « وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ^(٥) » وقال ﷺ « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء ^(٦) » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ^(٧) » وقال ﷺ « الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٨) » وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفرله ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرفائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله شيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما ود من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيهما الحديث (٤) حديث ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٧) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٨) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجده أصلاً .

أن يذلوه ويعلموه
فلانريد فيه ههنا قولاً
ولما كان حكم الحد
الثالث السكم تارة
وتسكيت الكلام عنه
مع غير أهله على كل
حال لم يكن لنا سبيل
إلى تعد إلى محدودات
الشرع فلتن العنان
إلى الكلام بالذي
يليق بهذا الحال والمقام
فتقول : أرباب المقام
الثالث في التوحيدوم
القربون على ثلاثة
أصناف ، وعلى الجملة
فكلهم نظروا إلى
المخلوقات فرأوا علامات
الحدوث فيها لأنحة
وعاينوا حالات الافتقار
إلى الله تعالى عليهم
واضحة وسموا جميعها
تدل على توحيده
وتفريده راشدة ناصحة
ثم رأوا الله تعالى بإيمان
قلوبهم ، وشاهدوه
بنيب أرواحهم
ولاحظوا جلاله وجماله
بغنى أسرارهم وهم مع
ذلك في درجات القرب
على قدر حظ كل واحد
منهم في اليقين وصفاء
القلب وهؤلاء الأصناف
الثلاثة إنما عرفوا الله
سبحانه بمخلوقاته

وقال عليه السلام « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أنفاره عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له (١) » وروى « إن الطاهر كالصائم (٢) » قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا إذا كرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبع طي ما قبضت عليه .

(كيفية الفسل)

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويفسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوء للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم بذلك ما قبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن ولينق أن يحس ذلك في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الفسل فلا يعيده بعد الفسل فهذه سنن الوضوء والفسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الفسل أمران النية واستيعاب البدن بالفسل وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والفسل الواجب بأربعة بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كفسل العيدين والجمعة والأعياد والأحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب .

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانعه عن الوصول إليه من سبب أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لمطشه أو لمطش رقيقه أو كان ملكا لغيره ولم يعبه إلا بأكثر من عن الثلث أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابعي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند م من حديث أبي هريرة وعمر بن عبد الله بن عوف مختصرا (٢) حديث الطاهر النائم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في الأطراف وقد رواه في اليوم والثيلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده .

واقسامهم في تلك المعرفة كاتسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كماله ومن حافظ لجميعه لكنه متلبم فيه متوقف على الانهماز في قراءته ومن حافظ في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكلهم ينسب إليه ويعد في المشهد والغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما ينم عليه ومن قارى جميعها متفهم لها لكن ينوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبادة ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الأشياء في فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف إيصال الغبار إلى ماتحت الشعور. خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلمس ظهور أصابع يده اليمنى يطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عن المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى الرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمررها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويغسل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرققين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم.

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة، وهي نوعان أوساخ وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسبة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل والتنظيف عنه مستحب بالفسل والرجيل والتدهين إزالة للشعث عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ورجله غبا ويأمر به ^(١) » ويقول عليه الصلاة والسلام: « ادهنوا غبا ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها ^(٣) » أي ليصنها عن الأوساخ « ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان ^(٤) » الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالمع. الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المتعقدة المتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار. الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها. الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالفسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة في سفر ولا حضر ^(٥) » وهي سنة العرب وفي خبر غريب أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ^(٦) وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ^(٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ورجله غبا الترمذي في الثمائل بأسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثمائل أيضاً بأسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا (٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلاً وقال النووي غير معروف وعند دت ن من حديث عبد الله بن مغفل التيمي عن الترجل إلا غبا بأسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس إسناده بالقوى (٤) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث دت وابن حبان من حديث جابر بأسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادها ضعيف وسيأتي في آداب السفر مطولاً (٦) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلاً كان يسرح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كث اللحية ت في الثمائل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث طي وأصله عند دت.

والفناء والبقاء ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لقوى الأفهام من فمس النهار وقت الزوال وعلت لم يسمي أهل هذه للرتبة مقرين فذلك لعدم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن إحدى الحالتين عماء البصرة وانطباس القلب والحواس عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعداً مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والمزل الواجب وموضع العسارة والأنس والاقطاع في مناهم القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتغال القلب واتساع الصدر بنور اليقين والمعرفة

وكان على عريض اللحية قدماء ما بين منسكبيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها «اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوى من رأسه ولحيته قلت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم^(١)» والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيهاً للملائكة بالحدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المناقون بذلك في تفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية إظهاراً للزهد وقلة البلالة بالنفس عذور وتركه شغلاً بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبس غير راجع عليه بحال وكما من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاناً إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير قري جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، فعند ذلك تتميز السيكة الخالصة من البهجة فنعود بالله من الحزى يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الفضون وسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم^(٢) . السابع تنظيف الرواجب^(٣) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بتنظيفها وهي رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها القراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق المعانة أربعين يوماً^(٤) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأظفار^(٥) وجاء في الأثر «أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجكم وقلعاً لا تستاكون مر أمتك بذلك^(٦)» والأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - تعبهما أي بما

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذى الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر تقوا براجكم ولا بن عدى في حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم (٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل قليل ولم لا يبطىء وأتم لا تستنون ولا تقلون أظفاركم ولا تفصون شواربكم ولا تنقون رواجكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأظفار وتنف الإبط وحلق المعانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبراني من حديث وابصة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سأله عن الوسخ الذي يكون بين الأظفار فقال دع ما يريك إلى ما لا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف نزل عليكم وأتمم لا تنسلون براجكم ولا تنظفون رواجكم تقدم قبل هذا الحديثين

والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على أنه لم يصل لملك تقول أرى بعض أئمة الكلام عن حقوق هذا المقام كأن لم يضربوا فيه بسهم ولم يفر قدحهم منه بحظ ولا سهم وأرام عند الجمهور في الظاهر وعند أنفسهم أنهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق إلى مرادهم ومجاهدون أرباب النحل الردية والمثل الضالة المهلكة وقد سبق في الإحياء أنهم مع العوام في الاعتقاد سواء وإنما فارقهم بإحسانهم حراسة عقودهم . فاعلم أن ما رأيت في الإحياء صحيح ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين إذا كانوا منصفين وهو أن التكلمين من حيث صناعة الكلام قطع لم يفارقوا عقود العوام وإنما فارقهم بالجدل عن الانحراف والجدل علم لفظي وأكثره

تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تأذ بهما كما تأذى بما تحت الظفر . الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضى الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات ، فحليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة مس ما ليس بسواة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذ الحلق مس السواتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين ، والواجبان في عورة الغير أن يضبط بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لأن التهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لحوف ضرب أو شتم أو ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر فأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لابد من الذكر فلا يغفل قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه وتغيير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تغلو عن عورات مكشوفة لاسيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يمدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحریم لها ولهذا يستحب تخليع الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام ورؤي ابن عمر رضى الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه به صابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه . وأما السنن فمشرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لغايل دنيا ولا عايشا لأجل هوى بل يقصده للتنظيف المحبوب تزيينا للصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين ونطيب لنفسه ثم يقدم رجلاه اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلاء أو يتكلمف تخليع الحمام فانه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاجين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكور للنظر في العورات ثم لا يغلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضى الله عنهما عينيه ، ويفعل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يهرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه للأذن فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مثونة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقبسه إلى جهنم فانه أشبه بيت مجهم النار من تحت والظلام من فوق فعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا ينفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرها عبرة وموعظة فان الله ينظر بحسب همته فاذا دخل برزاز ونجار وبناء وحائك دار معمورة مفروشة فاذا تقدمتهم رأيت البراز ينظر إلى القرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والتجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها

احتيال وهى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشرة الشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والثقل وشاع في حال النضال إيراد القطعي وما هو حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والقام للشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفة باليقين التام والعلم للضار للضروري بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواء ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للنازل على المنازل ومالعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والمدار في أوقات الضرورات والاختيار

وبين ما يراد لوقت حاجته إن دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينقص على ذوي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الدين حفظ عنهم ووقع عليه فيما مضى من الزمان إليهم لا يقول في أكثرهم إنهم لا يحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواء بما هو أعلى منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم في وقته من البدع وظهر من الأهواء وشاع من تشبث كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والنازعة لهم والسمي في اجتماع الكلمة على السنة بعد اقترابها وإهلاك ذوي الكيد في احتياهم وإخماد نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئا إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبادة فان نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أودار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الثالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحققتها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بإفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لا ابتداء الكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقرىبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دلكنى في الحمام مرة فأردت أن أكاثه بما يفرح به وإياه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تفحمت بي (١) ثم منها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل للماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع . أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام ، وقيل النورة في كل شهر مرة تطقى المرة الصفراء وتنقى اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بوله في الحمام قائم في الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تبدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحمل للرجل أن يدخل حليلته الحمام (٢) » وفي البيت المستعم والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا لنفساء أو مريضات ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمنزلة سابع ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعا أي قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الدواب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بن عبد العزيز (٢) حديث لا يحمل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمنزلة الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمنزلة ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الإسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالآزار وامنعوها النساء إلا من مريضة أو نفساء .

الأهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات وكشف أحوال أرباب القامات ووصف قه الأرواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وإن كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامية أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصديق على ذي بلغة من العيش فكيف إن كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الأحاد والزيف لقصورهم عن ملاحظة الحق موضع السيف للأنبياء وللرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل الضاد والتمادي على التمي وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء

شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلييبا . الثاني شعر الشارب . وقد قال صلى الله عليه وسلم «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «خفوا الشوارب وأعفوا اللحى» (١) أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشئ حوله ومنه - وتري الملائكة حافين من حول العرش - وفي لفظ آخر اخفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله خفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل - إن يستلكموها فيحفكم تبخلوا - أي يستقصي عليكم وأما الخلق فلم يرد والاحفاء القريب من الخلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شارب به فقال ذكرتنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المغيرة بن شعبه «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصصلى على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليه وطرفا الشارب فعل ذلك عمرو وغيره لأن ذلك لا يستر القم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى أي كثروها وفي الخبر «أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم» (٣) يخالفونهم وكره بعض العلماء الخلق ورآه بدعة . الثالث شعر الابط ويستحب تنفه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود تنفه في الابتداء فأما من تعود الخلق فيسكفيه الخلق إذ في التنف تعذيب وإيلام والقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالخلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالخلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء . لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيما في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليط والزجر عن ذلك ولم أرفى الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام» (٥) ولما تأملت في هذا خطرت لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة

(١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ اخفوا الشوارب وأعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ أخفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا وأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة ابن شعبه نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصصلى على سواك د ن ت في الشماثل (٣) حديث إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم يخالفونهم أحمد من حديث أبي أمامة قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سباليهم فقال قصوا سباليكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والشهور أن هذا فعل المجوس ففي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس أنهم يوفرون سباليهم ويحلقون لحاهم يخالفونهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظفاركم فان الشيطان يجري مابين اللحم والظفر (٥) حديث البداءة في قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والخنصر بإبهامها وفي اليسرى بالخنصر إلى الإبهام لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به .

في كلتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتدبّر بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فيقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخصر اليسرى والخصم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها ثقل أن يبدأ بخصر اليمنى ويختم بخصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها في اليد لا تنجبه هنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى فإن تقديرها حلقة بوضع الأخص على الأخص بأبواب الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تتكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا وإذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تسر لنا بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظن أن أفعاله ﷺ في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الأقدام والتقديم فإن الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعود بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم « فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين ^(١) » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا عن الزوج فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يغلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خصص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق . فإن قلت فلم اقتصر على اثنتين اليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لسلك واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء ^(٢) وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصى دقائق مراعاة صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر قس بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين الطبراني من حديث ابن عمر بإسناد

ضعيف (٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

وكما لا يقال في الصدر الأول فقهاء الأمصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب إلا علوم آخر كالفقه والحديث والتفسير لأن الخلق أخرج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلو لا أن حفظ الله تعالى تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات وانقطع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وإن لم يشهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذته عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الإسلام وأن يضعف ويقل أهلهم ويرجع البلاد والعامه إلى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والبعوث لدعوة الحق عليه

صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل للمال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلعة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يشفر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال عليه السلام « الحتان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض « يا أم عطية أسمى ولا تنهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر لواء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أسمى من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقت الفيلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم يمين بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة ما طال من اللحية وإعما آخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها قليل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا اللحية » والأمر في هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قديشوه الحلقة ويطلق السنة القتاين بالنبداليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيته فان التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتنفيها وتنفي الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى يابضها تكبرا بملو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث الحتان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث بن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أسمى ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع ، ولمسلم من حديث جابر: وغبروا هذا شيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى يابض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والسلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر العدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وإعما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والمعموم إن لم يكن مشغلا بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وسائقهم بهم إلى مرآسهم وصالحهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال المعموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدر على شيء كامل من البر فلا خاصة إلا بعامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال

وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرضه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة » (١) الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تليسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين » (٢) وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والسكر للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترضا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم فلنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهبات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم عمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحق فطول المدة يؤكد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكبر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل - قالوا سمعنا فقي يذكركم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى - وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضي الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهوشين فقال كلكم يكرهه » (٣) ويقال إن عجي بن أكنم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يحمله بصر سنة كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه » (٤) وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السخيتاني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله ببيضاء (٤) حديث عجي بن أكنم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن . الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكنم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فانما يتم له ذلك على قول عجي بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم

بالكفر لرددت البيت
على قواءد إبراهيم
وقال لأتصارأ ماترون
أن يذهب النار بالشاء
والبعر فتذهبون
برسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى رحالكم
ومع ذلك فالذي حفظ
عنه صلى الله عليه
وسلم وعن الصحابة من
بعده وفقهاء الأمصار
وأعيان المتكلمين من
الإشارات لتلك العلوم
الذكورة كثيرة
لا يحصى وإنما القليل
من حمله اليوم عنهم
وتفقه مثلهم فاقصد
تحد وتصد لاقتباس
المعارف تعلم وطالع
كتب الحديث
والتواريخ ومصنفات
العلوم توقن ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا وما يذكر إلا
أولو الألباب .

[بيان المرتبة الرابعة]

وهو توحيد الصديقين
وأما أهل المرتبة
الرابعة فهم قوم رأوا
الله سبحانه وتعالى
وحده ثم رأوا الأشياء
بعد ذلك به فلم يروا
في الدارين غيره
ولا اطلعوا في الوجود

الغلام يتعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك
منك ، وقيل لأبي عمرو بن الصلاء أي حسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان الجاهل يبيع به
فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بقة الشافعي يا أبا عبد الله
تركت حديث سفيان بعلمه وشمس خلف بقة هذا الفتي وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي
من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلمه أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلمه
ولا نزول . الرابع تنف ياضها استنكافا من الشيب « وقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو
نور المؤمن ^(١) » وهو في معنى الحضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة
عنه رغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بعضها بحكم العيب والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة
وتنف الفنيكين بدعة وهما جانبيا العنفة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكه فرد
شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحية وأما
تنفها في أول النبات تشبها بالمرء فمن النكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن الله سبحانه ملائكة
يقسمون والذي زين بن آدم باللحي وهو من تمام الخلق وبها يميز الرجال عن النساء وقيل في غريب
التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس ودنا أن
نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف
تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه
والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يرض باللحية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل
إن أهل الجنة مرد إلا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فإن له لحية إلى سترته تخصيصا له
وتفضيلا . السادس تقصيصها كالنحية طاقة على طاقة للترين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر
الزمان أقوام يقصون لحام كذب الحامة ويعرقون نعالهم كالمنجل أولئك لا خلاق لهم . السابع
الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم
اللحي وينتهي إلى نصف الحد وذلك يبين هيئة أهل الصلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس
قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها مفتلة لاظهار الزهد . التاسع والعاشر
النظر في سوادها وفي ياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع
الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد
حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر
الرأس ^(٢) والمضمضة والاستنشاق ^(٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم

(١) حديث نهى عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن . من رواية عمرو بن شعيب عن
أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث
عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك
واستنشاقه الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكعب
يعني الاستنجاء قال مسعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبي د . من حديث
عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء
قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث .

على سواء فقد كان يان
شارات الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين فيما
خصوا من المعرفة في
هجيراهم فكان هجير
أبي بكر الصديق رضى
الله عنه : لا إله إلا الله
وكان هجير عمر رضى
الله عنه : الله أكبر وكان
هجير عثمان رضى الله
عنه : سبحان الله وكان
هجير على رضى الله
عنه : الحمد لله فاستقرى
السابقون من ذلك
أن أبا بكر لم يشهد في
الدارين غير الله سبحانه
وتعالى فلذا كان
الصديق وسمى به كما
علمت وكان يقول
لا إله إلا الله وكان عمر
يرى مادون الله صغيرا
مع الله في جنب عظمته
فيقول الله أكبر وكان
عثمان لا يرى التنزيه
إلا الله تعالى إذ الكل
قائم به غير معرى من
النقصان والقائم بغيره
معلول فكان يقول
سبحان الله وعلى
لا يرى نعمة في الدفع
والرفع والعتاء وللنع
في المكروه والمحبوب
إلا من الله سبحانه
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب (١) وأربعة في الجسد وهي تنف الأبط والاستعداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلتقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتى تفصيلها في ربيع المهمكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل . تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بطائفة وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وبأين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة ، وغيره من ضغفاء الملوك لا يسمع بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما . أما بعد : فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقداسة قصينا في فن الفقه في بساط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صار فن حجام العناية إلى تفاريحها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للفقهاء منها يستمد ومعو لا إليها يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل الصلاة . الباب الثاني : في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : تفضيل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها . (الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم يقوم وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغل ذلك عن عمل الآخرة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » (٣)

(١) حديث تنظيف الرواجب تقدم .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد .

وقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه»^(١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»^(٢) وذلك مستحب إلا في الحيلتين فانه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وفي الثوب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وإيسته القام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال عليه السلام «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منه شيئاً استخفافاً بحضن» كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بياض أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات لما روى ذلك يبقى من درنه قالوا لا شيء» قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب القنوب كما يذهب الماء العذون»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر»^(٥) وقال عليه السلام «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونها»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسنة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»^(٨) وسئل عليه السلام «أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لوقتها»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقبتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان»^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة»^(١١) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبده ملائكته فمنهم رآه كهم ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد»^(١٢)

(١) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس بإسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه ح ب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولها نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر م من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً (٧) حديث من لقي الله مضيقاً للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسنة وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسدت سائر عمله رواه طبر في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعه من حديث عمر قال لك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقبتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس يكال طهورها ومواقبتها كانت له نوراً وبرهاناً الحديث أحمد ح ب من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلياً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر .

وأهل هذه الرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صنفان يريدون ومرادون فالمريدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرين ومنها ينتقلون وعليها يصرون إلى للرتبة الرابعة وتمسكون فيها ومن أهل هذا القام يكون القطب والأوتاد والبلاء ومن أهل للرتبة الثالثة يكون النقاء والنجاء والشهداء والصالحون والله أعلم . فان قلت ليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والالاه ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه للرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والاروق من مصدر العقل ما ينفي عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر ^(١) » أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بأخلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد عليه السلام ^(٢) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يصعد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوته حسنة ونعمى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة ^(٣) » فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب ^(٤) » وقال بعض العلماء مثل للصلى مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدي القريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتوها فاطفئوها .

(فضيلة إتمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ^(٥) » وقال يزيد الرقاشي « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ^(٦) » وقال ^(٧) « إن الرجلين من أمق ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض ^(٧) » وأشار إلى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .
 (٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رواه في الطيوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي (٤) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمق ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن الهيثم في العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده عن ابن الهيثم (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه وجه حمار أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدي في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر ماثومنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الإسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار .

التخيل للولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يعد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتعد بالفاعِل ولا اعترى الولى تخيل فتخيل ما لا حقيقة له وإنما هو ولى مجتبي وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفة على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لوراء يبصره عيانا ما ازداد إلا يقينا وإن أنكرت أن يكون وهب الله المرفقة به على هذا السبيل أحدا من خلقه لما أطمئنت مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بمعيارك وكلتهم بمعيالك وفضلت نفسك على الجميع إذ لا سبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرزق أحدا ما لم ترزق أو يخص من المرفقة ما لم تخص فإذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه

« من صلى صلاة لوقتها وأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني ومن صلى لغير وقتها ولم يصبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الحلق فيضرب بها وجهه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكبال لمن أوفى استوفى ومن طغف فقد علم ما قال الله في الطغفين .

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة (٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قد ناسا في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتنهم (٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم يوتنهم بحزم الحطب ولوعلم أحدهم أنه يجد عظامينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء . وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة (٦) » وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في السجد وقال محمد بن واسع ما أشتى من الدنيا إلا ثلاثة أخا إنه إن تعوجت قومي وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عن سهوها ويكتب لي فضلها . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان في آثاق حتى أريت أن لي فضلا على غيري لأؤم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء . وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة في الجماعة فزاني أبو إسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذا با خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى السجد فقبله إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءة من البراءة من النفاق وبراءة من النار (٧) »

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأصبح وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني الحديث طبع في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم ومصحح إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (٥) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عثمان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لانفوته تكبيرة الإحرام الحديث ت من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينسأ ولا في حال نومه وشغلته وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شغلته ونومه كما لا يفقه في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها في المخلوقات لبست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم يرسوا ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوك البري فتقول لهم لللائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان لنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأنصار فيقولون بعد السؤال كنا تروضاً قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في السجدة . وروى أن السلف كانوا يعززون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة » (٢) وروى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مراقبتك في الجنة فقال ﷺ « أعني بكثرة السجود » (٣) وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً (٤) وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأمنون في وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الفرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصيت في النار » (٥) وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث ينحرف ساجداً وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - وقال تعالى - ولا تكن من الغافلين - وقال عز وجل - لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب الراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال - حتى تعلموا ما تقولون - وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة . من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مراقبتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه وهو الذي سأله ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث أبي هريرة .

وصار منه قانياً فبعد هذا على من أحبه أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم [فصل] وأما معنى إفشاء سر البروية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفراً دون كفر ويسمى بذلك تعظيماً لما آتى به الفشي وتعظيماً لما ارتكبه ويستتر هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر إذا الكفر الذي سمى على معناه سائر وهذا الفشي ليس ناشر وأين النشر والإظهار من التغطية والإعلان من الكتم واندفاع هذا حين بأن يقال ليس الكفر الشرعي تابع للاشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتنكاب الشيء فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر

« من صلى ركعتين لم يحدث ، نفسه فيهما بشئ » من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج ^(٢) » وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال « ليس كل مصل أقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت الناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو للتقوى والبغى عظمة ولاهية لما قيمة ذكرك ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه « وإذا صليت فصل صلاة مودع ^(٤) » أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه كما قال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه - وقال تعالى - واتقوا الله ويسلكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا ^(٥) » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قبل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ^(٦) » اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه ^(٧) » وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه ^(٨) »

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زيادة في أوله دون قوله بشئ من الدنيا وزاد طس إلا بغير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت الناسك لإقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب وك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا على بن معبد في كتاب الطاعة والعصية من حديث الحسن مرسل بإسناد صحيح ورواه طب وأسند ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن النكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه ت الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم .

لجهتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسمًا ينبي عن وصف والثانية من جهة التشريع ويكون إذ ذاك حكمًا يوجب عقوبة والتشريع قد ورد بشكر للنعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجيك التسميات وتفطن لخداعها واحسرس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره في مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التشريع قوله صلى الله عليه وسلم « لا تحدثوا الناس بما لم تفعله عقولهم » وفي ارتكاب التهي عيان ويسمى في باب القياس على المذكور ككفران البدن وقسمه أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان تشابه صماء العالم من حيث

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بشئ الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيك اللذباب في صلاتك فتطردها قال لأعود نفسي شيئا يفسد عليّ صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربّي فأتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله تعمدوا أتم فاني لست أسمعكم ويروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشرب به حتى انصرف من الصلاة وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه قليل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتربك عند الوضوء فيقول أتندرون بين يدي من أريد أن أقوم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن تقبل الصلاة فأوحى الله إليه يا داود إنعما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمي وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجله، يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعا لي بيته وإن سألتني أعطيته أجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وإنعما مثله في الناس كالفرديوس في أعلى الجنان لا تبيس أنهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجمل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورأى أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجا والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمي وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

(فضيلة السجدة وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنعما يصوم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ولو كفحه حص قطة بنى الله قصرًا في الجنة» (١) وقال عليه السلام «من ألف المسجد ألفه الله تعالى» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد» (٥)

- (١) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبي ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة
- (٢) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين وك من حديث أبي هريرة (٥) حديث الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو
سما وحواسه تشابه
الكواكب والنجوم
من حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس فتضي بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيضي مسلك
المدرجات وروح
الإنسان مشابهة
للشمس فضاء العالم
ونور نباته وحركة
ضواريه وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الإنسان به حصل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجلت
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بالتهار
وتقرب بالليل وجلت
الروح وسط جنم
الإنسان وهي تضي
بالنوم وتطلع باليقظة
ونفس الإنسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيفقدون فيها حلقتا حلقتا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس فيهم حاجة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن يوتى في أرض الساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لبدن تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على الزور أن يكرم زائره (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يعتاد للسجد فاشهدوا له بالإيمان (٣) » وقال سعيد بن السيب من جلس في للسجد فأنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا وبروى في الأثر أو الخبر « الحديث في السجد يأكل الحشرات كما تأكل البهائم الحشيش (٤) » وقال النخعي كانوا يرون أن الشئ في الليلة للظلمة إلى للسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في للسجد سراجا لم تزل لللائكة وحمة العرش يستغفرون له مادام في ذلك للسجد ضوؤه وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد يكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ - لما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقال ابن عباس يكي عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني مامن عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك مامن بقعة يذكرك الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا انتفعت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت له الأرض ويقال مامن منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلصقهم .

(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الحث في البدن والسكان والقيام وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة ويأوي بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قلة الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصنف والصنف في الصلاة (٥) » والصنف هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مفرنين في الأصفا - والصنف هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما يراعى في رجله عند القيام ويأوي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والأطراق أقرب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيفقدون فيها حلقتا حلقتا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود وك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) حديث قال الله تعالى : إن يوتى في أرض الساجد ، وإن زواري فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيران فتقول لللائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يعتاد للسجد فاشهدوا له بالإيمان ت وحسنة و . وك وصححه من حديث أبي سعيد (٤) حديث الحديث في السجد يأكل الحشرات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثاني)

(٥) حديث النهي عن الصنف والصنف في الصلاة عزاء رزين إلى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافا قديمه فقال أخطأ هذا السنة .

خالف النفس والقمر آية محوثة والنفس مثلها ومحو القمر في آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في آن ليس عقلها منها ويمسرى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الخواص غيب وفحول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فخلت للشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لدوى العقول تشبيه وتمثيل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلما تساعد

وأغض للبصر وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلي عليه فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو لينخط خطاً فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدب على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصناً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولاً ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليعزها بقوله أؤدي عن القضاء وبالقرينة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وتسكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فإنه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يترتب فإذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد إرسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتي أذنيه وبرءوس أصابعه رهوس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإبهاميه إلى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفرجاً ولا ضمّاً بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ تقل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدين في مقرها ابتداء التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة ويضرب للسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لا يخرج فيه وأراه بالإرسال أليق فإنه كلمة العقد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليلق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رفا عند التكبير ولا يردّها إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال تقضاً إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليدين على الثمال بعد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حذو المنكبين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رهوس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول وورد من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجداً التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وها كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حق التي هي للغاية تدل بالحق على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك يساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء كبر ورائه ألفا كأنه يقول أ ك بار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه

(القراءة)

ثم يتدى بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا^(١) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين^(٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك^(٣) ليكون جامعا بين متفرقات ماورد في الأخبار وإن كان خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ثمرة قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يتدى فيها بيسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ، ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمد هامدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن لما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتجعة وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة .

(الركوع ولو أحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابه من شدة موجة نحو القبلة على طول الساق وأن ينصب ركبتيه ولا يشبهها وأن يمد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يحافى مرققيه عن جنبه وتضم المرأة مرققها إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثاً والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماماً ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التيسيع والكسوف والصبح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة قبل السجود^(٤) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د . من حديث جابر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند حق من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات الماثورة حق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل هؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يملء هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سمعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدره بالقلم وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يغهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وإنما مرادنا تباين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا في الأسماء للفظ بها لا غير وفرار أن ثبت صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تستقد الصورة الظاهرة ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبا مطلقا ومعناه تتيقن أنك من الشبهين لامن التزهين

عند الموى ولا يرفع يديه في غير الركوع وينبني أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركناه وأن يضع يدها يديه ثم يضع يدها وجهه وأن يضع جبهته وأنته على الأرض وأن يحافي مرقبه عن جنبيه ولا تفضل للركاة ذلك وأن يخرج بين رجله ولا تفضل للركاة ذلك وأن يكون في سجوده نحوياً على الأرض ولا تكون للركاة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يخرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ولا يفتش ذراعيه على الأرض كما يفتش الكلب^(١) فإنه منهي عنه وأن يقول سبحان ربى الألى ثلاثاً فإن زاد حسن إلا أن يكون إماماً ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً فيرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى ووافنى واعف عني ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التيسيع ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالساً جلسة خفيفة للاسترخاء في كل ركعة. لا تشهد عقبها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالساً وكاف أكبر عند اعتداله على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويبدأ التعمد كالابتداء.

(التشهد)

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلى السبحة ولا بأس بإرسال الإبهام أيضاً ويشير بمسبحة عنقه وحدها عند قوله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة الأولى وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور^(٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول لكن يجلس في الأخير على وركه الأيسر لأنه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب الأيمن ويلتفت شمالاً كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوى الخروج من الصلاة بالسلام وينوى بالسلام من على يمينه الملائكة والمسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم^(٣) ولا يمد مداه فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامام الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمفرد ويجهر بالقائحة والسورة في جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام مما لا تعقياً ويسكت الإمام مكتة عقيب القائحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم القائحة في الجهرية في هذه السكتة ليتكلم من الاستماع عند قراءة الإمام ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

- (١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد من حديث علي في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث وفي الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل (٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وضعفه ابن القطان.

على قسك بالتشبيه معتقداً ولا تنكر كاقبل كن يهودياً صرفاً وإلا فلا تلعب بالتوراة أى تلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب إليهم أى تقرأ التوراة ولا تعمل بها وإن كنت تعتقد الصورة الباطنة منزهة مجللاً ومقدساً مخلصاً أى ليس تعتقد من الإضافة في الضمير إلى الله تعالى إلا الأسماء دون اللغى فذلك اللغى للسماء لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبل راحة الله عليه في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على الأسماء والصفات لا على الذات. فان قلت فكذا قال ابن قتيبة في كتابه للعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق. فاعلم

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد. ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم ولللائكة وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا وبجر به ويؤمن القوم ويرفون أيديهم خلف صدورهم ويمسح الوجه عند ختم الدعاء الحديث نقل فيه وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التبقيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناها وعن الإقواء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن المواصل (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقيب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجائع والفضبان والثلثم (١٠) وهو ستر الوجه أما الإقواء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على ورقيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإقواء تـ من حديث على بسند ضعيف لا تقع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن غلبة الشيطان وك من حديث سمرة وصححه نهى عن الإقواء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة دك وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شبرا ولا ثوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار دك وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل مختصرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة دن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن المواصل عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده وقد فسر الفزالي بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى دك وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتان حفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن ه فقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن ود من حديث أبي هريرة لا يعمل لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بمحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهري بدافعة الفائط وفيه حديث عائشة الذي قبل هذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاه رزين إلى ت ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب العرب حديث لا رأي لحازق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن الثلثم في الصلاة ده من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطى الرجل فاه في الصلاة زواه الحاكم وصححه قال الخطابي هو الثلثم على الأفواه .

أن القدي ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ في الإنكار عليه وأبعد الناس من تبويخ قوله وليس هو الذي أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتنا حالة للذات فأين من لب الجوز قد شورت فرقع والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة أنه لم يفرع سمه هذه الدقائق السقأ أشرفنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف وعلاء الدهنى فتوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوي القصور تشبها وبين التأويل الذي ينفى فأنبت للنسب المرغوب

والركبتين . وأما السدل فذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم قهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويده في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يغطيها على كتفيه والأول أقرب وأما الكعب فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكعب في شعر الرأس فلا يصلين وهو ناقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا »^(١) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكعب . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام . وأما الواصلة فهي خمسة اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة القرض بالتسليمة الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحقاب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب »^(٢) وفي الخبر « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان »^(٣) وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعيب بالشيء »^(٤) وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحمى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه »^(٥) أو يفرقع أصابعه »^(٦) أو يستر وجهه »^(٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذه في الركوع »^(٨) وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك قهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدها بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسول الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي الحديث والبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يخلسه الشيطان من صلاة أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التثاؤب من الشيطان ولها من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (٥) حديث النهي عن تشبيك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ت ح نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث النهي عن تفتيح الأصابع في الصلاة من حديث علي باسناد ضعيف لا تقطع أصابعك في الصلاة (٧) حديث النهي عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن ينطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث النهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نعمله قهينا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب .

عنه وأرادني ماخاف من الوقوع فيه فلم يأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فيها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لا قطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق - فإنك بالوادي

القدس طوى - أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقديس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما تقديس الوادي بما أنزل

فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإلا فالقصد ما حذف لما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أي سر قلبك لما يوحى فقلبك تجد على النار هدى ولعلك من

يسوى الحصى بيده فاتها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سئل ذلك الحائط لم يقط فالأظهر بطلان صلاته والله أعلم .

(تميز الفرائض والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض و سنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة النية والتكبير والقيام والقائمة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلوس للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية ثني الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والاقتراش هيئات تابعة للجلوس والاطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعداها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نورد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فبصر عن ذلك بالبعض وقبل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفتان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فبصر تلك الأذكار لا تكفي صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقائمة ومجبرا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تميز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تميز سنة عن سنة والكل مأثور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدد ما كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن

سرا دقات المز تتادى
بما نودى به موسى إني
أنار بك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد للزبد وحوادث
الصدق وثمار المعارف
وارتياح سلوك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الأذان وما يوحى أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو إلقاء
بواسطة ملك أو إلقاء
في روع أو مكاشفة
بحقيقة أو ضرب مثل
مع العلم بتأويله
ومعنى لملك حرف
ترويح ومعنى إن لم
تدرك آفة تقطعك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسرا دقات المجد هي
حجب لللكوت وما
نودى به موسى هو علم
التوحيد التي وسعت
العبارة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إني أنا الله لا إله
إلا أنا وللنادى باسمه
أزلا وأبدا هو اسم

الحاجبين واللبية والأهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهدب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورها الشرع وتبدينا باكتسابها فروجها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الحلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللبية والأهداب وحسن اللون . وأما وظائف الأذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قرينة ونخلة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القرينة من السلاطين إليهم وهذه النخلة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخبرة في تحسين صورتها وتقيحها فان أحسنت فلنفسك وإن أسأت فليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق فهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقه العيين لا يطل وجود الانسان ولكن يخرج عن أن يصدق رجاء التقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فمكنا ينبغي أن نفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الحسم الأول على صاحبها تقول ضيكت الله كما ضيقتي فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولقد كرر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم نذكر للعاين الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم نذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزيادة الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى - أقم الصلاة لذكري - وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلا للصلاة لذكره وقوله تعالى - ولا تكن من الغافلين - نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل - حتى تطمأنا ما تقولون - تحليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تتمسكن وتواضع » حصر بالألف واللام وكلمة إنما لتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إنما الشفعة فيما لم يقصر » الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بندا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والنكر . وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة ربه قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد ربه قائم حظه من صلاته السهر وإسناده حسن .

موسى لما صي السالك الوجود في كلام الله تعالى في أزل الأزل قبل أن يخلق موسى لا إلى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كالا يتغير هو إذ ليست صفاته الضمنية لغيره وهو الذي لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهو أنهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوة وعيادها بالله من أين يحتمل هذا القول ما حملوه من المذهب اليسوا وهم يعرفون أن كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب إنسانا آخر قلده ولاية كبيرة وفوض إليه عملا عظيما وجاءه جاء خطيرا وهو ينادى باسمه أو بأمره بما يمثل من أمره ثم إن السامع للملك الحاضر معه غير الولي لم يشارك الولي الخلوغ عليه والفوض إليه في شيء مما ولي وأعطى ولم نجب له بسامعه ومشاهدته

أكثر من حظوة القربة
وشرف الحضور ومنزلة
للكاشفة من غير
وصول إلى درجة
المخاطب بالولاية
والتقوى إليه الأمر
ولذلك هذا السالك
لذكر إذا وصل في
طريقه ذلك بحيث
يصل للكاشفة
والشاهدة واليقين التام
الذي يوجب المعرفة
والعلم بتفاصيل العلوم
فلا يتمتع أن يسمع
ما يوحى لغيره من غير
أن يقصد هو بذلك
إذ هو محل سمع الوحي
على الدوام وموضع
لللائكة وكفى بها أنها
الحضرة الربوبية
وموسى عليه السلام
ما استنقى الرسالة
والتبوة ولا استوجب
التكليم وسماع الوحي
مقصودا بذلك بحلوله
في هذا المقام الذي هو
المرتبة الثالثة قطع بل
قد استحق ذلك بفضل
الله تعالى حين خصه
بمعنى آخر ترقى إلى
ذلك المقام أضافا
لجواز المرتبة الرابعة
لأن أخسر مقامات

على الله عليه وسلم وليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها (١) والتحقيق فيه أن الصلوة مناجاة ربه عز وجل (٢) كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ويأني أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أضالته شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلاء كان القلب حاضراً مع أضالته أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محاور ومناجاة مع الله عز وجل فأما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاوراً أو المقصود منه الحروف والأصوات امتناعاً للسان بالعمل كما يتمتع المدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يتمتع اللب من عشايق الحج ويتمتع القلب بمسقة إخراج الزكاة والقطع للعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فلن نريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الناظر فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله أهدنا للصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاءً فأى مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتقاد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأنتى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الهائلة على لسانه في لسانه في النوم لم ير في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً مع ما لم يكن هو حاضر في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق في الفكر من الأفكار ولم يكن يقصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصير باراً في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة لما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصنيف القلب وتجدد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كروا بالجلية فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتميزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لغيره موضع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظماً للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من الشقة ما يقصد الامتحان به ثم يحمله عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والترايين التي هي مجاهدة للنفس بتقيص المال قال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - أى الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أضالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اعتراط حضور القلب . فان قلت إن حكمت بطلان الصلاة وجلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم لم يشترطوا

(١) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نسر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولابن المبارك في الزهد موقفاً على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سبه عنه (٢) حديث الصلوة مناجاة ربه متفق عليه من حديث أنس .

إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل ونزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع قد قل عن جبرين الحارث فبارواه عنه أبو طالب للسكي عن صفيان الثوري أنه قال من لم يفتح فصدت صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ومن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سديسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١) » وهذا لو قل عن غيره لجعل ملهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما قل من هذا الجنس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر تصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يسجن عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث فاسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي يمرض عن الخدمة وإذا تمارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر خطرا في نفسه فإليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع القسلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الفضلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب للامانة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل للشيف فلنأخذ بقصد مخاطبته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك وبقدرة الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكل من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به نسأل الله حسن العون .

(بيان للغاني الباطنة التي تم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه الغاني تكثر المبادات عنها ولكن يجمعها استجمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها . أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونفى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرها ومهما اسير الفكر من غير ما هو فيه وكان

(١) حديث إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سديسها ولا عشرها الحديث من حب من حديث

عمار بن ياسر بنحوه .

الأولياء أول مقامات الأنبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل ثمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لأن هذا المقام الذى هو للربة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو إلى مباديها أقرب منه إلى غايتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يمرض للكلام فيها والطمع على أهلها هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه بحاسب بظنه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته مخلصا منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول - تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن

في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم الماني للقرآن والتسيجات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة . وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والتفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومنفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما . وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والخافة من المقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه المهمة فان قلبك تابع لممتك فلا يحضر إلا بما يهتك ومهما أهك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبي فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعظلا بل جائلا فبما المهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف المهمة إلى الصلاة والمهمة لا تصرف إليها مالم يتبين أن الفرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عبدنا نجاه مع ملك الملوك الذي يده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع . وأما التفهم فسيبه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك للنبي وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني الزروع عن تلك الأسباب التي تجذب الخواطر إليها ومالم تقطع تلك اللواد لا تصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان من لا يستقد عظمته لا تدع النفس لتعظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخسستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم ومالم تخرج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان للسكنى عن غيره الأمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه . وأما الهيبة والخوف فعالة للنفس تولد من المعرفة بقسوة الله وسطوته وتقوذه مشيئته فيه مع قلة البلاء به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرسل وإنما هو على سبيل البالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأننا ما أوجينا أنه كلمة قصدنا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه ليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا للمشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربح للنجات . وأما الرجاء فسيبه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعظم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعدده والمعرفة بلطفه انبثت من مجموعهما الرجاء لا محالة . وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالجزع عن القيام بمظيم حق الله عز وجل ويحوى ذلك بالمعرفة بيبوب النفس وآفات وقلة إخلاصها وخبت دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بمظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبثت منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب السلم وقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكري وأنت تنتفض أعضاءك وكن عند ذكرى خائفا مطمئنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي قم قيام البعد الدليل وناجني قلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصاة أمتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة » هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت النفلة والصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتم ولم ينب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على مبلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان أضغافه مشاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع محزهم وضهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عن حوالية أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوالية ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه ومظميه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود التميم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه وبراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من آتى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

(بيان الدواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيما من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفك كنه عنها في الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغية القلب عن النجاة والنفلة عن الصلاة ولا يلبس عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون النبي للرسول يسمع كلام الله تعالى عز وجل الداني القديم بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقي في روعه ومما ينادى به في سمعه أو سره وأشباه ذلك كما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتا كالشبور وهو القرآن فاذا صح ذلك فتباين القامات اختلف ورود الخطاب لموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذي هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضروري وصي ذلك الذي سمعوه كلامه إذ كان دالة عليه كما تسمى التلاوة وهي الحروف المتلو بها

إلا الخواطر الواردة الشاغلة والدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يفرغ السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يقبض ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلته ماجرى على حواسه ولكن الضيف لابد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن ينض بصره أو يصل في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقترب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة للصنوعة وعلى الفرش للصبوغة ولذلك كان للتبذون يتبدون في بيت صغير مظلم سعة قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد وينضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا تزع ولا كتابا إلا يحاه . وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فأن من تشبته بالهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يفيده ، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره وبينه على ذلك أن يستمد له قبل التحريم بأن يحدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف للناجاة وخطر القام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع ويغري قلبه قبل التحريم بالصلاة مما يهيمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة « إني نسيته أن أقول لك أن تحمر القدر الذي في البيت ^(١) » فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هواجس أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينبغي إلا للسبل الذي يجمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالتزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فامساكه أضمر عليه من إخراجها فيخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخيضة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعا بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألقتي آتقا عن صلاتي واتوني بأبجانية أبي جهم ^(٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشرك الخلق ^(٣) . وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حينها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له نطرين سبتيتين جرداوين فلبسهما ^(٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر

(١) حديث إني نسيته أن أقول لك تحمر القدرتين اللذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الحبي وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخيضة وقال اتوني بأبجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم . (٣) حديث أمره بنزع الشرك الجديد ورد الشرك الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النصر مرصلا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حينها فسجد وقال تواضعت لربي الحديث أبو عبد الله بن حقيق في شرف الفقراء من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

القرآن كلام الله تعالى إذ هي دلالة عليه . فإن قلت فإني على السامع إذا سمع كلام الله تعالى الذي يستفيد معرفة وحدانيته وقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضروري فيما أرى بأنه الشيء المرسل إلا بأن يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه آخر عنه ومقامه مقامه ؟ فاعلم أن الذي أوجب عثورك ودوام ذلك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالهذيل إنك بعيد عن غور اللطالبع بعيد في شرك اللطالبع بعيد صوب الصوت عتيد صعب السحاب إن الذي استحق به الناظر السالك الواصل للرتبة الثالثة صماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الأولى وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق للواجهة بالخطاب والتقص به وبين من

لا يستحق أكثر من
معاذ من يخاطب به
غيره فهذا من الإشارة
باختلاف ورود
الخطاب إليهما مما
يوجب قهراً وتباين
ما بينهما فإن فهمت
الآن وإلا فقد عني
لاندرجبال؟ فإن قيل
ألم يقل الله تعالى - فلا
يظهر على غيره أحدا
إلا من ارتضى من
رسول - ومما كلام
الله تعالى بحجاب أو
بغير حجاب وعلم ما في
اللكوت ومشاهدة
اللائكة وما غاب عن
المشاهدة والحس من
أجل القيوب فكيف
يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام
حذف يدل على صحة
تقديره الشرع الصادق
والشاهدة الصورية
وهو أن يكون معناه
إلا من ارتضى من
رسول ومن اتبع
الرسول بالإخلاص
والاستقامة أو عمل بما
جاء به النبي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله »

فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم^(١) » وروى « أن أباطلحة صلى في حائط وفيه شجرة فأعجبه
دبى طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدركم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من القته ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت^(٢) » . وعن رجل آخر أنه صلى
في حائط له والنخل مطوقة بشمرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركم صلى فذكر ذلك لثمان رضي الله عنه وقال
هو صدقة فأجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا ينبغي غيره فأما ما ذكرناه
من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الله كره فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمهم التي لا تشغل إلا حوائش
القلب فأما الشهوة القوية للرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تقلبك وتتقضى
جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات المصافير
تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود المصافير فيعود إلى التنقيب بالخشبة
فيله إن هذا أسير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب المصافير إلى الأشجار وانجذاب القلب إلى
الأقدار والشغل يطول في نفسها فإن الدباب كلها ذباب ولأجله سمى ذبابا فكذلك الحواطر وهذه الشهوات
كثيرة وقلما يخلو البعد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى بباطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
ليستغني بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفوه لقلة النجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
سبحانه وبنجاته وهمة الرجل مع قرعة عينه فإن كانت قرعة عينه في الدنيا انصرف لاهماله إليها ولمكن مع
هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر والمرارة
استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكارب اجتهدوا أن يصلوا ركعتين
لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليتسلم لنا من الصلاة شطرها
أو ثلثها من الوسواس لتكون بمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
مثل الماء الذي يسب في قدح مملوء بمخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لاهماله ولا يجتمعان .

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فقول حقا إن كنت من الريدن للآخرة أن لا تنفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما
والنية فإذا صحت نداء للؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك
للإجابة وللسارة فإن السارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فاعرض
قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه
يأتيك النداء بالبشرى والقوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بلال^(٣) » أي أرحنا بها
وبالنداء إليها إذ كان قرعة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك

(١) حديث روى به بالحاقم الذهب من يده وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث
ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاقم كان ذهبيا ولا فضة إنما هو مطلق (٢) حديث إن
أباطلحة صلى في حائط له فيه شجرة فأعجبه ريش طائر في الشجر الحديث في سهوه في الصلاة وتصدقه
بالحائط مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أباطلحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بلال
قط في الطل من حديث بلال ولأبي داود وهو من حديث رجل من الصنابة لم يسم باسناد صحيح .

وهل يبقى إلا ما غاب عنه
أن يكشف إليه
وقال « إن يكن منكم
محدثون فصر » أو كما
قال « للؤمن ينظر
بنور الله » وفي القرآن
العزيز - قال الذي
عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك -
فلم ما غاب عن غيره
من إمكان بيان
ما وعد به وأراد أنه
قدر عليه ولم يكن
نيا ولا رسولا وقد أنبا
الله سبحانه وتعالى
عن ذي القرنين من
إخباره عن العلوم
الغيبية وصدق فيه حين
قال - فإذا جاء وعد
ربي جملة دكا - وكان
وعد ربي حقا - وإن
كان وقع الاختلاف
في نبوة ذي القرنين
فالإجماع على أنه ليس
برسول وهو خلاف
السطور في الآية
وإن دام أحد الدافعة
بالاحتيال لما أخبر به
ذو القرنين وما ظهر
على يدي الذي كان
عنده علم من الكتاب
وأراد أن يجوز على

الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك
الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك
في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر مبدوك . وأما ستر المورة فاعلم أن معناه تغطية مقايح
بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق لما بالك في عورات باطنك وفضائح
سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح يالك وطالب نفسك بسترها
وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر وإنما يفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها
في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فذل بها نفسك ويستكين تحت الحجة قلبك
وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم السيء الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه
من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى
أقرب أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيات فلا مطلوب
سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالآليات في جهة واحدة
حتى لا تنفي على القلب فانها إذا ثبت وظلت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبقت القلب وانقلبت
به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك . فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة
البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفريغ عما سواه وقد قال
صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم
ولده أمه (١) » وأما الاعتدال قائما فانما هو مشول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن
رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقا مطاطا متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبها
على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترويس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام
بين يدي الله عز وجل في هول اللطع عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله
عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن
معرفة كنه جلالة بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائلة من رجل
صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك
وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من
نفسك بالتهاونك عند ملاحظة عبد مسكين فماتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه
أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق
أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحي منه
كما تستحي من الرجل الصالح من قومك (٢) » وروى « من أهلك » . وأما النية فاعزم على إجابة الله
عز وجل في أمثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك
لوجه الله سبحانه رجاء لتوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه إليك في المنجاة
مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا

- (١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولده أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من
قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسل بنحوه وأرسله حق
بزائدة ابن عمر في السند وفي المثل قط عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث
سعيد بن زيد أحد العشرة .

عمر التشبه بالحقائق
فما يصنع فيما جرى
للخضر وما أنبأ الله
سبحانه وأظهر عليه
من العلوم الغيبية وهو
بمدان يكون نيا فليس
برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول
- إلا من ارتضى من
رسول - فدل على أن
في الآية حذف مضاف
منه ما تقدم وانظر
إلى ما ظهر من كلام
سعد رضي الله عنه
أنه يرى لللائكة وهو
غيب الله وأعلم أبو بكر
بما في البطن وهي من
غيب الله وشواهد
الشرع كثيرة جدا
يعجز التأويل ويلهو
المعانيد هذا والقول
بتخصيص العموم
أظهر من الجراءة
وأشهر مما قل الكافة
ويحتمل أن يكون المراد
في الآية بالرسول للذكور
فيها ملك الوحي الذي
بواسطة تنجلي العلوم
وتكشف الصوب
ففي لم يرسل الله ملكا
بإعلام عيب أو مخاطب
متأففة أو إلقاء معنى
في روح أو ضرب مثل

تاجي وعند هذا ينبغي أن يشرق جبينك من الحجل وترتد فرائصك من الهية ويصفر وجهك من
الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو
أكبر من الله سبحانه فله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كاشد على الناقين في قولهم
إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فإن كان هوأك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع
له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فهو شك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان
المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهي وجهي للذي فطر السموات
والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فأنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس
عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر
السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل
على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للنجاة بالكذب والاختلاق ولن يصرف الوجه
إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن
قولك في الحال صدقا ، وإذا قلت حيفا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن السلم هو الذي سلم
للمسلمين من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال
وتقدم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت أما أنا من الشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - زل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشققا من هذا الشرك واستشعر الحجة في قلبك
إن وصفت نفسك بأنك لست من الشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع
على القليل والكثير منه وإذا قلت عيأي وممائي لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
لسيده وأنه إن صدر عن رضا وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمر
الدنيا لم يكن ملائما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومتهدد لصرف
قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجائك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لمن
بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعازتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما
يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقته فقال أعوذ منك
بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يبينه إلا بتبديل للكان فكذلك
من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يبينه مجرد القول فليقرن قوله بالعزم
على التعود بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحسنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه
نبينا ﷺ « لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصي أمن من عذابي » (١) وللتحصن بمن لا معبود له سوى الله
سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل . واعلم أن من مكابده
أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليعمك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن
فهم معاني قراءتك فهو وسواس فأن حركة اللسان غير مقصودة بل للتصويمعانيها . فأما القراءة فالتاس
فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه فاقفل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه
كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب
(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصني كفي التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت
من حديث علي بن إسماعيل ضيف جدا وهو أن مصور الديلمي إمامنا ثبتت مردود عليه .

فترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب وللقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب . وتفصيل ترجمة اللغز أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لا بتداء القراءة لكلام الله سبحانه وانهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن للراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتضع لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بأعانه وأن له للنة إذ وهك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمنجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من اللطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعمد ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فمئتي سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالدين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الدين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل آمين فإذا تلاوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل »^(١) يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعدته ووعدته ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والانتعاط حق الموعدة والشكر حق ذكر النعمة والاعتبار حق إخبار الأنبياء . وروى أن زرار بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في الناقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى - إذا السماء انشقت - اضطرب حتى تضطرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مفلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعدته فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه اللغز بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين ثماته في آية الرحمة والعذاب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله - يخفض صوته كالمتحجج عن أن يذكره بكل شيء لا يطيق به وروى أنه يقال لقاري القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا »^(٢) .

(١) حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق وت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

في بقطة أو منام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أن يرسله إلى من يشاء من عباده في بقطة أو منام فانه يطام على ذلك أيضا ويكون قاعدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لا تصل إليها نفسه ولا مخلوق سواه إلا بالله تعالى حين أرسل إليه الملك بذلك وبه الله الحق يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع إلى الله تعالى وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيبته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من

رسول أي عن يد رسول من اللائكة .
[فصل] ومعنى ولا يتخطى رقاب الصدّيقين إن قلت ما الذي أوصله إلى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة حال للقرّيبين ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وإنما خاصة من هو في مرتبة الصدّيقين عدم السؤال لكثرة التحقّق بالأحوال وخاصة من هو في مرتبة القرب كثرة السؤال طمعا في بلوغ الآمال ومثالها فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا في بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقّق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شيء مما يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل إلى علم الباقي وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فانه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نصت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل مقبل على الصلّى ما لم يلتفت ^(١) » وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فاذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبيع التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليمود إليه وألزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا صليا يبث بلحيته « أما هذا لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » فان الرعية بحكم الراعى ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصلح الراعى والرعية ^(٢) » وهو القلب والجوارح وكان الصدّيق رضى الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضى الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع المصافير عليه كأنه حماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتفاضل بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سمه وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قيامه وركوعه وسجوده وجالوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بفؤ الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ^(٣) ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجهدا في ترفيق قلبك وتجهيدا خشوعك وتستشعر ذلك وعزم مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضى للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافضل فانه أجلب للخشوع وأدل على الدّل وإذا وضعت نفسك موضع القدر فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تمود فتجد هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الأعلى وأكده بالتكرار فان الكثرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رقت قلبك وظهر ذلك فتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تتسارع إلى الضعف والدّل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكّد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك للملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يلغى ويرد عليك ما هوأوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما واقيا بعدد عباد الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كل حق الشهادة ومستأنفا لتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء للأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث إن الله يقبل على الصلّى ما لم يلتفت د ن ك وصحح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصلح الراعى والرعية لأقفله على أصل وفسره للصف بالقلب والجوارح .

أسطوانة في المسجد وهو في الصلاة وتأتي كل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه قليل إنه في الصلاة لا ينحس بما يجري عليه ققطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً فقال وهل شيء أحب إلي من الصلاة فأذكره فيها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من قه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان فقال هل رأيت مني نقصت من حدودها شيئاً قالوا لا قال إني بادرت سهو الشيطان إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد يصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها (١)» ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال طي النبر إن الرجل ليصيب عارضه في الإسلام وما أكل الله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها . وسئل أبو العالية عن قوله - الذين هم عن صلاتهم ساهون - قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري طي كم ينصرف أطي شفع أم طي وتر؟ وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم هو الذي إن صلاه في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثمًا . واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه وإن كان الفقيه يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل (٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجحاً مني عبدي وبالنوافل تقرب إلى عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضته عليه (٣)» وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم «صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما افتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا لما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل طي الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صغوفهم ونيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغييرون عن قلوبكم باطل ما تذهبون إليه (٤)» وهذا يدل طي أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجده على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

أكل صنعا ولو كان وادّخره مع القدرة كان ذلك بخلاً يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً يناقض القدرة الإلهية فكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً وكان ذلك ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادّخار إخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيرها بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجها من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث إن الفاعل المختار له أن يفعل فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا أنه ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم بجاري أفعاله ومصادر أموره وأن تتحقق أن كل ما اقتضاه ويقتضيه عن خلقه بطله وإرادته وقدرته إن ذلك طي غاية الحكمة ونهاية

(١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفها قليل له خفت يا أبا اليقظان الحديث وفيه إن العبد يصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وتقدم للرفع عنه وهو عند (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فإن انتقص من فرضه شيئاً قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا بأداء ما اقترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلًا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواهن مختصر من حديث عبد الرحمن بن أبي بصير بإسناد صحيح.

فهذه صفة الحاشعين فدلّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق .
(الباب الرابع في الإمامة والقدوة)

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الباقي وامرأة زوجها وخطيبها وإمام أمّ قوما وهم له كارهون » (١) « وكاينى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدم إن كان وراءه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة قد قيل إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخصف بهم وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسيب إشارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضمانهم وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المتقين لاسمها في جهرة بالقراءة فكان لا حتراز من احتراز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما قلناه من فضيلة الأذان لقوله ﷺ « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » (٢) « فقالوا فيها خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » (٣) وفي الحديث « فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لا عليهم » (٤) « ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » (٥) « والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشيد يراد للمغفرة وفي الخبر « من أتم في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب » (٦) ولذلك قل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » (٧)

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم : العبد الباقي الحديث ت من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبي هريرة وحكى عن ابن للدين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن (٣) حديث الإمام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبي هريرة دون قوله الإمام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتم فله ولهم وإن انتقص فعليه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عتبة بن عامر والبخارى من حديث أبي هريرة يصلون بكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بنية حديث الإمام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أمّ الخ هكذا هو في النسخ وهو الموافق لكلام الصنف ولكن في العراق والشارح لفظا وإن في الموضعين فليحرر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله الموجبة لإجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولولم يخلق لكان يظهر النقص المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهمها وعرفهم ما أمكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله د لهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويتزر به إلا من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابهة ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأقرب فقد قال صلى الله عليه وسلم « أتمتكم شفعاؤكم أوقات وفدكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم (١) » وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة الصالحين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بصناد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة حماد الدين فاخترنا لديننا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا (٢) » وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضى للأذان (٣) » وماروى أنه قال له رجل يا رسول الله « دلتى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بأزاء الامام (٤) » فلم يظن أنه لا يرضى بامامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك نوه أن ربما يقدر عليها . الثالثة أن يراعى الامام أوقات الصلوات فيصل في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٥) » هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن المبد ليصل الصلاة في آخر وقتها ولم يفت ، ولما فاتته من أول وقتها خبره من الدنيا وما فيها (٦) » ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظر كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجماعة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإماما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف صلى الله عليه وسلم حتى قامت رسول

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أتمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قط هو وضعف إسناده من حديث ابن عمر والبخاري وابن قانع والطبراني في مصابيحهم وكن من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأسدي وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لديننا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد ما أنا بخائب ولأني مرض فرضينا لديننا ما رضى به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا وللرفع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصحابة بلالا (٤) احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما الرفع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه مارأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاد إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سننى وضعفت قوتى واقرب أجلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فاني عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن قباه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٥) حديث قال له رجل يا رسول الله دلتى على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس بأسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن المبد ليصل الصلاة في أول وقتها ولم تحته الحديث الدارقطني من

(١) قول الرازي تقديم الصحابة بلالا لعل للناس عدم تقديمه فليتأمل

أصلا في العلم أو كان
نسخه ومعنى تقيس
عليه غيره وأما
انكشافه بخبر ممن
رزق علم ذلك كان
بطلان العلم في حق
الخبر إذ أفشاء نصير
أهله وأهده لمن
لا يستحقه كما روى عن
عيسى على نبينا وعليه
السلام: لا تعلقوا الدرر في
أعناق الخنازير. وإنما
أراد قطاع العلم غير
أهله وقد جاء لا تمنعوا
الحكمة أهلها فظلموم
ولا تضعوها عند غير
أهلها فظلموها وأما
سر العلم الذي يوجب
كشفه بطلان الأحكام
فان كان كشفه
من الله سبحانه لقلوب
صائفة بطلت الأحكام
في حقها لمن يطلع عليه
في ذلك السر من معرفة
مآل الأشياء وعواقب
الخلق وكشف أسرار
العبادة وما يظن من
مقدور فمن عرف
نفسه مثلا أنه من أهل
الجنة لم يصل ولم يصم
ولم يتعب نفسه في خير
وكذلك لو انكشف
له أنه من أهل النار كن

الله صلى الله عليه وسلم ركنة فقام يقضيها قال فأشرفنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أحسنتم هكذا فافعلوا» (١) وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه (٢)، وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره. الرابعة أن يؤتم مخلصاً لله عز وجل ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً (٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أعد منها في التراويح وتكون أجره له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. وأما الأمانة فهي الطهارة باطنياً عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغار فالترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجمه فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والحجب فانه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ يده من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنب في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة (٤) وقال سفيان بن عيينة خلف كل بر وفاجر إلا من خسر أو معلن بالفسق أو عاق لولديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق. الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليفت يمينا وشمالاً فإن رأى خلافاً أمر بالتسوية، قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكمام ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة في الخبر «ليتمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره» (٥) وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين (٦) وأمر بتقديم العشاء على العشاء (٧) طلباً لفراغ القلب. السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الإمام فيبتدىء بعد فراغه والله أعلم. وأما وظائف القراءة الثلاثة: أولها

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة. (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنب في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكر بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوما إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فضل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره، تذكر من حديث جابر: يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قالت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد المنعم الدياجي منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهيقي لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدهوا بالعشاء متفق عليه.

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله ﷺ يوماً عن صلاة الفجر وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة. (٢) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٣) حديث اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي ﷺ الجنب في صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبي بكر بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوما إليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فضل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر في قصة طعنه (٥) حديث يمهل للمؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره، تذكر من حديث جابر: يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته قالت إسناده مجهول وقال ك ليس في إسناده سطعون فيه غير عمرو بن قايذ قلت بل فيه عبد المنعم الدياجي منكر الحديث قاله خ وغيره (٦) حديث النهي عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة واليهيقي لا يصلين أحدكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدهوا بالعشاء متفق عليه.

أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام مع الاتعقيا (١) ويجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام في القيام ثلاث سككات (٣) هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا هن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرأوا الفاتحة في سكوتهم واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لأعليهم . السككة الثانية إذا فرغ من الفاتحة لين من يقرأ الفاتحة في السككة الأولى فاتحته وهي كنصف السككة الأولى . السككة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصود هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية بعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من اللذان مادون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتفليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكير وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة (٥) وهي قوله - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر

(١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطك وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سككات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سككات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فكتب إن سمرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضوع من السند وده حب وت فأنكر ذلك عمران وقال حفظا سككة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث سمرة إلا سككتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سككاته (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آمنا بالله - الآية ، وفي الثانية - ربنا آمنا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما - آمنا بالله واشهدوا بأننا مسلمون - ودم من حديث أبي هريرة - قل آمنا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آمنا بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال أخطط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه .

الذي صلى الله عليه وسلم «اسكن أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان» وقال بعضهم اسأل الأرض تخبرك عن شق أنهارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق أحواضها وأرسي جبالها إن لم تحبك أجابتك اعتبارا وإنما الذي يتوقف على الأذهان ويتحير في قوله السامعون وتتعجب منه القول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففي هذا وقع الإنكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه في للشهود يكون على جهات من ذلك معام الكلام الداني كما تلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم في بعض الأوقات كحين

الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبته ومنها تلقى الكلام في حسن السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويصير هذا سائر الحواس كشكل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرتب للنائم ليس له وجود في صمته وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة ، فقد ورد أن الحجر في زمن عيسى ينادى المسلم يا مسلم خلني يهودى فاقله وإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا وينهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستر عن الأبصار في العادة من اللائكة والجن أو يكون كلام مخلقه الله عز وجل في أذن السامع ليفيه العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

بطوال الفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر الفصل وآخر صلاة صلاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماضى بعدها حتى قبض (١) . وبالجملة التخفيف أولى لاسيما إذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وإذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (٢) » وقد كان معاذ ابن جبل صلى يوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نفاق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال أفتان أنت يا معاذ أقرأ سورة سبح السماء والطارق والشمس وضحاها (٣) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيبحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٤) ، ثم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكننا نسبح وراءه عشر أعشرا (٥) وروى مجمل أنهم قالوا : كننا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر أعشرا (٦) وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا التجردون للدين فلا بأس بالشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع مع الله لمن حمده . الثانية في المأموم ينبغي أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعبد في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والمات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين (٨) وقيل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

(١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاحها متفق عليه من حديث أم الفضل .
(٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ بقوم العشاء قهراً البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر السماء والطارق وهي عند البيهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماضيت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد وضعفه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر لم أجده أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فخرنا في ركوعه عشر تسيبحات وفي سجوده عشر تسيبحات .
(٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جبهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التعمود في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الفزالي هنا وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه ممسوح العين أي مطموسها . وأما وظائف التحلل الثلاثة : أولها أن ينوي بالتسليتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يغم حتى ينصرفن^(١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام^(٢) . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل اغتسال الإمام قهروا من طلحة والزيير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالوا للإمام ما أحسن صلاتك وآتينا لإشيئا واحدا أنك لما سلمت لم تنقل بوجهك ثم قالوا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينقل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن للمأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضي عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت^(٣) فإذا صح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لا يوافق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسنتها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه^(٢) » وفي لفظ آخر « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره^(٣) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلقوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعله عبدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع^(٤)

بآخر الصلاة والترمذي من حديث ابن عباس وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون وك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابش وصحبهما وسأني في الدعاء (١) حديث المكث بعد السلام من حديث أم سلمة (٢) حديث إنه لم يكن يقعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع اليدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء وقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إن الله فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر باسناد ضعيف . (٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن وك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلقوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيام إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم للنادى به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للنادى في حاسة أذنه لينتحر ك إلى الحجاب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأمثلة كثيرة في الشرع وفيها سمعت غيبة ومتنع . ومنها تلقى السلام في العقل وهو الاستفاد بالمعرفة السموع بالقلب للفهوم بالتقدير على اللفظ للسمى بلسان الحال كما قال قيس : وأجهشت للتوداد حين رأيته وكبر للرحمن حين رأيته قلت له أين الدين عهدتهم حوالبك في عيش وخفض زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن القى يبقى على الحدثنان

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يفرسها عليك ربك لتكون لك عبدا ولأمتك من بعدك . قلت لسانا فيها قال لكم خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخره له ما هو أعظم منه أو يعود من شره هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن نعوه في الآخرة يوم للزبد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادبا أليح من للسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسية فينجلي لهم حق ينظروا إلى وجهه الكريم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه يمسر عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم للزبد كذلك تسميه لللائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة ^(٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة مائة ألف عتيق من النار ^(٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم تسمر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسمر فيه ^(٥) » وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البهتان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمروم يلقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى فنة القبر ^(٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فإن وقت تسليمه الإمام في وقت العصر فالت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والسبوق إذا وقت ركته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف . الثاني للكان ، فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل ، يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه . الثالث المدد فلا تمقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظنون عنها شتاء ولا صيفا فإن انقضوا حتى نقص المدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن السبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الاضراء

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفه مرآة يضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعي في المسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة مائة ألف عتيق من النار عد حب في الضعفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في العلل والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلت الجمعة سلت الأيام حب في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من حديث طائفة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجحيم تسمر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبي قتادة وأعله بالانقطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفى فنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن مهران وقال غريب ليس إسناده بمنصل . قلت وصلته الحكم في النوادر .

وفي أمثال الروام قال الحائط للوتد لم تشقى فقال الوتد للحائط سل من يدق فلو كانت العبارة تأتي منها ما عبرت إلا بما قد استمر لها وعلى هذا للحن حمل كثير من العلماء قوله تعالى إخبارا عن السماء والأرض حين - قلنا أتينا طائمين - وفي قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأضعفن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كأي أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان قطوانيتان يلي وتجييه الجبال والله يقول ليك يا يونس » قوله كأي يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس بن متى عليه السلام قدمات وتلك الحالة منه سبقت

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممها ظهرا .
 الخامس أن لا تكون الجمعة مسبقة بأخرى في ذلك البلد فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز
 في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
 أولا ، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فإن تساوى فالمسجد الأقدم
 فإن تساوى ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام
 فيهما فريضة والجلوس بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأقله الحمد لله والثانية
 الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
 فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .
 وأما السنن : فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
 والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
 السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف
 أو العنزة والمنبر كي لا يثبت بهما أو يضع إحداها على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
 ولا يستعمل غريب اللغة ولا يعطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ
 آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
 حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
 ذكر بالغ عاقل حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
 البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
 نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
 لعذر للطر والوحد والفرع والمرض والعرض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعنى
 أصحاب الأعداء تأخير الظهر إلى أن يخرج الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
 أو عبد أو امرأة صحت جميعهم وأجزاء عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العامة وهي عشر حمل)

الأول أن يستند لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
 بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله
 عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يسطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
 ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويغفر قلبه من الأعمال التي
 تمنعه من السكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى
 يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل
 كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهل في هذه الليلة أو في يوم الجمعة قد استحب ذلك
 قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر واتسكروا وغسلوا واغتسلوا ^(١) » وهو حمل
 الأهل على الغسل وقبل مناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تم آداب الاستقبال
 ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيبا من الجمعة
 من انتظر هاوراها من أمس وأخفهم نصيبا من إذا أصبح يقول ليس اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة
 (١) رحم الله من بكر واتسكروا وغسلوا واغتسلوا الحديث أصحاب السنن وحب و ك وصححه من
 حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر واتسكروا الحديث وحسنه .

وفي هذا الحديث إخبار
 عن الوجود الحياي
 في البصر والوجود
 الحياي في السمع
 ومنها تلقى الكلام
 بالشبه وهو أن يسمع
 السامع كلاما أو صوتا
 من شخص حاضر
 فيلقى عليه شبه غيره
 مما غاب عنه كقوله
 عليه السلام في صوت
 أبي موسى الأشعري
 إذ سمعه يترنم بالقرآن
 « لقد أعطى زممارا
 من زمائر آل داود »
 وزمائر آل داود قد
 عدت وذهبت
 وإنما شبه صوته بها
 وكذا إذا سمع للريد صوت
 زممار أو عود فجاء على
 غير قصد يتخيل صرير
 أبواب الجنة وشبهها
 بما جفا صوته من ذلك
 فهذه مراتب الوجود
 فانت إذا أحسنت
 التصرف بين أساليبها
 ولم يترك غلط في
 بعضها بعض ولا
 اشتبهت عليك وصحت
 همن نظر بمشكاة نور
 الله تعالى إلى كاعند
 وقد رآه أسود وجهه
 بالخبر فقال له ما بال

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتداء بالتسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة بالتسل مستحب استحبابا مؤكدا وفهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » (١) وللشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما « من آتى الجمعة فليغتسل » (٢) وقال عليه السلام « من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » (٣) وكان أهل المدينة إذا تسابوا للتسابان يقول أحدهما للآخر أنت أشرف من لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور قال لما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توشأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالتسل » (٤) وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توشأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالتسل أفضل » (٥) ومن اغتسل للجنابة فليغتسل للماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإنما اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولدهم وقد اغتسل فقال له الجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يحد أن يقال للقصد والنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء أيضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يغسل غسله والأحب أن يحتز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة ولطيب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وتقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه هفاء فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء قد حصل للقصد فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطلب بها الروائح الكريمة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره « وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه » (٦) روى ذلك في الأثر وقال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب إذا أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى وثالة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة » (٧) فإن أكره الحر فلا بأس بزعمها قبل الصلاة وبمدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام للتب في خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث نافع عن ابن عمر من آتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث من عهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا أحب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث إلى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان (٥) حديث من توشأ يوم الجمعة فيها ونعمت الحديث وت وحسنه ون من حديث سمرة (٦) حديث طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه وت وحسنه ون من حديث أبي هريرة (٧) حديث وثالة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة ط وعد وقال منكر من حديث أبي هريرة ولم أره من حديث وثالة

وجهك وقد كان أبيض أشقر موقها والآن قد ظهر فيه السواد فلم سودت وجهك فقال سل الخبر فإنه كان مجهوما في الخبر التي هي مستقرة ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظما وعدوانا فقال صدقت . ثم أنت إذا سمعت أمثال هذه للراجمات أهل الفكر وجدد النظر وحل الكلام إلى أجزائه التي ينظم منها جملة ما بملكك فسأل عن معنى الناظر ومعنى المشكاة ومعنى نور الله سبحانه وما سبب أنه لم يعرف الناظر العكابة والكتوب وبأى لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل التطبيق وفيما صدق الناظر الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس وللشكاة استعارة من مشكاة

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصدا للبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والسارة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت لللائكة عند النبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء (١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأولى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا ضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة (٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه أفضلهن الندوة إلى الجمعة وفي الخبر « إذا كان يوم الجمعة قدمت لللائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم (٣) » وجاء في الخبر « إن اللائكة يفتقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضا عنه ما فعل فلان وما ألقى آخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان آخره قمر فأغنه وإن كان آخره مرض فاشفه وإن كان آخره شغل فقرغه لمبادتك وإن كان آخره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك (٤) » وكان يرى في القرن الأول سحرا أو بعد الفجر الطرقات حلوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك قليلا أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم ييكررون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف ييكررون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يساق بهم طلاب الآخرة ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والندوة إلى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصا على ما فيهن من الخير والبركة الحديث . قال والتهجير إلى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قدمت لللائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث على بإسناد ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر اللائكة إلى للمساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم يباب للمساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث إن اللائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بضا ما فعل فلان حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وقص بإسناد حسن . واعلم أن للصف ذكر هذا أثران لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطا .

الترجاجة التي أعمرت سراج النار إلى خبر للعرفسة للقلب بسر القلب حبها بها لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور هنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الداهية بإذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والخبر كناية عن أنفسهم لا عن غيرها وجعلها مبدأ طريقه وأول سلوكه إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي محل جولة الناظر في حال نظره وأما سبب أنه لم يصرف الكتابة والكتوب فلا جيل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصانع وإنما يوم معرفة قراءة الحسط الإلهي الذي هو أين وأدل على أنهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو

قد سبقوه بالبكور فاعتم لذلك وجلل يقول في نفسه معاتباً لها رابع أربعة ومارابع أربعة من البكور يعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلًا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تهدم مجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان مامنك أن تجمع اليوم معنا قال يائي الله قد جمعت معكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألم ترك تتخطى رقاب الناس (٢) . أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال « مامنك أن تصلي معنا » قال أولم ترى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأنيت وأذيت (٣) » أي تأخرت عن البكور وأذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير محله . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين يديه أعني بين يدي المصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي المصل (٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل مادام مديداً تدروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصل (٥) » وقد روى في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو سلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يديه (٦) » والأسطوانة والحائط والمصلي للفروض حدث المصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فإن أبي فليدفعه فإن أبي فليقاتله فإنه شيطان (٧) » وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فإن لم يجد أسطوانة فليصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدته . السابع أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما روينا وفي الحديث « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعين وزيادة ثلاثة أيام (٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم ت وضغفه وه من حديث معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جريج مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣) حديث مامنك أن تصلي معنا فقال أولم ترى قال رأيتك آتيت وأذيت دن حبك من حديث عبد الله بن بسر مختصراً (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي المصلي للبراز من حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو سنة وه وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن يكون الرجل مادام تدروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفاً على عبد الله بن عمر وزاد متعمداً (٦) حديث لو سلم للمار بين المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يعقوب السراج في مسنده من حديث زيد بن خالد بأسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدفعه فإن أبي فليقاتله فإمما هو شيطان متفق عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وفي لفظ آخر « غفر الله إلى الجمعة الأخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ^(١) » ولا يفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرًا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصل في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر النصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قريبك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الخبر « ادن واستمع ^(٢) » فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم ^(٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فأنما تأخرت رجاء أن ينظر لي بواحد منهم ينظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إثارا وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعندهذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر الزني لا يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في الساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافة وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة . وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالا : من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فله وزران ومن لم يسمع ولغا فله وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت أو مه قد لغا ومن لغا والامام بخطب فلا جمعة له ^(٤) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي وحصة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس دح بك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٢) حديث ادن فاستمع دمن حديث حمزة أحضروا الله ذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجرودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٤) حديث من قال لصاحبه والامام بخطب أنصت قد لغا ومن لغا لا جمعة له تن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لغا فلا جمعة له قالت حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

له أنه في جسم كما تدرك السخلة عداوة الدئب وعطف أمها فتبع العطف وتتفر من العداوة وأما ما سمعته في حد عالم الملكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شيء حقائق هذه الذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسامعه مع علم الشاهدة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجمعة لملك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحقك الله بأولى الشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد .

[فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

الملك وبين العلم الإلهي
في عالم لللكوت أن
العلم كما اعتقدته مجسما
بطيء الحركة بالفعل
سريع الانتقال بالهلاك
مخلفا عن مثله في
الظاهر مجسولا تحت
قهر سلطان الآدمي
الضعيف الجاهل في
أكثر أوقاته متصرف
بين أحوال متنافية
كالعلم والجهل والعدل
والظلم والشك والصدق
والإفك فالعلم الإلهي
عبارة عن خلق الله في
عالم لللكوت مختص
بمخلاف خصائص
الجواهر الحسية الكائنة
في عالم الملك يرى من
أوصاف ماسمي به القلم
المحسوس كليا مصرفا
يتميز الخالق بحكم إرادته
على ماسبق به علمه
في أزل الأزل وإعنا مسمى
بهذا الاسم لأجل شبهه
بعمل ماسمي به غير أنه
لا يكتب إلا حقائق
الحق والفرق بين عين
الآدمي وبين الله عز
وجل أن عين الآدمي
كما علت مركبة من
عصب استنصى بقاؤها
وعضل تعضل أدواؤها
وعظام يعظم بلاؤها

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ
إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أباي اذهب فلاحمة لك فشكاه أبو ذر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « صدق أبي » (١) وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هينة حتى يقبى إلى السمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم
لمن عجز عن الاستماع بالبعد فليصت فهو للسمع وإذا كانت تكرر الصلاة في وقت خطبة الإمام
فالكلام أولى بالكراهية وقيل على كرم الله وجهه تكرر الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر
ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب . التاسع أن يراعى في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فإذا صبح قراءة
الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقيل هو الله أحد
والمودتين سبعين وروى بعض السلف أن من فقه عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من
الشیطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغني بحلالك
عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم صلى بعد الجمعة ست ركعات ، قد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أربعة (٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ستا (٤) ، والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم للسجد حتى
يصل العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى
المغرب فله ثواب حجة وعمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف
الحوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا كراه الله عز وجل مفكرا في آلائه شاكر الله تعالى
على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تنقوت الساعة الشريفة
ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على
الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس الله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسهم » (٥) .
(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التهار وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلاخير في كلامهم ولا ينبغي
أن يخلو المرید في جميع يوم الجمعة عن الحيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو خير ولا ينبغي
أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلاحمة له (١) حديث أبي ذر
لما سأل أيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هو وقال في العرفة
إسناده صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح أن السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولأحمد من
حديث أبي الدرداء أنه سأل أيا ولابن حبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى
من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجمة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع فقال
لأنه كان يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه
(٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً
(٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة هو مرفوعا عن علي وله موقوف على
ابن مسعود أربعاً و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٥) حديث يأتى على
أمتي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث هو في الشعب من حديث الحسن مرسل
وأسنده ك من حديث أنس وصححه إسناده وحسنه نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

نهي عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) « إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالتعذات فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر^(٢) » إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد صلى الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً - وقال تعالى - ولقد آتينا داودنا فضلاً - يعني العلم فعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصص إذا كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصص من الجامع . بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قام يقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا^(٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليهم روى أن قاما كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتى فضر به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه^(٥) » وفي خبر آخر « لا يصادفها عبد يصلي^(٦) » واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت الصبر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها عليه السلام وعليها^(٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواهي على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنتقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم نفحات لا تفرضوا^(٨) لها » ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره منصرفاً لها باحضار القلب وملازمة الذكر والتزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحمري إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عبد يصلي ولا تحين صلاة » فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ينتظر

(١) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة دن وه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف للزني (٥) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشب وعلة الاختلاف (٧) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه بن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

ولحم ممتد وجلد غير جلد موصولة كتلتها في الضف والافتعال ملقة باليد وهي عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بمحارحة ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقل للمعلوم المحدث وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين المكتوبة بالقلم المذكور بالخط الإلهي الثبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بهرب ولا عجب يقرؤه الأميون إذا شرحت صدورهم وتستجمع على القارئ إذا كانوا عبيد شهوراتهم ولم يشارك يمين الأسمى إلا في بعض الأسماء لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريباً إلى كل ناقص الفهم عساه يتقبل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر .

[فصل] وحدثنا عالم الملك
ماظهر للحواس ويكون
بقدره الله تعالى بعضه
من بعض وصحة التعبير
وحدثنا عالم الملكوت
ما أوجده سبحانه
بالأمر الأزلي بالتدريج
وبقى على حالة واحدة
من غير زيادة فيه
ولا نقصان منه وحدثنا
عالم الجبروت هوماين
العالمين مما يشبه أن
يكون في الظاهر من
عالم الملك غير بالقدر
الأزلي بما هو من عالم
المللكوت .

[فصل] ومعنى أن الله
خلق آدم على صورته
فذلك على ما جاء
في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم
والعلماء فيه وجهان
فمنهم من يرى للحديث
سببا وهو أن رجلا
ضرب غلامه فراه
النبي صلى الله عليه وسلم
فنهأ وقال إن الله
تعالى خلق آدم على
صورته وتأولوا عود
الضمير على الضروب
وعلى هذا لا يكون
للحديث مدخل في هذا
الوضع لم يرد موردا
آخر في غير هذا الوطن

الصلاة فهو في الصلاة (١) قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة
من الله سبحانه للقائين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا
وقت شريف مع وقت صعود الإمام النبر فليكثر الدعاء فيهما . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم
الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول
اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وتصدق واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقة أداء وأعطه الوسيعة وابسته التمام الحمد الذي وعدته
واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من
النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين (٢) » تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع
في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد آتى بالصلاة
المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورافتك ورحتك
ونحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائدا الخير وفاتح
البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابسه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يضبطه به الأولون
والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والنزلة الشاهقة النيفة
اللهم أعط محمد سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه
وأبلغ حاجته وارفع في أعلى للقرين درجته اللهم احشرونا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأحبنا
عليه وسلم ومولانا على ملكه وأوردنا حوضه وأسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين
ولا فائتين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين (٣) » وعلى الجملة فكل ما آتى به من ألفاظ الصلاة
ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فان ذلك أيضا مستحب في هذا
اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي
هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرؤها
إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح
وعوفي من اللهام واللهيلة وذات الجنب والبرص والجذام وقنة الدجال (٤) » ويستحب أن يحتم القرآن
في يوم الجمعة وليتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب
أو بين الأذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان المابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة قل هو الله
أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولا ت حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من
قد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك
وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ذات ن
حب من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة
ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال
ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن مسعود
(٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما .

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسهبات للست في يوم الجمعة أوليلتها فحسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والناقين^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل آتى على الإنسان^(٢). الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى صلاها^(٥). قال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الحنطة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار. السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف إلا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان إلى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط و قال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والناقين حب وهق من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن ممالك مرسلات لا يصح مسنداً ولا مرسلات (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والناقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل آتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جداً (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التحية إذا دخل والامام يخطب م من حديث جابر وخ الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوتة صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث أنس وقال أسد سيب بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسلات (٦) حديث صلاة التسبيح وقوله لعنه العباس صلها في كل جمعة ده وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال علق وغيره ليس فيها حديث صحيح.

ويكون الايمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول مما يمز ويصير فليبقى السبب على حاله ولنظري وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا للوطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي إلى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أى جهة يحمل في الاعتقاد العلمى على الله سبحانه فيها وجهان: أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يضاف إليه العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطلع مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أسألك أن تغفرلى وترحمى وتعافى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له . السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتدى فيه السفر قد روى « أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه (١) » وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرقعة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بخواصل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات الفاضلة بسوء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشد مقتته لحرمانه بركة الوقت وانها كحرمه الوقت ويستحب في الجمعة دعوات توسيائية ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها)

فأما للمائل التي تقع نادرة قد استقصيناها في كتب الفقه

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل العقرى التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهمات أذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحلك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن السيب يأخذها ويغدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الأحب إلى أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقيها وهذه رخصة والافالكال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولقد كان بعضهم لا يطرده الباب وقال لا أعود نفسي ذلك فيفسد على صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما شارب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأول وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجمأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا الضرورة [مسئلة] الصلاة في النملين جائزة وإن كان نزع النملين سهلا وليست الرخصة في الخف لصر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها الداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع قنزع الناس نعالهم فقال لم خلعت نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما (٢) » وقال بعضهم الصلاة في النملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعت نعالكم وهذه مباينة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليعين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه (٣) » فأذن قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والحطيب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(الباب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع قنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه م .

به تعالى فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بحملته وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه مختصر صغير فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه بالمع وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الأكبر قسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والإنسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع

ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راحى هذا للمنى وهو التفات القلب إليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ^(١) » وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما ^(٢) فلا إمام أن يضع ذلك إذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولله للحدوث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة [مسئلة] إذا برز في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فضض غضبا شديدا ثم حكها بمرجون كان في يده وقال اتنوني بعير فلتطع أثرها بزعران ثم التفت إلينا وقال أياكم يحب أن يبرز في وجهه قلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة ^(٣) » وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى فلا يبرقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بضم يعض [مسئلة] لوقوف القتيدي سنة وفرض . أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجانب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معهما رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجر إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين القتيدي والامام رابطة جامعة فانها في جماعة فان كانا في مسجد كفي ذلك جامعا لأنه ينفى فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف اتصال الامام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد جلالة الامام وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بهارابطة إذ يصل فضل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لا على في المسجد فالشرط أن يعد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء [مسئلة] المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام وإن أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالقائمة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض القائمة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وإن ركع الامام وهو في السورة فليطعمها وإن أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لأن ذلك انتقال محسوبة والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمواضع بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والامام جد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعه للندري وليس بجيد (٢) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبدالله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة نخامة فضض غضب الحديث م من حديث جابر وانفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر .

الجواهر المحسوسة وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشباه ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد اتسم بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس وإلى عالم الكوت وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو التوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك اتسم إلى ما شابه هذه القسمة فالشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمنا وللشابه لعالم الكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والإرادة وأشباه ذلك وللشابه لعالم الجبروت ، فكالأدراكات الموجودة بالحواس والقوى للوجود بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بمالم تصه عقولهم أن يريدون

أن يكذب الله ورسوله
فمن حدث أحدا بما لم
يصله عقله ربما سارع
إلى التكذيب وهو
الأكثر ومن كذب
بقدره الله تعالى وبما
أوجدتها فقد كفر
ولم يقصد الكفر فإن
أكثر اليهود والنصارى
وسائر الكفار ما قصدت
الكفر ولا تنظيره
بأنفسها وهي كفار
بلا ريب وهذا وجه
واضح قريب ولا
تلتفت إلى مآمال إليه
بعض من لا يعرف
وجوه التأويل ولا
يقول كلام أولى الحكمة
والراسخين في العلم
حين ظن أن قائل ذلك
أراد التكفير الذي
هو قبيح الإيمان
والإسلام بتعلق غيره
وتلحق قائله وهذا
لا يخرج إلا على مذاهب
أهل الأهواء الذين
يكفرون بالمعاصي
وأهل السنن لا يرضون
بنفك وكيف يقال لمن
آمن بالله واليوم الآخر
وعبد الله بالقول الذي
ينزه به والعمل الذي
يقصد به التمسك لوجهه

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أو لا ثم العصر فإن ابتداء العصر
أحرزاه ولكن ترك الأولى واقتنع شبهة الخلاف فإن وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده
فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة
الوقت والله يحسب أيهما شاء فإن نوى فاتئة أو تطوعا جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة
أخرى فليؤتي الفاتئة أو النافلة لإعادة للؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لعدم
فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة
في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النملين حين أخبر جبرائيل
عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة
[مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو فضل
فلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث
السهو قبل السلام فإن نسي بعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث
بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جالس سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحال به وعاد
إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر من سجود السهو بعد خروجه من السجود أو بعد
طول الفصل فقد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سببا خيل في العقل أو جهل بالشرع لأن امثال
أمر الله عز وجل مثل امثال أمر غيره وتعميمه كتعميم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم
فقال له فلو قال نويت أن أتصعب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا
عليه بوجهي كان سفها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تبيث داعية التعميم فتقيمه ويكون معظما
إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امثالا كاشتراط كون
القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل واتقاء باعث آخر سواء قصد التعميم به ليكون
تعظيما فانه لو قام مدبراعنه أو صبر قائما بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون
معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ
الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب لمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم
النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه
التقصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في اللهن بحيث تطالها
النفس وتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للمزوب والغفلة
وإن لم يكن مفصلا فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بعم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما
هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الوجود والمدموم والتقدم والتأخر والزمان
وأن التقدم للمدموم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطقية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث
إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم قسط أو التأخر أو المدموم أو تقدم المدموم أو تأخر الوجود أو الزمان
المنقسم إلى المتقدم والتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إنى أعلم الحادث ومن
الجهل بهذه الحقيقة يشور الوسواس فإن الوسواس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية
والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل
العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يدفع الوسواس وهو أن يعلم أن امثال أمر الله سبحانه في النية كاستئناف
أمر غيره ثم أزيد على سبيل التسهيل والترخيص وأقول لو لم يفهم الوسواس النية إلا باحضار هذه
الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فقدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تيسرت النية للوسوس ينبغي أن يقع به حتى يعود ذلك وتفرقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضلوا بها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم للأمر على الركوع والسجود والرفع منها ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يبقه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كالوقوف بحجه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بمالوتقدم في الوقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الوقف فالتبعية في الفعل أم وإنما شرط ترك التقدم في الوقف تسهلا للتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً وللهك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فيه فقال «أما يخشى الله الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يتبدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلم» (٢) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسئ صلاته فلم ينه فهو شريكه في وزرها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغبر أضرت بالجماعة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة» (٣) وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا قدتموهم فإن كانوا مرضى فمردوهم وإن كانوا أصحاء فتابوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الليث هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف وللهك تراحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرج به إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الله الذي يرفع رأسه قبل الإمام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

الذي يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد للزبد وينيله ما شرف من النصح ويريد أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذ وطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في إنشاء سرّ الولى ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا مما متمرّد وليس بولى ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثبت من غير تكفير وأنه أيا فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من النوافل من الصلوات)

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونفى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق السلوكية ونفى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل للمواظبة عليه كما سنقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونفى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضله مطلقاً فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن التبرع وصحبت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجلتها زائد على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تفاوتت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المرفوعة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدها من الرواتب على تفاوتها . واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم والليلة أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات

الحس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

الأولى : راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »^(١) ويدخل وقتها بطول الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن تعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك بطول وتصلب منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »^(٢) ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلهما والصحيح أنهما أداء ما وقتاً قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقينا أداء والمستحب أن يصلحهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم
فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فإن قيل
فامعنى قول سهل رحمه
الله تعالى ونسب إليه :
للإلهي سر لو انكشف
لبطلت النبوات
ولنبوات سر لو
انكشف لبطل العلم
وللم سر لو انكشف
بطلت الأحكام وجاء
في الإحياء على أثر هذا
القول وقائل هذا القول
إن لم يرد به إبطال
النبوة في حق الضملاء
فما قالوا ليس بحق فإن
الصحيح لا يتناقض
والكامل من لا يطفى
نور معرفته نور ورعه
وهذا وإن لم يكن من
الأسئلة المرسومة فهو
متعلق منها بما فرغ
من الكلام فيها آتفا
وناظر إليه إذ ما أدى
إفشائه إلى إبطال النبوة
والأحكام والعلم كفر
فالجواب : أن الذي
قاله رحمه الله وإن كان
مستحسناً في الظاهر
فهو قريب المسلك باد
للمتأمل الذي يعرف
مصادر أغراضهم
ومسالك أقوالهم الإلهية

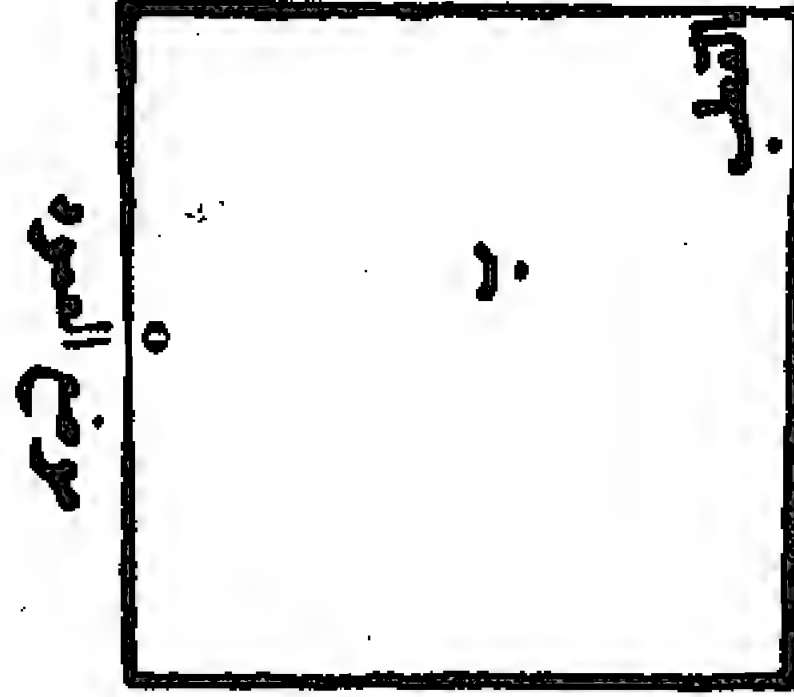
فيه الذكر والفكر والاعتصار على ركعتي الفجر والفريضة . الثانية : راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بعد الزوال والشمس بحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى مع سبعين ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال بطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرده ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثني عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكره أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مذكورة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والوازين ومن الطرق القرية من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط ١ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لالتهم على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس بحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثني عشرة ركعة الحديث ن ك وصحح إسناده على شرط م ورواه م مختصراً ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه اليقين
الذي لو لم يكن نبيا
لا يغلو أن يكون
انكشافه من الله بما
يطلع على القلوب من
أنوار الشمس التي هي
طالمة عنها بأن كانت
القلوب ضعيفة طرا
عليها من المهن
والاصطلام والحيرة
والتيه ما يهر العقول
ويقتد الحس ويقطع
عن الدنيا وما فيها
وذلك لضعفه ومن
اتى إلى هذه الحالة
تبطل النبوة في حقه
أن يعرفها أو يسفل
ما جاء من قبلها إذ قد
شغلها ما هو أعظم
لديه منها وربما كان
سبب موته لمجزه عن
حمل ما يطرا عليه
كما حكى أن شاباً من
سالكى طريق الآخرة
عرض عليه أبو يزيد
ولم يره من قبل فلما رآه
انكشف له ذلك وكان
في مقام الضعفاء من
الريدين فلم يطق حمله
فأتى به وإما أن يكون
انكشافه من عالم به
على وجه الخبر منه
تبطل النبوة في حق

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفة في علم الزوال وهذه صورته :

جانب الشرق



جانب الغرب

الثالثة : راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استجابة مؤكداً فإن دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : راتبة للغرب وهما ركعتان بعد القرينة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا^(٣) فيسأل أصليتم المغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس لحسن ويدخل وقت المغرب بغيوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي للمستوية التي ليست محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها في جهة للمغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب للشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمره رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقتين . الخامسة : راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد القرينة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر » من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان للمؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين إذا أذن للمغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا (٣) حديث كعب بن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » (٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم » (٥) حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم » (٦) حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »

الخبر حين نهى أن لا يفتي فأنشأ أوامر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المصيبة عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلماذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه . فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه بأخباره . قلنا ما بطلت في حقه جيباً وإنما بطل في حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تنقيط حتى الإفشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى إفشاء سر الربوية كفر وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق ممرقتها على الجملة إذ النبوة لا يسرفها بالحقيقة إلا نبي فإن انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع الحجة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه فيكون كالنبي إذا مثل عن شيء لو وقت

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامعنى التقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٢) فإذا اختار كل مرید من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها أكدر من بعض وترك الآكدر أبدا لاسيما والفرائض تسكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر. السادسة: الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا (٤) وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه حنف إليه وصلى فوكر ركعتين قبل أن يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر » (٥) وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصلا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعنى ماسمينا جملتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتى ذكر فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قبيل إن الايتار بركعة فردة أفضل إذ صبح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل للوصول أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موطرا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

- (١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبع الحديث ابن عدى في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه حنف إليه ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعه وليس فيه زحف إليه ولا ذكر ألقاكم التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا في آخرها (٩) حديث الوتر بسبع م دن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصل السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله والترمذي والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زانفي رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرعلا كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل ينتظر ماعود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل فيهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روع فيعود محترقاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظ للملكوت يصير قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أعلى النعيم وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وأن منح المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من عدم الذي هو نقي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجملة للبقات فمن يحيى وميت ومتحرك وساكن وعالم

أى لا ينال فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم (١) كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة فى أى وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وترًا فأما إذا أراد أن يوتر ثلاث مفصلة ففى نيته فى الركعتين نظر فانه إن نوى بهما التهجيد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترًا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر منياني أحدهما أن يكون فى نفسه وترًا والآخر أن ينشأ ليكمل وترًا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترًا والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو على عزم أن يوترها بثلاثة كان له أن ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرها وليستا وترًا بأنفسهما ولكنها موترتان بغيرها والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجيد وسياق فضائل الوتر والتهجيد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأعمال وفوائدها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت أم هانىء أخت علي بن أبي طالب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن (٢) ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعًا أو يزيد ما شاء الله سبحانه (٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات (٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ستًا فى وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى أربعًا (٥) فالأول إما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار ربيع بازاء صلاة العصر فان وقتها أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة . الثامنة : إحياء ما بين العشاءين وهى سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات (٦) وهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم دلت عليه من حديث خارجة بن حذافة إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (٢) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعًا ويزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات ك فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعًا ن ه من حديث على كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٦) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبي هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يشككم فيما بينهن بسوء عدلين له بعبادة ثنتى عشرة سنة .

وجاهل وشقي وسعيد
وقريب وبعيد وصغير
وكبير وجليل وحقير
وغنى وفقير ومأمور
وأمر ومؤمن وكافر
وجاحد وشاكر وذاكر
وأنتى وأرض وساء
ودنيا وأخرى وغير
ذلك مما لا يحصى
والكل قائم به موجود
بقدرته وباق بطله
ومنته إلى أجله
ومصرف عيشته
وذلك على بالغ حكمته لما
أكمل جهل من لا يجد
به إلا قدماه ولا من
يصرفه إلا استبداده
ولا ملكه إلا ملكه
فيعود المحدث قدما
والمربوب ربا والملوك
مالكا فيعود الخلق من
خلق الله كبره تعالى الله
عن جهل الجاهلين
وتخيل المتوهين
وزين الزائغين .

[فصل] وأما حكم هذه
العلوم المكتوبة فى
الطلب وسلوك هذه
القامات ورفق هذه
الدرجات واستفهام
هذه المخاطبات أهى من
قيل الواجبات
والندوبات أو الباحات

- تتجاف جنوبهم عن الضاح - وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتسكَّم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبيِّن له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويفرس له بينهما خراسا لو طافه أهل الأرض لوسمهم (٢) » وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يكرر بشكر الأسابيع)

(وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فنبدا فيها يوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنة وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمره وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر (٣) » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقا على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيامة ابن فلان بن فلان ليقم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشبعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلأأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار (٧) » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

(١) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الأوَّلين . ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنذر مرسل (٢) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصغاري في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغ له من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى الدين فيه بغير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى الدين من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى الدين بغير سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار

فاعلم أن للشئول عنه على ضربين أحدهما هو في حكم اللبادي والثاني في حكم الغايات فأما الذي هو في حكم اللبادي فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم للعامة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهي واجبة قال الله تعالى - فاتقوا الله ما استطعتم - وقد سبق التنبيه عليه . وأما الذي هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسبر معاني التقرير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنع

يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعليم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تخط رقاب المصدقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الإخلاص في العمل فمن لم يرث من عمله وعمله المقرض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المأني فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا غير أن حاله معلول إمامفتون بدنياء أو محجوب بهواه وربك على كل شيء قدير .

[فصل] وأما أي شيء ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون المبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمشابه من الألفاظ دون المحكمات وإن كان قد سبق هذا من

وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمودتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي » (١) يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجبا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بسدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عبادي من قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أصبح الوضوء فصلي سبعة ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة » (٣) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلي أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) . يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله بكل حرف حبة وعمره ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما الليالي ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمودتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجأ إلى الله ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفة الله وقطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله

ولاعند ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى الدين وقال رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي يوم الجمعة صلاة مامن عبادي من قام إذا استقلت الشمس الحديث لم أجده أصلا وهو باطل (٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلي أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجهه غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا .

ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل صماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مابين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكورة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى المديني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا .

قول المراق حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة . لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا لم يخرجها تأمل .

الشارع فيما له أن يتمتع به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون لها بال من لم يعمل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وارث العلم ليتجمل بعمله ويعمل فيه كعمله والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما وارث حكم للموروث فيما وارث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شيء كان له اجتهدا فان أخطأ كان له أجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم للعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون

وإن كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يطى الصديقين والشهداء^(١) . ليلة الجمعة : قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها^(٢) » وقال أنس قال النبي ﷺ « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمودتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الصلاة على في الليلة الفراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة ويوم الجمعة^(٤) . ليلة السبت : قال أنس قال رسول الله ﷺ « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر^(٥) » .

(القسم الثالث ما يكرر بتكرار السنين)

وهي أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلاة تربية وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي سنة مؤكدة وشعار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور ، الأول : التكبير ثلاثا نسفا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأقاويل ويكرر عقب الصلوات المفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد يقتل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعباءة الزينة عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ « يأمر باخراج المواتق وذوات الخدور^(٧) » . الرابع المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحوة أن يأمر الامام رجلا يصلي بالضفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين . الخامس يراعى الوقت فوق صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدرة خطبتين وركعتين إلى آخر يوم . الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر

(١) حديث أبي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها (٣) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن المظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا كلها ضعيفة منكورة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٤) حديث أكثروا على من الصلاة في الليلة الفراء واليوم الأزهري طب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد النعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر باخراج المواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية .

فلم يكن لأولئك تغد عن حكم الموروث كما حكى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أحدهما هو الذي بثته فيكم ، وأما الثاني فلو بثته لحزرت السكين على هذا الباعوم وأشار إلى حلقه وبعد كل شيء في القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفي اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذي علم عليم وقد أفندناك من طرائف ما عندنا وأهدينا إليك من غرائب ما لدينا وإلى الله يرد العلم بما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وإنما ينطق الإنسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه إذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالفك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر براءة السبع الثاني والقرآن

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق وإذا بلغ الإمام المصلي لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادى مناد: الصلاة جامعة ويصلي الإمام بهم ركعتين يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض غيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة في الأولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها: السابع أن يضحي بكبش «ضحي رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً» (٣) قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون (٤) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام لما فوق، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحي ست ركعات (٥) وقال هو من السنة. الثانية التراويح: وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون الصلوات واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال «أخاف أن توجب عليكم» (٦) وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي قيل إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشرائع كالصلوات فإلحاقها بصلاة الضحية وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للمسجد جمع معانهم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم «فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت» (٧)

(١) حديث تعجيل صلاة الأضحي وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الخويرث مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الأضحي وأخر الفطر (٢) حديث ضحي بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعمن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطعمون ت قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الأضحي ست ركعات لم أجده أصلاً في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا وأما قول تابعي التابع كذا كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثاً ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفاً

العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة وهكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق للصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما ضمنت من القوائد وخصت به من الدخائر والعوائد بما لو سطر لكان فيه أوقار الجلال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أزاله وهادى من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو التي التكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المباحة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب الفتن فيده مجارى القدورات وهو إليه من ظهر وغبر وإليه يرجع

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يطمعها إلا الله عز وجل » (١) وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يطرقي إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والخيار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه فإن بعض التوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعار التي تظهر ، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة وكان قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنفرض للمسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرأى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ، وما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان . أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعنمة اثنتي عشرة ركعة بفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بآية الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى » (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبعائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرار السنن وإن كانت رتبته لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة تقرأها الأحاد ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها . وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون بها صلاة الخير ويجمعون فيها

وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يطمعها إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلحهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزعي قال دخلت على يحيى فأسند لي حديثا فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث ما من أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع

من آمن وكفرو مجازي
الحقائق بنعم أوسقر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وطى
آله السادات الضرر
وسلم تسليما والحمد لله
رب العالمين .

ثم كتاب الإملاء
في مشكلات الإحياء
[كتاب عوارف
للعارف]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطانه الظاهر
إحسانه الباهر حجه
وبرهانه المحتجب
بالجلال والنفرد
بالكمال والستردى
بالمظمة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذى العز الدائم
السرمدى والملك القائم
الديعوى والقسدة
الممتنع إدراك كنهها
والسطوة للستوعر
طريق استيفاء وصفها
نطقت الكائنات بأنه
الصانع للبيع ولاح من
صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق المخرع
وسم عقل الانسان

وربما صلوا جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها للنفرة (١)

(القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة :)
صلاة الحسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظار ذلك فذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الحسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » (٢) قال ذلك لممات ولده إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفيتها ووقتها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو اثلهما أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعق والتوبة وكذلك يفعل بحسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية . فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ، وتغرب صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يطل سلطان الليل ولا تغرب بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر فإن انجلى في أثناء الصلاة أعما خففة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من الظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان منتظمين في ثياب بدلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا » (٣) ولو خرج أهل التمة أيضا متميزين لم ينعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فصلى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين و بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال (٤) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل و . من حديث علي إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا ليلىها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجاه من حديث المغيرة بن شعبه (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحويل الرداء في الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازني

بالمجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تمرزا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامع البصيرة تعظيما وإجلالا ولم يجد من فرط الهية في فضاء الجبروت مجالا فساد البصر كذلا والعقل غليلا ولم يتنهج إلى كنه الكبرياء سيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكييفه ثم ألبس قلوب الصفاة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوءة ومرأى قلوبهم بنور القدس مجلوة قهيات لقبول الإمداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية وانخذت من الأنفاس العطرية بالأذكار

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرواحهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقايانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد للظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ما روى في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من وزوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » (١) حتى قال عوف تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبغي أن يراعى ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل السبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم تنبثق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتشجيعها مشهورة فلانظيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وإنما يصير نقلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم يحملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كفلا لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة اللهم والأدعية واشتاله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فإذا الناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعمهم الله عز وجل فيه » (٢) وإذا شيع الجنائز فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضاعف له في إحسانه وإن كان سيئا فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يغفلوا ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لمبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تكرر التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر لي وله وارحمي وارحمه وعافني وعافه الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلى (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

جلالنا وأقامت على
الظاهر والباطن من
التقوى حراسا وأشعلت
في ظلم البشرية من
اليقين نبراسا
واستحقرت فوائدها
الدنيا ولذاتها وأنكرت
مسايد الهوى وتبعاتها
وامتنعت غوارب
الرجوت والرهوت
واستفرشت بعلوهمتها
بساط الملوك
وامتدت إلى العالي
أعناقها وطمعت إلى
اللامع العلوي أحداقها
وانخذت من الملاء
الأعلى مسامرا ومجاورا
ومن النور الأعز
الأقصى مزورا ومجاورا
أجساد أرضية بقلوب
سماوية وأشباح فرشية
بأرواح عرشية
نفوسهم في منازل
الخدمة سيارة وأرواحهم
في فضاء القرب طيارة
مذاهبهم في الصودية
مشهورة وأعلامهم
في أفطار الأرض
منشورة يقول الجاهل
بهم قعدوا وما قعدوا
ولكن سميت أحوالهم
فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقبل له أمانيتنا عن هذا ؟ فقال : هاركتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوعد (١) » فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضغف الأسباب قضاء التوافل إذ اختلف العلماء في أن التوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاتته هل يكون قضاء وإذا اتفت الكراهية بأضغف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الحسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً . الفائدة الثانية : قضاء التوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يتم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة (٢) » وقد قال العلماء من كان في الصلاة قضاة جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للمؤذن سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية ، نعم من كان له ورد فهاقه عن ذلك عند فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (٣) » فيقصد به أن لا يفتري دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها لملاة مقته الله عز وجل (٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملاة فلولاً للقت والاحاد للسلطت الملاة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيق السعي فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ فقال بلال لا أعرف شيئاً إلا أني لأحدث وضوءاً إلا أصلي عقيب ركعتين (٥) » . السادسة : ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنائك مخرج السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين بمنائك مدخل السوء (٦) » وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به ماله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام (٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجه من حديث أم سلمة ومسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل الظهر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يتم تلك الليلة الحديث م (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل أخرجه من حديث عائشة . (٤) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها لملاة مقته الله ورواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها قلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين بمنائك مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث حق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم . قال بصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة قد ذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكرو وقال خ لا أصل له (٧) حديث ركعتي الاحرام خ من حديث ابن عمر .

كاتبين بالجنان
بائنين بقلوبهم عن
أوطان الحداث
لأرواحهم حول العرش
تطواف ولقوبهم من
خزائن البر إسفاف
يتنعمون بالخدمة في
الدياجرويتلذذون من
وهيج الطلب بظماً
المواجر نسوا
بالصلوات عن الشهوات
وتموضوا بحلاوة
التلاوة عن اللذات
يلوح من صفحات
وجوههم بجر
الوجدان وينم على
ممكنون سرائرهم
نضارة العرفان لا يزال
في كل عصر منهم علماء
بالخلق داعون للخلق
محموا بحسن للتأبئة
رتبة الدعوة وجلوا
للمتقين قدوة فلا يزال
تظهر في الخلق آثارهم
وتزهر في الآفاق أنوارهم
من اتدى بهم
اهتدى ومن أنكرهم
ضل واعتدى فله الحمد
على ما هباً للمباد من
بركة خواص حضرته
من أهل الوداد والصلاة
على نبيه ورسوله
محمد وآله وأصحابه

الأكرمين الأجداد .
ثم إن إشاري لهدى
هؤلاء القوم ومحب
لهم علما بشرف
حالمهم وصحة طريقهم
للبنية على الكتاب
والسنة للتحقق بهما
من الله الكريم الفضل
وللتفحدي أن أذهب
عن هذه العصابة بهذه
الصياغة وأؤلف أبوابا
في الحقائق والآداب
معربة عن وجه
الصواب فيما اعتدوه
مشعرة بشهادة صريح
العلم لهم فيما اعتدوه
حيث كثر التشبهون
واختلفت أحوالهم
وتستريهم للفترون
وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من
لا يعرف أصول سلفهم
سوء ظن وكاد لا يعلم
من وقعة فيهم وطعن
ظنا منه أن
حاصلهم راجع إلى
مجرد رسم وتخصيم
عائد إلى مطلق اسم
ومما حضرنى فيه من
النية أن أكثر سواد
القوم بالاعتراء إلى
طريقهم والاشارة إلى
أحوالهم وقد ورد من

عند ابتداء السفر (١) وركتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركتين وإذا شرب شربة
صلى ركتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهى على
ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم
« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أوتر (٣) » الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كقصد
النكاح وابتداء النصيحة والشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة
على رسول الله ﷺ وزوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت
النكاح وكانت عادة الصحابة رضوا الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والشورة تقديم التحييد .
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه
فيستحب تقديم ركتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة
صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الاقدام عليه فقد
أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلى ركتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك
وأسألك بحن فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن
هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى
وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه
عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شىء قدير (٤) رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم
بأمر فليصل ركتين ثم ليسم الأمر ويدعوا بما ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا
من أعطى الشكر لم يمنع للزبد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخيرة ومن أعطى الشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فمن ضاق عليه الأمر
ومسته حاجة فى صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد
أنه قال إن من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى البعد اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بأمر الكتاب
وآية الكرسي وقل هو الله أحد فإذا فرغ نحر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به
سبحان الذى تمطف بالجهد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه سبحان الذى لا ينبغي
التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمقادير العز

(١) حديث صلاة ركتين عند ابتداء السفر الخرائطى فى مجازم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف
فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن البعد فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره
الحديث وهو ضعيف (٢) حديث الركتين عند القدوم من السفر أخرجه من حديث كعب بن
مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أوتر د ن ه حب فى صحيحه من حديث
أبى هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث
ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنتى عشرة ركعة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين
جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة
ركتين روات ه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال ت حديث غريب وفى إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلما تك التامات العامت التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تملوها لسفهاكم فيتمانون بها على معصية الله عز وجل . التاسعة صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك بشئ إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أو له وآخره قديمه وحديثه خطؤه وعمده سره وعلايته نصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل في كل جمعة مرة فإن لم تفعل في كل شهر مرة فإن لم تفعل في السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وقد ستأصمؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والجمهور عن الروايتين ثلثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فتسليمتين أحسن إذ ورد « أن صلاة الليل مثنى مثنى ^(٢) » وإن زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الحسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه يتوضأ وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالحسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينو قضاءه إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطوع إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها في النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقتها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقتها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ^(٣) » ونهى عن الصلوات

كثير سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم همة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل النج عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً والله المعين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر المتصوف والتشبه . الباب الثامن في ذكر الملامى وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتسمى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

(١) حديث صلاة التسبيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحي .

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والواظبة على نعط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعدت النشاط وانبتت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبص على انتظار انقضاء الوقت فخلصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداء لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استئصال الملل ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل فاذا كانت هذه أمورا مهمة في التهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والحسوف ونحية المسجد فأما ما ضف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود التهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسمد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأقبر وأغنى وأضر وأفنى الأذى خلق الحيوان من نطفة نقي ثم تفرد عن الخلق بوصف النقي ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن فضله تركي من عباده من تركي ومن غناه تركي ماله من زكي والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبادئ الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ^(١) » وشدد الوعيد على القصرين فيها فقال - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في ثمر من قرش فمر أبوذر فقال بشر الكاذبين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أفتانهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حمة ندى أحدهم فيخرج من نقض كتفيه ويوضع على نقض كتفيه حق يخرج من حمة نديه يترززل وقال أبوذر اتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأي قال « هم الأخسرون ورب الكعبة قهلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأمنه تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابحي وهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر

(٢٧ - إحياء - أول)

العاشر في شرح رتبة الشيخة . الباب الحادى عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به . الباب الثانى عشر في شرح خرقه المشايخ الصوفية . الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الربط . الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الربط بأهل الصفة . الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط فيما يتماهدونه بينهم . الباب السادس عشر في اختلاف احوال المشايخ بالسفر والمقام . الباب السابع عشر فيما يحتاج للمسافر إليه من الفرائض والتوافل والفضائل . الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه . الباب التاسع عشر في حال الصوفى المتسبب . الباب العشرون في حال من يأكل من الفتوح . الباب الحادى والعشرون في شرح حال التجسرد من الصوفية والتأهل .

عليه أولاها حق يقضى بين الناس (١) وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاختصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضة . الرابع : في صدقة التطوع وفضلها .

(الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع :

زكاة النعم والتعدين والتجارة وزكاة الركايز وللعادن وزكاة للمعشرات وزكاة الفطر)

(النوع الأول : زكاة النعم)

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعمة سائمة باقية حولان نصبا كاملا مملوكا على الكمال . الشرط الأول كونه نعمة فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الحيل والبهائم والحير والتولسمين بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيحت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها . الثالث الحول قال رسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » (٢) ويستثنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية للرhone لأنه الذي حبر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع نعمائه فتجب زكاة ماضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذا نفق ما يفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا فها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من العز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثالثة فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فإن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا سارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا سارت ستا وسبعين ففيها بنت لبون فإذا سارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا سارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا سارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من العز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الحايطين كصدقة للمالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة فمئة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخطلة الجوار تكلفه الشيوع ولكن يشترط أن يرعى ما وبسقا

(١) حديث أبي دراهم أنه أتته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجه م ومع (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بن إسماعيل بن عمار عن أبيه عن جده . من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

الباب الثاني والعشرون
في القول في السماع
قبولا وإثارا . الباب
الثالث والعشرون في
القول في السماع
ردا وإنكارا . الباب
الرابع والعشرون في
القول في السماع ترضا
واستغناء . الباب
الخامس والعشرون
في القول في السماع
تأديبا واعتناء . الباب
السادس والعشرون
في خاصة الأربعينية
التي يتعاهدونها
الصوفية . الباب
السابع والعشرون في
ذكر . فروع
الأربعينية . الباب
الثامن والعشرون في
حكيمة الدخول
في الأربعينية . الباب
التاسع والعشرون في
ذكر أخلاق الصوفية
وشرح الخلق . الباب
الثلاثون في ذكر
تفاصيل الأخلاق .
الباب الحادي
والثلاثون في الأدب
ومكانه من التصوف .
الباب الثاني والثلاثون
في آداب الحضرة لأهل
القرب . الباب الثالث

مما ويحلبها وما يسرحا معا ويكون للرحى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل
الزكاة ولا حكم للخلطة مع الدمي والسكائب ومهما نزل في واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز مالم
يجاوز بنت مخاض في التزول ولكن تضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما
ولستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ
الجبران من الساعين من بيت اللال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض اللال صحيحا ولو واحدة
ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللثام ثيمة ولا يؤخذ من اللال الأكولة ولا للاخض ولا للرب
ولا الفحل ولا غراء للال .

(النوع الثاني زكاة للشرائع)

فيجب الشر في كل مستتب مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فمادونها ولا في القواكه والقطن ولكن
في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويستر أن تكون ثمانمائة من تمر أو زيبيا لارطبا وعبا
ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين مال الآخر في خلطة الشيوع كالبلستان المشترك
بين ورثة لجمعهم ثمانمائة من من زيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زيب بقدر حصصهم
ولا يستر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخلطة بالتمر ويكمل نصاب التمر بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسبح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف الشر فان
اجتمعا فالأغلب يستر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحلب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ
عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت الصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب
فيكال لسة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يخص في مثل
هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف .

(النوع الثالث زكاة التقدين)

فاذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة فيها خمسة دراهم وهو ربع الشر وما زاد
فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع الشر وما زاد فبحسابه
وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مفضوشة إذا كان فيها هذا المقدار
من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحل المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب
للرجال ولا تجب في الحل للبائع وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وإن
كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة التقدين وإنما ينقذ الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد
نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بمرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدي الزكاة من
تقد البلد وبه يقوم فان كان ماله الشراء قدما وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من تقد البلد
ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينقذ الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية
التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدي زكاة تلك السنة وما كان من ربع في
السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس للال ولم يستأنف به حولا كما في التاج وأموال
السيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربع مال القراض على العامل
وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأنيس .

والثلاثون في آداب
الطهارة ومقدماتها .
الباب الرابع والثلاثون
في آداب الوضوء
وأسراره . الباب
الخامس والثلاثون في
آداب أهل الخصوص
والصوفية فيه . الباب
السادس والثلاثون في
فضيلة الصلاة وكبر
شأنها . الباب السابع
والثلاثون في وصف
صلاة أهل القرب .
الباب الثامن والثلاثون
في ذكر آداب الصلاة
وأسرارها . الباب
التاسع والثلاثون في
فضل الصوم وحسن
أثره . الباب الأربعون
في أحوال الصوفية في
الصوم والافطار . الباب
الحادي والأربعون في
آداب الصوم ومهامه .
الباب الثاني والأربعون
في ذكر الطعام وما فيه
من الصلحة والنقطة .
الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكل . الباب الرابع
والأربعون في ذكر
آدابهم في اللباس
ونياتهم ومقاصدهم فيه
الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمدن)

والركاز ما لدفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الاسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكده شبهة بالقيمة واعتباره أيضا ليس يبعد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخص على الصحيح بالتقدين ، وأما المعادن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليس ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلي هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه واللم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب بركة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب بالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين التقدين أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قرينة من التمازض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

(النوع السادس في صدقة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليتته صاع مما يقتات (١) بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلاثين يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزاءها وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته وماله وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعنى من يجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدقة الفطر عمن تمونون » (٢) وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالأخراج عن نفسها أجزاءها وللزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولام بالتقديم من كانت نفقته كدوقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم (٣) فهذه أحكام قهية لا بد لأفنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتشكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة القرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عد إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للمنتفع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع المطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاء لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هو من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والبعد ممن تمونون قال هو إسناد غير قوي (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقها على نفقة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحب لك وصحة ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتي

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل .

الباب السادس والأربعون في الأسباب للصحة على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن والأربعون في تقسيم

قيام الليل . الباب

التاسع والأربعون

في استقبال التهار

والأدب فيه . الباب

الحسون في ذكر العمل

في جميع النهار وتوزيع

الأوقات . الباب الحادي

والحسون في آداب

للريد مع الشيخ . الباب

الثاني والحسون فيها

يتمده الشيخ مع

الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والحسون

في حقيقة الصحة

وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والحسون

في أداء حقوق الصحة

والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس

والحسون في آداب

الصحة والأخوة . الباب

السادس والحسون

في معرفة الإنسان

وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تسجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه ب تلف ماله وتمكنه بمصادقة للمستحق وإن أخر لعدم المستحق ف تلف ماله سقطت الزكاة عنه وتسجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تسجيل زكاة حولين ومهما سجل مات للسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما سجل إليه أو تلف مال المالك أو مات المدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن للسجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج للنصوص عليه فلا يجزى ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ القصور من سد الحاجة وما أبعد عن التحصيل فإن سد الحاجة مقصود وليس هو كل القصور بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للمحظوظ والاعراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا إذ لاحظ للجمرة في وصول الحصى إليها فقصور الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر الصبر رقة وعبوديته بفعل ما لا يقبل له معنى لأن ما يقبل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر للعبود فقط لا لمضى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك بحجة حقا تعبدا ورقا (١) » تنبيه على أن ذلك إظهارا للعبودية بالانقياد لجرّد الأمر وامثاله كالأمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حفظ معقول وليس بقصد منه التعبد كقضاء دين الأديين ورد للتصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للمستحق أو يدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعا وهو حفظ العباد وامتحان للكلف بالاستعداد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحفظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه فخطا الفقير مقصود في سد الحاجة وهو جل سابق إلى الأنعام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تعبا في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قاذح في حفظ الفقير لكنه قاذح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعند من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النعدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النفود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها ، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل تخيب للظنون فإن فعل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك بحجة حقا تعبدا ورقا . البزار والدارقطني في الملل من حديث أنس .

نفسه ومكاشفات
الصوفية من ذلك .
الباب السابع والخمسون
في معرفة الخواطر
وتفصيلها وتميزها .
الباب الثامن والخمسون
في شرح الحال وللقام
والفرق بينهما . الباب
التاسع والستون في
الإشارة إلى القامات
على الاختصار والابحاز .
الباب الستون في ذكر
إشارات الشايع في
القامات على الترتيب .
الباب الحادي والستون
في ذكر الأحوال
وشرحها . الباب الثاني
والستون في شرح
كلمات من اصطلاح
الصوفية مشيرة إلى
الأحوال . الباب الثالث
والستون في ذكر شيء
من البدايات والتهاتيات
ومعناها ، فهذه الأبواب
تحررت بمون الله تعالى
مشملة على بعض
علوم الصوفية
وأحوالهم ومقاماتهم
وآدابهم وأخلاقهم
وغرائب مواجدهم
وحقائق معرقهم
وتوحيدهم وديق
إشاراتهم ولطيف

الحروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التملك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن المجهوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفون قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والعاملون والمساكروا أعني أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أفراد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لولم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فليده أن يوصله إلى خمسة عشر قسماً ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع للمستحقين وليسلم إليهم حتى يتسامحوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بركاته وظائف . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلطف بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بأفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى له واحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسيبها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستزلوا عن السال الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مساهمة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللأسفحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن تعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بينك وبينك (١) فالصديق وفي تمام الصديق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثاني درجتهم دون درجة هذا وهم للمسكون أموالهم الراغبون لمواقيت الحاجات ومواسم الحيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتقاي على قدر الحاجة دون التمتع وصرف الفائض عن الحاجة إلى وجوه البر مهمات وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث دلتك وصحبه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بينك وبينك .

اصطلاحاتهم فعلومهم كلها إنباء عن وجدان واعتناء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح للقال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية استنزها صفاء السرار وخلوص الضار فاستعصمت بكنيتها على الإشارة وطفعت على العبارة ونهادتها الأرواح بدلالة التشام والاتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيد رحمه الله : علنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نكلم في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بلاء السلف وصالحى التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله للأمول أن يقابل جهد القليل بحسن القبول

والحمد لله رب العالمين .
 الباب الأول في ذكر
 منشأ علوم الصوفية :
 حدثنا شيخنا شيخ
 الإسلام أبو النجيب
 عبد القاهر بن عبد الله
 ابن محمد السهروردي
 إسناده من لفظه في
 شوال سنة ستين
 وخمسة قال أنبأنا
 الشريف نور الهدى
 أبو طالب الحسين بن
 محمد الزيني قال أخبرنا
 كريمة بنت أحمد بن
 محمد الرزوية المجاورة
 بمكة حرسها الله تعالى
 قالت أخبرنا أبو الهيثم
 محمد بن مكي الكشميري
 قال أنبأنا أبو عبد الله
 محمد بن يوسف
 القبري قال أخبرنا
 أبو عبد الله محمد بن
 اسمعيل البخاري قال
 حدثنا أبو كريب قال
 حدثنا أبو أسامة عن
 بريد عن أبي بردة عن
 أبي موسى الأشعري
 رضى الله عنه عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال « إنا مثلي
 ومثل ما بعثني الله به
 كمثل رجل آتى قوما
 فقال يا قومى إنى رأيت

سوى الزكاة كالخمي والشمي وعطاء ومجاهد . قال الشمي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل - وآتى المال على حبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وما رزقناهم ينفقون - وقوله تعالى - وأتقوا مما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق السلم على السلم ومضاه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إلا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا يختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضمف جهم للآخره قال الله تعالى - إن يسألكموها فيحكم تبخلوا - بحكم أى يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقص عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بئذ الأموال . للمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانهم من المهلكات قال **عليه السلام** « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسيأتى في ربيع للمهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقص منه وإنما نزول صفة البخل بأن تعود بذل للمال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى . للمعنى الثالث شكر النعمة فإن الله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكرا لنعمة البدن والمالية شكرا لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمع نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربيع العشر أو العشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التحجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لمواثيق الزمان بأن تعوقه عن الحيرات وعلمنا بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من المصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يشتم فإن ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبع الرحمن لما أسرع قلبه والشیطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليختم الفرصة فيه وليعين لركاتها إن كان يؤذيها جريما شهرا معلوما وليجند أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لناء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح الرملة لا يمسك فيه شيئا (٢) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام للحدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان ، الحديث أخرجه من حديث ابن عباس .

المشر الأول . الوظيفة الثالثة . الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء (٣) وفي الحديث للشهور « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم ثماله بما أعطت يمينه » (٤) وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب » (٥) وقال تعالى - وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمة فقد قال عليه السلام لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان والتحدث بصدقة يطلب السمة والمطى في ملأ من الناس يخفى الرياء والإخفاء والسكوت هو الخلق منه (٦) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض للمطى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبعضهم يلقبه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للمطى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للمطى وكان يستكم للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشي كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى للسكين والسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة للسكين الرياء ولله جيمع وليس في معرفة للتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضييف لب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم اللثال عقرباً لادفا وصفة الرياء تنقلب في القبر أقصى من الأفاقي وهو مأمور بتضييفها أو قتلها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فلهما قصد الرياء والسمة فكانت جعل بعض أطراف المقرب مقبوا للحية فبقدر ما ضعف من المقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويحب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه اللطائف في دربع للهلكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغياً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سند كره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فنعما هي - وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفاً من

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر فقد ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن العبد يعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طيب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة تطفي غضب الرب ولا بن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضيف أيضاً (٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مرأ ولا منان لم يظهره هكذا.

الجيش يعني وإلى أنا
النذير المريان فالنجاء
النجاء فأطاعه طائفة
من قومه فأدجلوا
فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة
منهم فأصبحوا مكانهم
فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني
فاتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب بما
جئت به من الحق .
معنى اجتاحتهم :
استأصلهم ومن ذلك
الجاهة التي تصد
النار ، وقال صلى الله
عليه وسلم « مثل
ما بعثني الله به من
الهدى والعلم كمثل
النيت الكثير أصاب
أرضاً فكانت طائفة
منها طيبة قبلت الماء
فأنبثت الكلاً والشب
الكثير وكانت منها
طائفة أخاذات أمسكت
لله فنفخ الله تعالى بها
الناس فثربوا وسقوا
وزرعوا وكانت منها
طائفة أخرى قيمان
لا تمسك ماء ولا تنبت
كلاً فذلك مثل من قه
في دين الله وقه ما بعثني

الله به فعمل وعلم ومثل
من لم يرفع بذلك رأسا
ولم يقبل هدى الله
الذى أرسلت به قال
الشيخ أعد الله تعالى
لقبول ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أضنى القلوب وأزكى
النفوس فظهر تفاوت
الصفاء واختلاف
التركية في تفاوت
القائمة والنفع فمن
القلوب ما هو بمثابة
الأرض الطيبة التى
أنبتت الكلا والشب
الكثير وهذا مثل من
اتفع بالعلم فى نفسه
واهتدى ونفعه علمه
وهده إلى الطريق
القويم من متابعة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن القلوب ما هو
بمشاركة الأخذات أى
القدرة جمع أخذة
وهو المصنع والقدرة
الذى يجتمع فيه الماء
فنفوس العلماء الزاهدين
من الصوفية والشيخوخ
زكت وقلوبهم صفت
فاختصت بمزيد الفائدة
فصاروا أخذات قال
مروق محبت أصحاب
رسول الله صلى الله

الرياء فى الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن فى الاظهار
مخدورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى فى صورة المحتاج فمن
أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا للمنى فى إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به
فانه محذور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهى عنه فاما من أظهره فأقامة الحد عليه إشاعة ولكن
هو السبب فيها ومثل هذا للمنى قال عليه السلام « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ^(١) » وقد قال الله تعالى
- وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد
دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمخدور الذى فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون
الاعلان فى بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف القوائد والقوائل ولم ينظر بين الشهوة
اتضح له الأولى والألقى بكل حال . الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقة بالمن والأذى قال الله تعالى
- لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - واختلفوا فى حقيقة المن والأذى قيل المن أن يذكرها والأذى
أن يظهرها وقال سفيان من فسدت صدقة قيل له كيف للمن قال أن يذكره ويتحدث به وقيل للمن
أن يستخدمه بالمعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره
أويوبخه بالمسئلة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان ^(٢) » وعندى أن المن له أصل ومفرد وهو
من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا
إليه ومنعاه عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من
النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتبها به لحقه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل ^(٣) »
فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بمصير ورته إلى الله عز وجل ولو كان
عليه دين لكان فاحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون
القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن إليه هو للتكفل برزقه أما هو فائما يقضى الذى لزمه بشراء
ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب
الزكاة أو أحدها لم يرى نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما يذل ماله لإظهار الحب لله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن
رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفا كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه
محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن
وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الأمور فهذه كلها ثمرات المن ومعنى المن فى الباطن ما ذكرناه
وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالاظهار وقنون
الاستخفاف وباطنه وهو منعه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة . والثانى رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته
أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كره بذل درهم فى مقابلة
ما يساوى ألفا فهو شديد الحق ومعلوم أنه يذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالتى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تقع
بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل قط فى الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة
عنه ورواه حق فى الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما بذله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض
فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الأغنياء
لما استحق الفقير بل برك به. وتنفى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «هم الأخسرون ورب الكعبة» فقال أبو ذر من هم قال «هم الأكثرون
أموالا» الحديث ثم كيف يستحق الفقير وقد جعله الله تعالى متجربة له إذ يكتب للبال بجهده ويستكثر
منه ويحتمل في حفظه بمقدار الحاجة وقد أئتم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه فالتنفيذ مستخدم للمسلم في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام الشاق وحراسة
الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وبذلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقيضه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأذى
والتوبيخ وتخطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والتناء وقبول اللذة فهذا منشأ للنّ والأذى. فان قلت
فرويته نفسه في درجة الحسن أمر فاضل فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم يرقه
حسنا. فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستنكاره له على استنكاره قبل الصدقة فان زاد لم يخل صدقته
عن شائبة اللذة لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك. فان قلت : فهذا أمر فاضل ولا ينفك قلب
أحد عنه لما دواؤه. فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن الفقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متفاد
للذة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتي أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قائما للرسول حفظ ما يدعو به ثم كاتتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدماء لأنه شبه الكفاة وكانوا يقابلون الدعاء بثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هله الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول اللذة ومن حيث الباطن للعارف التي
ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يسأل القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه
الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «ليس للمرء
من صلاته إلا ما عقل منها» (١) وهذا كقوله ﷺ لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والأذى - وأما قوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
لحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة. الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فانه إن
استعظمها أحببها والسحب من للهالكات وهو محبط للأعمال قال تعالى - ويوم نحين إذ أمحيتمكم
كثرتكم فلم تمنع عنكم شيئا - ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل وللصية كلما
استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم للمروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتسيجه وستره
وليس الاستعظام هو للنّ والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه للنّ والأذى بل السحب والاستعظام يجري في جميع المبادات ودواؤه علم وعمل.

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأخاذات لأن قلوبهم
كانت واعية فصارت
أوعية للعلوم بما رزقت
من صفاء الفهم
أخبرنا الشيخ الامام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن اسماعيل
القزويني إجازة قال
أنبأنا أبو سعيد محمد
الجليلى قال أنبأنا
القاضي أبو سعيد محمد
القرخزاذي قال أنبأنا
أبو اسحق أحمد بن
محمد التماري قال أنبأنا
ابن فنجويه قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
اسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسن قال حين نزلت
هذه الآية - وتم بها أذن
واعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لعلّي سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال علي لما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي آذان وع

أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد دفع لنفسه بأخس درجات البذل كاذ كرنا في فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله النة عليه إذ أعطاه ووقعه لئله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الحجل من بخله بإمسك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطلب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل - فيحفكم تبخلوا - . الوظيفة السابعة : أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكاً له مطلقاً فلا يقع الوقع وفي حديث أبان عن أنس بن مالك طوبى لبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد للمال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لبعده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أبدأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بما قل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى والذي يأكله قضاء وطير في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تجمعوا الحبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تفضوا فيه - أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الأغماض فلا تؤثر أبا ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج الإنسان وهو من أهل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوماً جعلوا الله ما يكرهون فقال تعالى - ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا - وقف بعض القراء على التني تكذيباً لهم ثم ابتدأ وقال - جرم أن لهم النار - أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار . الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب الأتقياء للعرضين عن الدنيا التجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعته بأعانتك إياه وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) » وفي لفظ آخر « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عمت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلا نأرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوبى لبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البزار (٢) حديث سبق درهم مائة ألف ن حب ومحمه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى دت من حديث أبي سعيد بلفظ لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه الله ابن المبارك أنبأنا جوير عن الضحاك مرسل .

عن الله تعالى أسراره وقال أيضاً واعية في معادنها ليس فيها غير ما شهدته شيء فهي الحالية عما سواه لها اضطراب الطباع إلا ضرب من الجهل قلوب الصوفية واعية لأنهم زهدوا في الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فباتت تقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فقام عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وصحت آذان قلوبهم وأعاتهم على ذلك زهدهم في الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الإسلام أحاطوا علماً بالكتاب والسنة واستنبطوا منها الأحكام ووردوا الحوادث التجردة إلى أصول من النصوص وحمى الله بهم الدين وعرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب في اللغة وغرائب النحو والتصرف وأصول القصص واختلاف

من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الخانوت فبعث إليه الجنيذ مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الخانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إغانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعرفة أهل العلم قليله لو عجمت فقال إني لأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف للنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله فلهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجه ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإغانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيق . وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيسبى بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعني فلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك^(١) » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله^(٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر^(٣) وفي

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلا إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التي أوردتها النصف وسمى الرجل حديرا فقد روي من طريق البيهقي أنه وصل لحدير من أبي الدرداء شيء فقال اللهم إنك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحابه يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ حال أبو أي قومي قبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أحمد الله لا إيا كما والبخاري تعليقا قال أبو أي قومي إليه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمد كما ولكن أحمد الله ، وله وسلم فقالت لي أمي قومي إليه قلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ولطبراني قال

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فأتبع بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفرّدوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز الموجب من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالملل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة

لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه بحمد الله ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اثنأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكانه لم يفك عن الشرك الحنفى سره فليتنق الله سبحانه في تصفية توحيد عن كدوارث الشرك وعوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البت والشكوى أو يكون من أهل للرومة عن ذهب نعمته وقيت مادته فهو يتعفى في جلباب التجمل قال الله تعالى - يحبهم الجاهل أغنياء من التحف تعرفهم يسام لا يسألون الناس إلحافا - أى لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء يقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبى أن يطلب بالفحص عن أهل الدين في كل علة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فتواب صرف للعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أى حبسوا في طريق الآخرة بيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح مقيدوا الأطراف فهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فمافوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة (١) ومثل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة المال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه لأن أصل أخا من إخواني بدرم أحب إلى من أن أتصدق بشرين درهما ولأن أصله بشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعترق ربة والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبى أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والنعمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد فان أحد أجره في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ ومهنة فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل فان أصاب حصل الأجران وان أخطأ حصل الأول دون الثاني فهنا يضاعف أجر للصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر اللواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حرم على ليس بها فمى ولا مطلقا تصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمى ولا إلى مطلق

بحمد الله لا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر هو محمد فاجتضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا أدنونه الحديث وفيه أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبي داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاها النبي قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا .

وتأيدت واستقام الدين الحنفى وتفرع وتواصل الهدى النبوى الصطفوى فأثبتت أراضى قلوب العلماء الكلا والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء السلم والأودية القلوب قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه خلق الله تعالى ذرة صافية فلا حظها بين الجلال فذابت حياة منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفا القلوب من وصول ذلك الماء إليها . وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك إذا سال السيل في الأودية لا يبقى في الأودية نجاسة إلا كنسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذى قسمه الله تعالى للعبد في نفسه لا تبقى

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما فلذلك صفت الأصناف الثمانية . الصنف الأول الفقراء : والفقر هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقر ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تنفي بجميع ذلك كإيلق بالفقراء فهو فقير لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر العورة فان هذا غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرج عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لا يلقى عروته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقا ويمتنع الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمتعة الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكثيا بنفقة أیه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقر . الصنف الثاني الساكنين : والسكن هو الذي لا يلقى دخله يخرج عنه قد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وجلا وهو غني والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يلقى به وكذا كتب الفقه لا تخرج عن السكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كإقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجرى في الدنيا إلا بجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمتنع اسم السكنة وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب وللعلم وللدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياض وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كدخاؤه كتب طب يعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطلع فيه ويتعظ به فان كان في الباطن طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء فزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم لحاجة أثاث البيت وثياب البدن فينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداها . فان قال إحداها أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما . قلنا اكتف بالأصح وبيع الأحسن ودع التفرج والترفيه وإن كان نسختان من علم واحد إحداها بسيطة والأخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يترض له في فن الفقه وإنما أوردناه لمعوم البلوى والتنبيه بحس هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يمتدئ مثل هذا النظر في أثاث البيت في معادها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن

مسعود بسند ضعيف

فيه غفلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأزل - فأما الزبد فيذهب جفاء - فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة سواء ما ينفع الناس فيصعكت في الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا للمسكين بحقائق التقوى بقدرها لمن كان في باطنه لوثة هبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب للناسب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات التوسطة للشككة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينبغي منها إلا الاحتياط والله أعلم .

الصنف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والقبالة ولا يزال واحد منهم على أجرة الثلث فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من ماله المصالح .

الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم .

الصنف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يمد عبدا له .

الصنف السادس الفارمون : والفارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في مصبة فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنه .

الصنف السابع الغزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على النزو .

الصنف الثامن ابن السبيل : وهو الذي شخص من يلبه ليسافر في غير مصبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان قهيرا وإن كان له مالا يولد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقوله الآخذ ولا يطالب بيينة ولا يغلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه وأما النزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إني غاز فان لم يف به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البيينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتي .

(بيان وظائف القابض وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفي هم ويجعل همومه ما واحدا قد عبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق هم اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنه وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه حماء عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساقى إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة بحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يخدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على مصبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه .

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوه ويثنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يهرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه والطريق حق من حيث جسه الله طريقا وواسطة

فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات . قيل لا حسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسها قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما عملوا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى - فلولاً تفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء للنذر بماء العلم والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل الرتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للتي الذي يبلغ رتبة الانذار ببله لمورد العلم

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أثبت الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى - نعم العبد إنه أواب - إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطعوا فادعوا له حتى تملأوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا ينفمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعة فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تمارض والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضربه خلافه والأخذ بالعكس منه وكل ذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الوسطة واسطة فقد جهل وإنما للنكر أن يرى الوسطة أصلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم للتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مال كما معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتوقى مواقع الريية والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار الباق ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والقرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره للثل وان أعطى زيادة أبي وامتنع إذ ليس للمال للمعطى حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح وثقفة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريه إلى ما لا يريه وإن أخذ بالسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نقاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتدال في هذا على قول الأخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو محفوت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لبياله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يحمد به حد الفقير والمسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وجسته من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن جابر نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليكم معروفا فكافئوه الحديث دن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث ادخر لبياله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يعزل حقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاتقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه - فالتفرق في الدين يستولى الدبول على الجوارح وتذهب عنها نظارة العلم والنضارة في الظاهر بسترين الجوارح بالاتقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى مجرا مواجا . ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس

ولو انصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فم وأقرب للتقوى . ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أو جب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع التقى فمثل عن غناه فقال ﷺ غداؤه وعشاؤه (١) » وقال آخرون يأخذ إلى حد التقى وحد التقى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد التقى خمسون درهما أوقيتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله مال يفي به يوم القيامة وفي وجهه خموش فمثل وما غناه قال خمسون درهما أوقيتها من الذهب (٢) » وقيل راويه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال (٣) » وبالح آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى به طول عمره أو يبي بضاعته ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو التقى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيت فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من اقتصر فله أن يأخذ بقدر ما يمود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبو طلحة بيستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله في قرابتك فهو خير لك (٤) » فأعطاه حسان وأباتادة فحائط من نخل لرجلين كثير من وأعطى عمر رضي الله عنه أعرابيا ناقة معها ظر لها فهذا ما حكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى أن يشتري ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضا مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فأوراءه فيه خطر وفيما دونه تضيق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزء بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع « استفت قلبك وإن أفنوك وأفنوك (٥) » كقوله صلى الله عليه وسلم إذ الهم حراز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليتركه فيه ولا يترخص تطلا بالتقوى من علماء الظاهر فإن لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من شبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة إما جهل وإما لتسهيل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يظلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في النهى عن السؤال مع التقى فيسأل ما يفي به فقال غداؤه وعشاؤه د ح ب بلفظ من سأل وله ما يفي به فأما يستنكر من جمر جهنم الحديث (٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يفي به يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعه النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر الصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن ح ب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل أبا طلحة بيستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن أفنوك تقدم في العلم .

فظهر على نفسه الشريعة فصاره الصلح وريه فبدلت نفوت النفس وأخلاقها . ثم وصل إلى الجوارح جدول فصارت ربابه ناضرة فلما استتم نضارة وامتلا ربابه الله تعالى إلى الخلق فأقبل على الأمة بقلب موج بياه العلوم واستقبل جداول الفهم وجرى من بحره في كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل إلى الفهم هو الفقه في الدين . روى عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من فقه في الدين وللقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب إمامنا قال حدثنا سعيد ابن حفص قال حدثنا أبو طالب الزيني قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد الروزية

(الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (٢) وقال ﷺ « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله أخذها يمينه فبرئها كابر بن أحدكم فضيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعرفة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٦) وقال ﷺ « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل » وقال ﷺ « ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة » (٨) ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ « أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تعمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لقان كذا ولقان كذا وقد كان لقان » (٩) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك فقال إن عندى آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندى آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندى آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندى آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر به » (١٠) وقال ﷺ « لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » (١١)

(١) حديث تصدقوا ولو بتمر فأنها تسد من الجائع ونطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسل وأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرى من النار ولو بشق تمرة فأنها تسد من الجائع مسندا من الشبان ولأبي يعلى والبرار من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فأنها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضعيف والترمذي ون في الكبرى و في حديث معاذ والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجه من حديث عدى بن حاتم (٣) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال لأبي الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف أنه قال لأبي الدرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسل بإسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرا بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند صحيح (٩) حديث سئل أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندى دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة.

قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا القريري قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يريد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى » قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشدين النقي ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قه الرجل. وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما قهوا علموا

وقال «ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لو صدق السائل ما أفلح من رده» (٢) وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع ظهوره بالليل ويخمره وكان يتناول المسكين يده (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس المسكين الذي تردم التمرة والتمر تان واللقمة واللقمتان إنما المسكين للضعف اقروا وإن شتم لا يسألون الناس إلحافا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل مادامت عليه من رقعة» (٥) . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن مدعها لم رقع وقال مجاهد في قول الله عز وجل ويطمعون الطعام على وجه مسكيننا ويتبنا وأسيرا - فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلمهم يسودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تملكك نصف الطريق والصوم يملكك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة تدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانياتها بسبعين ضعفا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزني جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان للرض وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مسند أوقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباغت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول - لن تتأوا البر حتى تنفقوا مما يحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الكثر لله عز وجل لا يسرن أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم الله عز وجل أشبهه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجمعكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أخرج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأما شرب اللوسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة للسكنة على الخصوص ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والبرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالفلس واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فإل قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من اللعان والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر الروعة وكشف عن

(١) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره الحديث الدار قطن من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسل (٤) حديث ليس للمسكين الذي تردم التمرة والتمر تان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالفه بن طهمان ضعيف

ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتموا فكل من كان أقمه كانت نفسه أسرع لإجابة وأكثر اتقيادا لعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم حجة موهوبة من الله للقلوب والعرفه تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالتبني صلى الله عليه وسلم لما قال «مثل ما يشق الله به من الهدى والعلم» أخبر أنه وجد القلب النبوي العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منها ورائة مصبوة فيه من آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والأصماء صمة الأشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى - علم الإنسان ما لم يعلم - فأدرك لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللفظ والحب والبغض والفرح والتم والرضا والتعجب

الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف .
 الثاني أنه أسلم لقلوب الناس والسقم فأنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ
 مع الاستثناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والفتنة من الذنوب الكبار وحياتهم عن
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخيتاني إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيرانى
 حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الثوب لأجل إخوانى يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم
 التيمى أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيشمة ولو علمت
 أن أهله علموا به ما قبلته . الثالث إعانة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر فى الإعطاء
 أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم إلا باثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا فى السر قبله قليل فى ذلك
 فقال إن هذا عمل الأدب فى إخفاء معروفه قبلته وذلك لأساء أدبه فى عمله فردته عليه وأعطى رجل لبعض
 الصوفية شيئا فى الملا فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أشركت غير الله سبحانه فيها كان
 لله تعالى ولم تنفع بالله عز وجل فردت عليك شركك وقبل بعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية
 قليل له فى ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم ألعون لك على النصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال
 التورى لو علمت أن أحدا لا يذكرك صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقته . الرابع أن فى إظهار الأخذ ذلا
 وامتنانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول إن فى إظهاره
 إذلالا للعلم وامتنانا لأهله فما كنت بالذى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز
 عن شبهة الشبهة قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها (١) » وبأن
 يكون ورقا أو ذهبيا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدى الرجل إلى أخيه
 ورقا أو يطعمه خبزا (٢) » فجعل الورق هدية بانفراده فأعطى فى الملا مكروه إلا برضا جميعهم ولا يغلو
 عن شبهة فإذا انقرد سلم من هذه الشبهة . أما الاظهار والتحدث به فيه معان أربعة : الأول الاخلاص
 والصدق والسلامة عن تلبس الحال والراءاة . والثانى إسقاط الجاه والمزلة وإظهار الصوديه والمسكنة
 والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستثناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذًا فانك لا تغلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت
 ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لتلميذك وأقل لآفات نفسك أو رجل تزدد فى قلبه بإظهارك الصدق
 فذلك الذى يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد
 باختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لانصبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية
 والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى أن يكون النظر مقصورا على الواحد
 الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان فى الضعفاء وطب
 فى الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال علق لا يصح فى هذا التين حديث (٢) حديث أفضل
 ما يهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند
 الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد وت وصحه من حديث
 البراء من مسح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى زقاقا فهو كمن شق نعمة .

والكياسة ثم اقتضاه
 استعمال كل ذلك وجعل
 لقلبه بصيرة واهتداء
 إلى الله تعالى بالنور
 الذى وهب له فالتبى
 صلى الله عليه وسلم
 بعث إلى الأمة بالنور
 للوروث والموهوب
 له خاصة وقيل لما
 خاطب الله السموات
 والأرض بقوله - اثقيا
 طوعا أو كرها قلنا آمينا
 طائعين - نطق من
 الأرض وأجاب موضع
 الكعبة ومن السماء
 ما يحاذيها وقد قال
 عبد الله بن عباس رضى
 الله عنهما أصل طينة
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من سررة
 الأرض بمكة فقال
 بعض العلماء هذا
 يشعر بأن ما أجاب من
 الأرض ذرة المصطفى
 محمد صلى الله عليه وسلم
 ومن موضع الكعبة
 دحيت الأرض فصار
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو الأصل
 فى التكوين والكائنات
 تبع له وإلى هذا إشارة
 بقوله صلى الله عليه
 وسلم « كنت نبيا وآدم

بين الماء والطين «
وفي رواية «بين الروح
والجسد» وقيل لذلك
سمى أميا لأن مكة أم
القرى وذرت أم الحليقة
وتربة الشخص مدفنه
فكان يقتضى أن
يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها
ولكن قبل الماء لما
تزوج روى الزبد إلى
النواحي فوقت
جوهرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ما يحاذى
تربته بالمدينة وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكيا مدنيا
حينه إلى مكة وتربته
بالمدينة والاشارة فيما
ذكرناه من ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو ما قاله
الله تعالى - وإذا أخذ
ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم
ألمست بربكم قالوا بلى -
ورد في الحديث «إن
الله تعالى مسح ظهر
آدم وأخرج ذريته منه
كهيئة الدر» استخراج
الدر من مقام شعر
آدم فخرج الدر

أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليدعها
حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فقلنا ما أمرنا به
الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تذبح كاذب أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل . الرابع
أن الاظهار إقامة لسان الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتان كفران النعمة
وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال عليه السلام «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن
تري نعمته عليه (١)» وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا
والملانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في اللأخذ ثم اردد في
السر والشكر فيه عثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢)»
والشكر قائم مقام الكفاة حتى قال عليه السلام «من أسدى إليكم معروفًا فكاشوه فان لم تستطيحوا فأنثوا
عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» ولما قال المهاجرون في الشكر «يا رسول الله
مارأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن ينهبوا بالأجر كله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة (٣)» فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن
ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا
لأنهم حكما بتأني أن الاختفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون الخلق مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى
بجمل القرور ولا يندفع بتليبس الطبع ومكر الشيطان والكفر والحداع أغلب في معاني الاختفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فامدخل الحداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض
الجاه والنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بين الازدراء وإلى المعطى بين النعم الحسن
فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتطل بالمعاني الحسة
التي ذكرناها ومعار كل ذلك ومحكمه أمر واحد وهو أن يكون تألم بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف
صدقة أخذه بعض نظرائه وأمثاله فإنه إن كان ينبغي صيانة الناس عن النية والحسد وسوء الظن أو
يتقى انتهاك السر أو إعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر
من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لامن حيث إنه علم زيدا أو علم عمرو والنية محذورة من حيث إنها تعرض لمرص مصون لامن حيث إنها
تعرض لمرص زيد على الخصوص ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يجر الشيطان عنه وإلا فلا يزال
كثير العمل قليل الحظ وأما جانب الاظهار فليل الطبع إليه من حيث إنه تطيب لقلب المعطى واستحاث
له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من الباقين في الشكر حتى يزعموا في إكرامه وتفقدته وهذا داء دفين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التدبير إلا بأن يروج عليه هذا الحبث في معرض السنة ويهول له الشكر

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن تری عليه أحمد من حديث عمران بن حصين
بسند صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تعذر (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله مارأينا حرام من قوم نزلنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه .

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعبّر ذلك ومحكم أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار المعطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يمتطون إلا من يخفى ولا يشكر فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر فإن كان هو ممن يجب الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يجب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه « ضربتم عنقه لومعها ما أفلح ^(١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم في وجوههم لثقتهم يثقونهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الوبر ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ^(٣) » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ^(٦) » وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشهادة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتتعطل وعلى الجملة فالأخذ في اللأ والرد في السر أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تسكل للمعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لومعها ما أفلح متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لومعها ما أفلح أبدا وفي سنده على بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبي موسى (٢) حديث إنه سيد الوبر العنبري وطب وابن قانع في معاجمهم وحج في الثقات من حديث قيس بن عاصم للتقري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه . . من حديث ابن عمر ورواه في الراسيل من حديث الشعبي مرسل بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير قط في الطل من رواية ابن السيب عن أبي هريرة . وقال لا يصح عن الزهري وروى عن ابن السيب مرسل (٦) حديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

تخرج المرق وقيل كان المسح من بعض اللائكة فأضاف الفعل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أي أحصى كما تحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك يظن نعمان واد بجانب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الدر وأجابوا يلى كتب المهد في رق أبيض وأشهد عليه اللائكة وأقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحية من الأرض والهدى فيه معبوتان فبث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما ثبت الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبث حتى بث الله تعالى عزرائيل قبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه خلقت النفس مما من قدم

وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إغانة على الواجب ولو ترك
للساكنين كلهم أخذ الزكاة لأئعوا ولأن الزكاة لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان
الغالب أن للتصدق يعطى من يستفد فيه خيرا ولأن مراقبة الساكنين أدخل في الدار والمسكنة وأبعد
من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميز عنه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ
وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يطلب عليه وما يحضره من النية
فان كان في عيبة من انصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضاءه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين
الزكاة وبين الصدقة فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك للمال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة
فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على الساكنين
وان كان للمال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضيق على الساكنين فهو خير والأمر فيهما
يتفاوت وأخذ الزكاة أعيد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم .

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والرسلين وعلى اللائكة
والقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده اللذة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ، ورد أمه وخيب ظنه ،
إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى
قلوبهم الشهوات للسكنة وإن جمعها تصبح النفس للطمئة ظاهرة الشوكة في قسم خصمها
قوية للذة ، والصلاة على محمد قائد الخلق وعمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة
والقول للرجعة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فان الصوم ربيع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه
وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو متميز
بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيها حكاه عنه نبيه ﷺ « كل
حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » (٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر قد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ونأهيك
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لحولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
اللسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجل فالصوم لي وأنا أجزي به » (٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بنى سليم وه من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو بصير في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسي بيده لحولف فم الصائم الحديث أخرجه من حديثه وهو بعض الذي قبله

إبليس فصارت مأوى
الشر وبعضها لم يصل
إليه قدم إبليس فمن
تلك التربة أصل الأنبياء
والأولياء وكانت ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من
قبضة عزرائيل ليسها
قدم إبليس فلم يصبه حظ
الجهل بل صار مزروع
الجهل مؤفرا حظه من
العلم فبثه الله تعالى
بالهدى والعلم وانتقل
من قلبه إلى القلوب
ومن نفسه إلى النفوس
فوقعت للناس في
أصل طهارة الطينة
ووقع التأليف بالعارف
الأول فكل من كان
أقرب مناسبة بنسبة
طهارة الطينة كان
أوفر حظا من قبول
ما جاء به فكانت قلوب
الصوفية أقرب مناسبة
فأخذت من العلم حظا
وأفرا وصارت بواطنهم
أخاذاً فعلموا وعلموا
كالأخاذا الذي يستقى منه
ويزرع منه وجمعوا
بين فائدة علم الفراسة
وعلم الوراثة بأحكام
أساس التقوى ولما

وقال صلى الله عليه وسلم « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة (٤) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر (٥) » وقال وكيع في قوله تعالى - كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية - هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة البهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل اللبذل شيا بهلى أنت عندي كبض ملائكتي (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انظروا ياملائكتي إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرا به من أجل (٧) » وقيل في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - قيل كان عملهم الصيام لأنه قال - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - فيفرغ للصائم جزاءه إفراغا ويجازف جزاها فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرقا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمصن : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المبرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع (٩) » وسيأتي فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قوما للشيطان وسدا لمساكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة

- (١) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجه من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويناه في أمالي بن منده من رواية ابن القيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن القيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت وقال غريب وه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح مع وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث يقول الله تعالى لملائكته ياملائكتي انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرا به من أجل (٨) حديث إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صبة دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٩) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلا .

تزكت النفوس انجلت
مرايا قلوبهم بما صقلها
من التقوى فانجلي فيها
صور الأشياء على
هيئتها وما هيئتها فبانت
للهنيا ببحرها فرفضوها
وظهرت الآخرة بحسنها
فطلبوها فلما زهدوا
في الدنيا انصبت إلى
بواطنهم أقسام العلوم
انصبا باوانضاف إلى علم
الدراسة علم الوراثة .
واعلم أن كل حال
شريف نعزوه إلى
الصوفية في هذا
الكتاب هو حال
للقرب والصوفي هو
للقرب وليس في القرآن
اسم الصوفي واسم
الصوفي ترك ووضع
للمقرب على ما سئرح
ذلك في باب ولا يعرف
في طرفي بلاد الإسلام
شرقا وغربا هذا الاسم
لأهل القرب وإنما
يسرف للمتوسمين وكم من
الرجال المقربين في بلاد
للقرب وبلاد تركستان
وما وراء النهر ولا
يسمون صوفية لأنهم
لا يتزبون بزي
الصوفية ولا مشاحة في
الألفاظ فيعلم أنا نفي

الله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من الصبر والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فسادات محضبة لم ينقطع تردد دم وما داموا يترددون لم ينكشف للمبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١)» فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والوازم بافساده)

(أما الواجبات الظاهرة فسته)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن مع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا روى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلونوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يحزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عينا بقولنا مبيتة ولونوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يحزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولونوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يحزه فانها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالكشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالحبوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسده نيته ولونوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها . الثالث الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحجامة والاكتحال وإدخال الليل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثانية وما يصل بعير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في الضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفطر أمانا أكل عمدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده مضيق الحشفة وإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتمل فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فزاع في الحال صح صومه فإن صبر ففسد ولزمته الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفية المقربين
فشاح الصوفية الذين
أساؤهم في الطبقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق المقربين
وعلمهم علوم أحوال
المقربين ومن تطلع
إلى مقام المقربين من
جملة الأبرار فهو
متصوف مالم يتحقق
بالحلم فإذا تحقق
بالحلم صار صوفيا
ومن عداها ممن تميز
بزي ونسب إليهم
فهو مشبه - وفوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي إملاء
قال أنا أبو منصور
القرني قال أنا الامام
الحافظ أبو بصير
الخطيب قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو طي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثنا يحيى عن شعبة
قال حدثني عمر بن

الخامس : الامسالا عن الاستمنا وهو إخراج المني قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بعصا جعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالا كالا ربه فلا بأس بالتقييل وتركه أولى وإذا كان يخاف من التقييل أن ينزل قبل وسبق المني أفطر لتقصيره السادس : الامساك عن إخراج المني فالاستمنا يفسد الصوم وإن ذرعه المني لم يفسد صومه وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

(وأما لوازم الافطار فأربعة)

القضاء والكفارة والقدية وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضى الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستمنا والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة قال كفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقبلا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما . وأما القدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مدة حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش وشد المززر ودأب وأدأب أهله ^(١) » أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها في أوتار وأشباه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتابع في هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعيا أو نواه انقطع تنافه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لقيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يخرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارا ^(٢) » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتقييل ولا بأس في السجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يذني رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ^(٣) » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حديث كان إذا دخل العشر الأخير طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المززر (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٣) حديث كان يذني رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

سليمان بن ولد عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره قرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم - يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بفشاء أوصافه ونسوته يسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته أيام رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله . وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا لإدنيا تراءد للدين فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه للوعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً فإنه إقبال بكنه المهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام ونمائه بسة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يندم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس لئن لم ترها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يحد حلاوته في قلبه (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والحسومة والراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى لبث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم « إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم إني صائم (٣) » وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحاً وقال ﷺ : قل لهما قيثا فيه ما أكلتما فهات إحداها نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريزاً وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأته فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فمعدت إحداها إلى الأخرى فجعلتا يفتابان الناس فهذا ما أكلتما من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى - صمءون للكذب أكالون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهمم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالكسوت على الغيبة حرام وقال تعالى - إنكم إذا مثلهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصححه إسناده من حديث حذيفة (٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

من أبحر العلم بما تضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليته وخفيه وباباً من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا أن حسن الاستماع قرع باب للسكوت واستئزال بركة الرغبات والرهبات ورأوا أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقام يتراكم من نقت الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والأقسام الدنيوية التي هي مناظ الهوى ومثار الردى بمثابة الخطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجاً فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الغتاب والمستمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشهوات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثل هذا الصائم مثال من يفتي قصرا ويهيم مصرا فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرة لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قلبه ويضر كثيره وقصد الصوم لتقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٢) قيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمكك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يعتلى جوفه فإمن وعاء أبفض إلى الله عز وجل من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت المدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهواتها وقويت رغبتها ثم أطمعت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أقل من كفته التي كان يأكلها كل ليلة ولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفوا عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجد وأوراده ففسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - ومن جعل بين قلبه وبين صدره غلالة من الطعام فهو عنه محبوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من القريين أو يرد عليه فهو من المقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقهم يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام غفابوا فالمعجب كل المعجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه البطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل الحسن بإحسانه والسوء بإسائه أي كان سرور القبول يشغله عن اللعب وحسرة للردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعدد لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم . فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء

النفس أخطاها وقرت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهبأ وماردها بصفاء القهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال الشبلي رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا ينفل عنه طرفه عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين برصكة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال الفانية التي أقصدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من

(١) حديث الغتاب والمستمع شريكان في الآثم غريب والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف
 نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النية وعن الاستماع إلى النية (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن . من حديث أبي هريرة

الأغراض والأمراض
قال الحسين بن منصور
لمن كان له قلب لا يخطر
فيه إلا شهود الرب
وأشد :

أنى إليك قلوبا طالما
هطلت

سحاب الوحي فيها
أبحر الحكم

وقال ابن عطاء قلب
لاحظ الحق بين
التعظيم فذاب له
واقطع إليه عما سواه

قال الواسطي : أى
لذكرى لقوم مخصوصين

لا لسائر الناس لمن
كان له قلب أى فى

الأزل وهم الذين قال الله
تعالى فيهم - أو من كان

ميتا فأحييناه - وقال
أيضا المشاهدة تذهل

والحجة تفهم لأن الله
تعالى إذا تجلى لشيء

خضع له وخضع وهذا
الذى قاله الواسطي

صحيح فى حق أقوام
وهذه الآية حكم

بخلاف هذا لأقوام
آخريين وهم أرباب

التمكين يجمع لهم
بين الشهادة والفهم

فموضع الفهم عمل
المحادثة والمكاملة وهو

صومه صحيح فإمعناه . فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة
أى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسيما النية وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من
التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين للقبليين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيضنون
بالصحة القبول والقبول الوصول إلى القصود ويفهمون أن القصود من الصوم التخلق بخلق من
أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والافتداء باللائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقد رتبته بنور العقل على كسر شهوته ودون
رتبة اللائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكما اتهمك فى الشهوات انعط إلى
أسفل السافلين والتحق بعمار البهائم وكما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق اللائكة
واللائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل
كقربهم فان الشبه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر
الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع
الانهمالك فى الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم
« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » ولهذا قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس
وفطرم كيف لا يسيون صوم الحقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال
الجيال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم مفطر صائم والمفطر الصائم
هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجمع ويعطش ويطلق
جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد إلا أنه ترك لله
وهو الفصل فصلاته مردودة عليه مجمله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن اللسكاره كن
غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع
بينهما كن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه
وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (١) » . ولما تلا قوله عز وجل - إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها - وضع يده على سمعه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة (٢) » ولولا أنه
من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فليقل إنى صائم » أى إنى أودعت لسانى لأحفظه
فكيف أطلقه بجوابك فاذن قد ظهر أن الشكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا وقشرا درجات
ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن فى أن تنفع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

(الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها
يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء
والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهى
أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان (٣) »

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود
فى حديث فى الأمانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها . وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أبى هريرة دون
قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (١) «لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام» (٢) وفي الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» (٣) وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حق رمضان (٤) ولهذا يستحب أن يخطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان بربيع فبجاء (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة (٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حق لا يصاهى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمهرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمهرم ورجب واحد فرد وثلاثة سر دو أفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمهرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عثر جواده وأهريق دمه» (٧) وأما ما تكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثلاثين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثر الخيرات لتضاعف أجورها بركة هذه الاوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل لكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله (٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل

جمع القلب وموضع للشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال ينجب صمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمكين لا ينجب صمعه في بصره لتملكه ناصية الحال وفيهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسمع والإلهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشاء ثانيا للتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلشى عند لمعان نور الشاهدة لمن جاز على بحر الفناء إلى مقار البقاء . وقال ابن صمعون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن اقتصر إلى مالم يحسد

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين الحديث لم أجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الضعفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حق رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حق يحىء رمضان وصححه ت (٥) حديث وصل شعبان بربيع مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان ودن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عدت ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت . من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعندخ من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا الشهر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج بخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبد الله بن عمرو في حديث له لا صام من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وحران بن حصين وعبد الله بن الشخير .

من الأدب به الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثي الأدب والثالث امتلاء القلب بالذي بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلا وقد وجد كل الأدب . قال محمد ابن علي الباقر موت القلب من شهوات النفس فكما رفض شهوات نال من الحياة بقسطها فالسباع للأحياء وللأموات قال الله تعالى - إنك لاتسمع الآتي - قال سهل بن عبدالله القلب رقيق تؤثر فيه الحطرات المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى - ومن يمشي عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له قرين - فالقلب عمال لا يفر والنفس يقظانة لا ترقد فان كان العبد مستمعا إلى الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس فكل شيء سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفي حركتها يطرق الشيطان . وقد ورد « لولا أن الشياطين

الصوم حجبوا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين (١) » ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبع وأتضرع إليك إذا جعت (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما (٣) ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما فقال إني أريد أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك (٤) » وقد روي « أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان (٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكامل في أن يهتم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفرغ القلب لله عز وجل والفتية بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الاقطار بالصوم وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام (٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن بوالى بين الاقطار أكثر من أربعة أيام تقديرا يوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردى العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم التطوع به والله أعلم بالصواب .

ثم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها

(١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد ن في الكبرى وحسنه أبو طي الطوسي (٢) حديث عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذبا . وقال حسن (٣) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجاه من حديثه (٥) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجاه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لاتشاء تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته .

ما علمنا منها وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وطى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لأرب غيره وماتوفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتمجينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد بنى الرحمة وسيد الأمة وطى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا (١) » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وأجدر بها أن تصرف الضاية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفوائدها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب .

الباب الأول : فى فضائلها وفوائدها مكة والبيت العتيق وجعل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فليبدأ بالباب الأول وفيه فصلان : الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشهد الرجال إلى الماسجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وطى نبينا وطى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فاجتوبه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قيل التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل فى تفسير قوله عز وجل - لأفعلن لهم صراطك المستقيم - أى طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينجس الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا لما يرى من زول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ يقال « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة وت نحوه من حديث طى وقال غريب وفى إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان فى يوم أصغر الحديث مالك عن إبراهيم بن أبى عبة عن طلحة بن عبد الله بن كرز مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

محومون على قلوب
بنى آدم لنظروا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بشار
البصري ومعارف
العارفين ونور العلماء
الربانيين وطرق
السابقين الناجين
والأزلى والأبدى ما بينهما
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع .
وقال ابن عطاء هو
القلب الذى يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
يغيب عنه خطرة
ولا قرة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهد فإذا لاحظ
القلب الحق بعين
الجلال فزع وارتعد
وإذا طالعه بعين
الجمال هدا واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يقوى
على التجريد مع الله
تعالى والتفريد له
حتى يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بغيره ولا يركن
إلى سواه قلب الصوفى
مجرد عن الأكوان
ألقى صحبه وشهد
بصره فسمع للسموات

وأبصر للبصرات
وشاهد الشهودات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جملها ولم يسمع ويشاهد
تفاصيلها لأن الجمل
تدرك لسة عين
الشهود والتفاصيل
لا تدرك لضيق وعاء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكماء تفاوت الناس
في الاستماع وقال إن
الباذر خرج يندره
فلا منه كفه فوق
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
انحط عليه الطير
فاختطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فبنت حتى إذا وصلت
عروقه إلى الصفا لم
تجد مساعا تنفذ
فيه فيس ووقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها شوك نابت فبنت
فلما ارتفع خنقه الشوك

وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من القريين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون بأكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يغيبهم فيحزني ذلك قال فما الذي آمل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المصيبة كانت أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يجب هذا عمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأتى أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروهم غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفّعوا شفّعوا (٣) » وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة يستون للطائفين وأربعون للتصلين وعشرون للناظرين (٥) » وفي الخبر « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجذونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجذونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه (٧) » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبدا ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأتى أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حق في الشعب بالشر الأول من حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج للبرور وقال إن الحجة البرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٣) حديث سألوه أعطاهم وإن شفّعوا شفّعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب في المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٥) حديث ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حب في الضعفاء وهق في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب و ك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت و من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - (١) « قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج (٢) « وروى أن علي بن موفى حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا ابن موفى حجبت عني ؟ قلت نعم قال وليت عني ؟ قلت نعم قال فاني أكاثك بها يوم القيامة آخذ يدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال محاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقىهم الملائكة فسلموا على ركب الأبل وصاحوا ركب الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشبعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوه الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفى قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمعى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أقدري كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعنا في الهواء فغابا عني فانتبهت فرعا واغتصمت غما شديدا وأهمنى أمرى قلت إذا قبل حج ستة أنفس فإني أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة فمت عند الشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلعة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يحل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه قلت اللهم إني قد وهبت حجى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تنسخنى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته .

(فضيلة البيت ومكة الشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستائة ألف فان نقصوا أكلهم الله عز وجل من الملائكة (٣) « وأن الكعبة تحشر كالمرس الزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسمعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحقه وصدق (٤) «

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكلت لكم دينكم - الحديث أخرجه من حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجده له أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه و وحب وك وصححه إسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس إن الركن وللقيام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصححه إسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأنفده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فثبت ونما وصلاح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فيفساه ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضته الشهوات قيدته عن التهوض بالعمل فترك ما نوى عمله لعلبة الشهوة كالزراع يختنق بالشوك ومثل الذي وقع في أرض طيبة

وكان صلى الله عليه يقبله كثيرا (١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٢) وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع (٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نحيبه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف ؟ قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على التدرية كتب عليهم كتابا ثم ألقاه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابك ووفاء بعهدك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح « عمرة في رمضان كحجة مئة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين » (٥) وفي الخبر « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حببنا هذا البيت قبلك بألفي عام » (٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تقرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا آتى عليها سبع سنين لم يعجبها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل القرب التي توقع ولادتها وفي الخبر « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة » (٧) وروى عن صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتك فخربت ثم أخرب الدنيا على أثره » (٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجه من حديث عمر دون قوله كثيرا، وإن كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا (٢) حديث أنه كان يسجد عليه البزار وكمن حديث عمر وصححه إسناده (٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر أخرجه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة مئة أخرجه من حديث ابن عباس دون قوله معي فهي عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة مئة ورواه كزيادتها من غير شك (٥) حديث ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم الحديث رواه الفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (٧) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استتموا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة (٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتك فخربت ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

مثل المستمع الذي ينوي عمله في فهمه ويسمى به ويحاجب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفي لأن للهوى حلاوة والنفس إذا تشربت حلاوة الهوى فهي تركز إليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي يخلق الثبت كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الإلهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الإلهية بداعية الحب تستبج القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الإلهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة

(فضيلة المقام بمكة حرمها الله تعالى وكرامته)

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمانا أى يشوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد قلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل غراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن الله تعالى عبادة تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محذور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لتبرف الوضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لأن لم يتهوا عن ذلك لا تنفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من بلد يؤخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - أى أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض القيمين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض ، ولل منع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم إما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت (١) » وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (٢) » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان للصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (٣) »

(١) حديث إنك خير أرض أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ت وصححه ون في الكبرى و . وحب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٢) حديث صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بحملته هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول :

أشمت منك نسبا لست أعرفه

أظن لمياء جرت فيك أردانا

فتممه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه صمما وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويصر الكل بالكل ويقول :

إن تأملتكم فكلى عيون

أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فبشر

عبادى الذين يستمعون

القول فيتعون أحسنه

أولئك الذين هدام

الله أولئك هم أولوا

الألباب - قال بعضهم

اللب والعقل مائة جزء

تسعة وتسعون في النبي

صلى الله عليه وسلم

وجزه في سائر المؤمنين

والجزء الذى في سائر

للمؤمنين أحد وعشرون سببا فسمهم يتساوى للمؤمنين كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل في هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأحسن ما يأتى به لأنه لما وقعت له حجة التمكن ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأنوار فى الأحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع اللقائات لأتراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بمعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الأول فى الفضل فى محل القدس وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكمكم قال الجنيد تنسموا روح مادعاهم إليه

وقال صلى الله عليه وسلم «من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة»^(٢) وما بعد هذه البقاع الثلاث فالواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»^(٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى النع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وماتين إلى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال عليه السلام «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا»^(٤) والحديث إنما ورد فى للمساجد وليس فى منهاها المشاهد لأن للمساجد بعد للمساجد الثلاثة متباعدة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلامعنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليتشمري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة فإذا جاوز هذا قبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى منهاها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلزم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهماسم له حاله فى وطنه فإن لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى الحول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للمادة فهو أفضل للواضع له قال عليه السلام «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رقعا فأقم واحمد الله تعالى»^(٥) وفى الخبر «من يورثه فى شئ فليزمه ومن جعلت معيشته فى شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه»^(٦) وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه يده فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال إلى بلد أملا فيه جرابي بدرهم وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفضل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لحملك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدنه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدرى أى البلاد أسكن قيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبارة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزم على المجاورة بمكة فأوصنى قال أوصيك بثلاث لاتصلين فى الصف الأول ولا تصحب قرشيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع .

من حديث ميمونة بإسناد جيد فى بيت المقدس اتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كآلف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة وليس فى إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ب . من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها من حديث بريدة بن الحصيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والبلاد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رقعا فأقم أحمدا والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٦) حديث من رزق فى شئ فليزمه ومن جعلت معيشته فى شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه . من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتكره .

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ومحرم بنفسه إن كان مجزاً ومحرم عنه وإليه إن كان صغيراً ويعمل به ما يعمل في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكواً على النفسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يمكن من الاشتغال عقيه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام الخمسة : الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشرط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج نقلاً عن الحر البالغ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام لحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف (*) ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه . وأما شروط لزوم الحج الخمسة : البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطاً بالزومه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فتوعان : أحدها المباشرة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خضبة آمنة بلا عر خطر ولا عدو قاهر ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وأن يملك ما يقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة . وأما النوع الثاني فاستطاعة العضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصربه مستطيعاً لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منه على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصياً بترك الحج وكان الحج في تركه يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار يضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلاً وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فإني تركت - قال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها الخمسة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المهيورة بالهم ست الاحرام من اليقات فمن تركه وجاور اليقات محلاً فعليه شاة والرمي فيه الهم قولاً واحداً وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والبيت بنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يحجر تركها بالهم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة ثلاثة (*) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الرق وهي أظهر فإن الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى محو
العلائق المشقة وهجموا
بالنفوس على معاتقة
الحذر وتجرعوا مرارة
للكابنة وصدقوا الله
في الباعلة وأحسنوا
الأدب فيما توجهوا
إليه وهانت عليهم
للصائب وعرفوا قدر
ما يطلبون وسجنوا
همهم عن التلفت إلى
مذكور سوى ولهم
غيا حياة الأبد بالحى
الذى لم يزل ولا يزال .
وقال الواسطي رحمه
الله تعالى حياتها
تصفيتها عن كل معلول
لفظاً وفلاً وقال
بعضهم استجيبوا لله
بسراركم وللرسول
بظواهركم حياة
النفوس بتأدية الرسول
صلى الله عليه وسلم
وحياة القلوب بمشاهدة
النيوب وهو الحياء
من الله تعالى برؤية
التقصير وقال ابن
عطاء في هذه الآية
الاستجابة على أربعة
أوجه : أولها إجابة
التوحيد . والثاني
إجابة التحقيق .
والثالث إجابة التسليم

الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر وأفضل الحل لأحرام العمرة الجمرات ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران وهو أن يجمع فيقول ليك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الفسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسميه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكممين فان لم يجد إزارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال في الحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل غيظ بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يمسه المقلد طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة . الثالث الخلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وترجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة واللامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناة ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينقذ . السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متوله من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة حمل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية

الأولى في المال : فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ورد ما عنده من الودائع ويستحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لدهابه وإيابه من غير تقير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشئ قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكثرها فان اكرت فليظهر للسكري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرفيق : ينبغي أن يلتزم رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفاقه للقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتزم أديعتهم فان الله تعالى جاعل في أديعتهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أسودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

والرابع إجابة التقريب والاستجابة على قدر السماع والسمع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بمقدار الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لأن وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى - قل لو كان البحر مدا لالكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى - فله تعالى في كل كلمة من القرآن كلماته التي ينفد البحر دون نقادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الأزلى . حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال : أنبأنا الرئيس أبو على بن نهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البغوي قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن

وأما تذكرك وخواتيم عملك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكنفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت » (٢) . الثالثة في الخروج من الدار : ينبغي إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أو لا يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر وكآبة للقلب وسوء للنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عاقبتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجائي فاكفني ما أهنى وما لأهتني به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سفر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أموري عليك أنت حسي ونعم الوكيل فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمي النهار ويكون أكثر سيرة بالليل قال ﷺ « عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار » (٣) وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على للنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالله وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : ينبغي أن يحاط بالنهار فلا

(١) حديث أستودع الله دينك وأمانتكم وخواتيم عملك دت وصححه ون من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكنفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكنفه (٣) حديث عليكم بالدجلة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ومن حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خالد بن معدان مرسل .

سنة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع » قال قلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو سعيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أولها قوم يعملون بها فالمطلع للسعد يصعد إليه من معرفة عليه فيكون للمطلع القهم بفتح الله تعالى عن كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

عما أخبر الله تعالى
عن غضبه على قوم
وعقابه ليأثم فظاهر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبية
لمن يقرأ ويسمع من
الامة وقيل ظاهره
تنزيه الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهره تلاوته كما أنزل
قال الله تعالى - ورتل
القرآن تریلا وبطنه
التدبير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا والألباب
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
التلاوة لا يجاوز
الصحف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يجاوز للسموع
القول وفرق بين
التفسير والتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وتفسيرها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا محظور على
الناس كافة القول فيه
إلا بالسامع والأثر وأما
التأويل فصرف الآية

بشي منفردا خارج القافة لأنه ربما يتثال أو يتقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في
ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري
فيكون ما يؤت من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأجب في الليل أن يتناول الرقيقان في الحراسة
فاذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فان قصده عدو أو سبغ في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي
وشهد الله والاخلاص والمودتين وليقل بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا الله حسبى الله توكلت على الله ماشاء
الله لا يأتى بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبى الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله
منهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبين أنا ورسلى إن الله قوى عزيز - تحصنت بالله العظيم
واستغنت بالحى الذى لا يموت اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت تهتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة
إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا
ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبج ومهما خاف الوحشة
في سفره قال : سبحان الله للك القدوس رب لللائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت .

(الجلفة الثانية في آداب الاحرام من الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة)

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام أعنى إذا انتهى إلى الليقات للشهور الذى يهرم الناس
منه ويتم غسله بالتنظيف ويسرح لحية ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة
التي ذكرناها في الطهارة . الثاني : أن يغارق الثياب المنيطة ويلبس ثوبى الاحرام فيرتدى ويتزر
ثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب
يبقى جرمه بعد الإحرام ، قد روى بعض السك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام
عما كان استعماله قبل الاحرام (٣) الثالث : أن يصبر بدلبس الثياب حتى تنبت به راحلته إن كان
راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فبذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو أفرادا كما أراد
ويكفى مجرد النية لانقضاء الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول ليك اللهم ليك
ليك لا شريك لك ليك إن الحمد والنعمة لك ولللك لا شريك لك وإن زاد قال ليك وسعديك
والخير كله يديك والرخاء إليك ليك بهجة حقاً تبدا ورعا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .
الرابع : إذا انقضى إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسرهلى وأعنى
على أداء فرضه وتقبله منى اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك
وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل
ذراعه في كفه أحمد موت في الثمائل من حديث أبي قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقي
والحميدى إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تناول الرقيقين في الحراسة فاذا نام أحدهما حرم الآخر
حق من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل أحب
إليك أن أكنفك أوله أو آخره فقال بل أكنفى أوله فاضطجع المهاجرى الحديث . حديث عند
أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى (٣) حديث رؤية ويصلى للسك على مفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى
ويصلى للسك الحديث .

فيسرلى أداء ما نويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي وعظمي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب وزول رافعا بها صوته بحيث لا يسبح حلقه ولا ينهر فانه لا ينادى أصم ولا غائبا (١) كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في للساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك : أعني السجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد البقيات وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة » (٢) .

(الجلمة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة . والاغتسلات الستة السنونة في الحج تسعة . الأول : للاحرام من اللقيات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم لثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وعظمي على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجلني من أوليائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق إليها (٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة واتى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعزني من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه وليقل : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ولىرفع يديه وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عنى وزري الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جنتك أطلب رحمتك وأعالك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب لمرضايتك . السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك ونمسه يديك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أدينها وميثاقى وفيته

(١) حديث إنكم لاتأدون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة الشافعي في للسند من حديث مجاهد مرصلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما خير خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث .

إلى معنى تحمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصنى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسرار من قلبه فللمصوفى بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فمن

أشهد على بالموافاة فان لم يستطع التقييل وقف في مقابله ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصل من معهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والحبث في الثوب والبدن والسكان وستر الصورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يحمل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفه على منكبيه الأيسر فيرعى طرفاً وراء ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستغل بالأدعية التي سند كرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتبع عنه قليلاً ليكون الحجر قدماه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبدأ الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المائدة بك من النار وعند ذكر المقام يشير بيده إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودمى على النار وآمئناً من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويمحده حق يبلغ الركن المراقى فعنده يقول اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظر في الأهل والمال والولد فإذا بلغ الميزاب قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجاباً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً ونجاة لمن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن اليماني قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات وأعوذ بك من الحزنى في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الإسراع في الشيء مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطباع

الفهم علم ومن العلم عمل
والعلم والعمل يتناوبان
فيه وهذا العمل آتفا
إنما هو عمل القلوب
وعمل القلوب غير عمل
القالب وأعمال القلوب
للطفها وصدقها
مشاكلة للعلوم لأنها
نيات وطويات
وتطقات روحية
وتأديت قلبية
ومصاحبات سرية وكلا
أنوا بعمل من هذه
الأعمال رفع لهم علم
من العلم وطلوعوا على
مطلع من فهم الآية
جديد وبخارج سرى
أن يكون للطلع ليس
بالوقوف بصفاء الفهم
على دقيق المعنى وغامض
السرى في الآية ولكن
الطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود
التكلم بها لأنها
مستودع وصف من
أوصافه ونست من
نعوته فتجدد له
التجليات بتلاوة الآيات
وسماعها وبصير له
مراء منبئة عن عظيم
الجلال ولقد قيل عن
جعفر الصادق رضى
الله عنه أنه قال لقد

نجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحدّ حدّ الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكلم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خرّ مغشيا عليه وهو في الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردّ الآية حتى سمعتها من التكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى صممه عند صماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمع الله منها خطابه إياه يأنى أنا الله فإذا كان صمّاعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار صممه بصره وبصره صممه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

فليخرج إلى حاشية اللطاف وليرمل ثلاثا ثم يقرب إلى البيت في الزدحم ولجيش أربعا وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن الباني يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن الباني (١) ويقبله (٢) ويضع حده عليه (٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصار في الركن الباني على الاستلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سبعا فليات للترزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزم بالبيت وليلتصق بطنه بالبيت وليضع عليه حده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقضى بما رزقتنى . وبارك لى فيما آتيتنى اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا للوضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا للوضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربى بذنوبى . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلى خلف اللقار ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الزهري مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين (٤) وإن قرن بين أسايح وصلى ركعتين جاز (٥) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى اليسرى واغفرلى في الآخرة والأولى واعصنى بألطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى مغاصبك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويعب عبادك الصالحين اللهم حيينى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكها هديتى إلى الاسلام فبنتى عليه بالطائفك وولاتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسوك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى د . ك . وصححه من حديث عمر قال فبم الزملاّن الآن والكشف عن لنا كب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن الباني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم من الأركان إلا البجائين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أراه يستلم غير الركنين البجائين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن (٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن الباني قبله (٣) حديث وضع الحدة عليه قطك من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن الباني الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعه الجمهور (٤) حديث الزهري مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين ذكره مع تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف اللقار ركعتين (٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عقي في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث ابن هريرة

قال صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من جملة بهد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يتدبى بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل للسجدة وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

(الجملة الخامسة في السعي)

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة (٢) . وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحثة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين اللروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا للهدى بحمده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون - اللهم إني أسألك إيمانا دائما وبقينا صادقا وعلمنا نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذا كرا وأسألك العفو والعافية وللعافة الدائمة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويتدبى السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأعلى كرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هيئة حتى ينتهي إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية للسجدة الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذة الليل ستة أذراع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الليلين الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فاذا انتهى إلى اللروة صعدا كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كاسبق وفي كل نوبة يصعد الصفا واللروة فاذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما ستان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يمسد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن فم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان

وزاد ثم صلى لسلك أسبوع ركعتين وفي إسنادهما عبد السلام بن أبي الجيوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون . من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه . وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة والبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة آتى الصفا فصلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب الذر بقوله - ألت بربكم - فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - يعني تقلب ذرتك في أصلاب أهل السجود من آباءك الأنبياء فما زالت تنقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلماتها بالقلب في الأطوار فاذا أراد الله تعالى بالبعد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقه في رتب التزكية والتجلي حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة مجف الحكمة فيصير مصاعه - ألت بربكم - كشفا وعيانا وتوحيدا وعرفانه تبيان وبرهانا وتدرج له ظلم الأطوار في لوامع الأنوار . قال

(الجملة السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطواف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى مليا ويستحب له التي من مكة في الناسك إلى انقضاء حجه إن قدر عليه والتي من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك ولبيك هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثيرسار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غداة غدوتها قط وأقرها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجطني بمن تباهى به اليوم من هو خير مني وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم يضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليختل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقد وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدرة في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على اللواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلي تارة ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الحلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فليبه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعوه فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شمر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء للأئمة في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالتدى قول وخيرا مما قول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراني اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستغفري في الدعوات من حديثه يا على إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري

بعضهم أنا أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا تحقق الصوف بهذا الوصف صار وقته سرمدًا وشهوده مؤبداً وسماعه متواليًا متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع إهمال التكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوصي قال الله تعالى لنبيه عليه السلام - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيد وقال السلاطنة به لسانك لتعجل به - هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تعجل على الصحابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من يغفر
بفرائبه ومحابه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يقرأ من
قراءة القرآن غفلة
الانقلاط والنسيان
فنهاه الله تعالى عن
ذلك أي لا تجعل
بقراءته قبل أن يخرج
جبرائيل من إلقائه
إليك وقد تكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
وبحسب الحاجة للعلوم
والأخبار وسير أهل
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجاة من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بأداب حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكما أن القلب
استمد بحسن الاستماع
بالتزادة والتقوى حتى
أخذ من كل ما سمعه
أحسنه فيكون آخذا
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وليقل
اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما تقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما يهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم
إني أعوذ بك من تهول طاقتك وجماع سخطك اللهم اهتدي بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزل به وأكرم مسئول ماله به أعطى العشي أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاجيتك يا أرحم الراحمين اللهم بارئني الدرجات ومنزل البركات ويا ذا طر الأرضين
والسموات خبث إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إني أسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل للشفق العترة بذنبه أسألك مسئلة للسكين
وأتهل إليك ابتهاج للذنب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذلك لك جسده ورغم لك أفعه اللهم لا تجعلني بدعا لك رب شقيا وكن لي رءوفا رحما يا خير
المستولين وأكرم للمطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لا أتم نفسي إلهي أخرست للماضي لساني لما لي
وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك
وسمت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا ، أنا الموأد إلى الذنوب وأنت الموأد إلى الغفرة إلهي إن كنت لا ترحم
إلا أهل طاعتك فإني من يفرع الذنوبون إلهي تجنبني عن طاعتك عمدا وتوجهني إلى مصيبتك
قصدا فبجانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حقي
عني وقهرى إليك وغناك عني إلا غفرت لي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاء راج بحرمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فباتميت إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمته فلا تحرمني الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع العشي بسيد مفر لك بذنبه خاشع لك بذنبه مستكين بهرمة متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في الضو عنه طالب إليك
نجاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجا كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يهوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبمناذك أنحن وإياك أملنا وما عندك
طلبنا وإحسانك ترضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا
وليبتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويظم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويامن
ليس فوقه خالق يخشى ويامن ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة السؤال

اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وقتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في النهار وشر ما يهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر وإسناده ضعيف وروى الطبراني في المعجم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشي عرفة اللهم إني أسمع كلامي وتعلم سرى وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خير للمستولين ويا خير للمطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعض ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكرما وطى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك
زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وقفنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه الشاعر العظيم وشهدنا هذه
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تهب رجاءنا إلهنا تابعت النعم حتى اطمانت الأنفس بتتابع نعمك
وأظهرت العبر حتى نطق الصوامت بحجتك وظاهرت للنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك
وأظهرت الآيات حتى أفصح السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساءت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا تفضت وقبلت وإن عصوا
سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أبقنا إليك قربت وإذا
وليناعتك دعوت إلهنا إنك قلت في كتابك اللين لحمد خاتم النبيين - قل للدين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف - فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وإنا شهد لك بالتوحيد محبتين ولحمد
بالرسالة مخلصين فاعفولنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه نقص من حظ من دخل
في الاسلام إلهنا إنك أحبت التقرب إليك بعق ماملكت أمانتنا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل
فاعتقنا وإنك أمرتنا أن تصدق على قرائنا ونحن قراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الخضر عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشبهه عليه الأصوات يا من
لا تغلظه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يرميه إلحاح اللعين ولا تضجره مسئلة السائلين أذنا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلج
في الدعاء وليعظم المسئلة فإن الله لا يعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفقة اللهم لا ترد الجميع من
أجلي وقال بكر الزنى قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم .
(الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والحلق والطواف)

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الخيل
وإيضاع الأبل كما يتأده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإيضاع
الأبل وقال : اتقوا الله وسيروا سيراجيلا لا تطشوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما ^(١) » فاذا بلغ الزدلفة اغتسل لها
لأن للزدلفة من الحرام فليدخله بفسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ للزدلفة قال اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة
تسألك حوائج مؤتلفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيت ثم يجمع بين المغرب والعشاء
بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للمغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران
ظاهر وتكليف لإيقاعها في الأوقات لإضرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدي
النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فإن يحوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الأبل نك وصحه من حديث أسامة بن زيد
عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الأبل وقال لك ليس البر بإيجاف الخيل والإبل
وللبخاري من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاع .

في المطالعة أن العبد إذا
أراد أن يطالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعية النفس
وقلة صبرها على الذكر
والتلاوة والعمل
فتستروح بالمطالعة
كما تستروح بمجالسة
الناس ومكالمهم
فليتفقد التفتن نفسه
في ذلك ولا يستحل
مطالعة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
ويراعى الإفراط فيه
فاذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانتابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأيد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرزق بالمطالعة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فإن
الله تعالى يفتح عليه باب
الفهم والتفهيم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من صورة
العلم فللعلم صورة ظاهرة
وسر باطن وهو الفهم
والله تعالى به على

هذا مفارقة النفل للفرس في جواز أدائه على الراحة لما أومأنا إليهم من التبعة والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو بيت نيسك ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبيت عليه دم وإحياء هذه الليلة الشريف من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم إذا اتصف الليل أخذ في التأهب للرحيل ويزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة قريباً يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافاً بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم يخلص بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى للشعر الحرام وهو آخر للمزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والقمام أبلغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي عسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلاً أسرع في المشي ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فليبي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معها يوم النحر حتى ينتهي إلى جملة العقبة وهي على عشرين مستقبلاً القبلة في الجادة والمرى مرتفع قليلاً في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلاً القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخاصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح نفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة أفضل من مشاركة سنة في البدنة والبقرة والضأن أفضل من المرقاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبشى الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء (١) وقال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحية من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالمرجاء والجدعاء والعنقاء والجرباء والشرقاء والخرقاء وللقابلة والمدايرة والعنقاء والجدع في الأنف والأذن للقطع منهما والعنق في القرن وفي نقصان أنفوائهم والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والعنقاء المهزولة التي لا تنق أي لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والأصبع يستحب له إمرار الموصى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحلله كل المخطورات إلا النساء والعبد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كواصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيداً بعلقة الأحرام فلا يحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الأحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الأحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبشى د من حديث عبادة بن الصامت وت من حديث أبي أمامة قال ت

شرف القهم بقوله
- قهمناها سليمان
وكلا آتيناهما كواحدة
أشار إلى القهم بمزيد
اختصاص وتميز عن
الحكم والعلم قال الله
تعالى - إن الله يسمع
من يشاء - فإذا كان
للسمع هو الله تعالى
يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرزق
بمطالمة الكتب من
التيان فصار ما يفتح
الله تعالى بمطالمة
الكتب على معنى
ما يرزق من السموع
يركة حسن الاستماع
ليتفقد العبد حاله
في ذلك ويتعلم علمه
وأدبه فانه باب كبير
من أبواب الخير وعمل
صالح من أعمال الشايع
والصوفية والطهارة
الزاهدين للتبتلين
لاستفتاح أبواب
الرحمة وللمزيد من كل
شيء ينفع سلوك الآخرة
[الباب الثالث في بيان
فضيلة علوم الصوفية
والإشارة إلى أعمودج
منها]

حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب

مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليبع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى قد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يبعد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحدا التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع التبع ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ ففي الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غديرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثاني من العيود زالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حبات فاذا تمداها انحرف قليلا عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على المصطفى ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كرمي الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي بها ولا يبرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبين تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمي في هذا اليوم إحدى وعشرين حصة كالיום الذي قبله ثم هو غير بين للقيام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه للبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك البيت والرمي إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام في مسجد الحيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة^(٣) فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع)

من أراد أن يتم قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ومحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجمرات ثم التيمم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبى ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد

غريب وغير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه خ ووصله من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم التحريين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت بمنى د في الراسل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسندت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف وللرسل صحيح الإسناد ولأبي داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم جمع هجعة الحديث .

السروردي رحمه الله قال أنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن ابن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا سفيان بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحموس ابن حكيم عن أبيه قال سألت رجلا النبي عليه السلام عن الشر فقال «لا تسألوني عن الشر وسألوني عن الخير» يقولها ثلاثا ثم قال «إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خير العلماء» فالعلماء أدلاء الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وبقاء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفة وحملة عظم الأمانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج

العباد إلى الزهد
في الدنيا لأنهم
يحتاجون إليها لأنفسهم
ولغيرهم فسادهم فساد
منعد وصلاحيهم صلاح
منعد . قال سفيان
ابن عيينة : أجهل
الناس من ترك العمل
بما يعلم وأعلم الناس
من عمل بما يعلم
وأفضل الناس أخشعهم
لله تعالى وهذا قول
صحيح بحكم بأن
العالم إذا لم يعمل بعلمه
فليس بعالم فلا يترك
تشدقه واستطالته
وحذاقته وقوته في
الناظرة والمجادلة فإنه
جاهل وليس بعالم إلا
أن يتوب الله عليه
بركة العلم فإن العلم
في الاسلام لا يضيع
أهله ويرجى عود
العالم ببركة العلم ، والعلم
فريضة وفضيلة
فالفرضة ما لا بد
للإنسان من معرفته
ليقوم بواجب حق
الدين والفضيلة ما زاد
على قدر حاجته مما
يكسبه فضيلة في النفس
مواقفة للكتاب
والسنة وكل علم

تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتناء بالطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل
ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قبل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم
فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أطأ بهما بيت
ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يده من غير استنابة
إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين
والعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ماء زمزم لما شرب له » (١) أي يشفي ما تصد به .
(الجملة التاسعة في طواف الوداع)

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليجز أو لا أشغاله وليشدد رحاله وليجعل
آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كسابق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه
صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت
بيتك والمبدع عبدك وابن عبدك وابن أمك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك
وبلقتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضية عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن
قبل تباعدي عن بيتك هذا أو أن انصرافي إن أذنت لي غير مستقبل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك
ولا عن بيتك اللهم أحميني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن من قلبي وارزقني طاعتك أبدا ما بقيتني
وأجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام
وإن جعلته آخر عهدي فوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .
(الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من وجد سعة
ولم يقد إلى قد جفائي » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لا يهيمه إلا زيارتي كان حقا على الله
سبحانه أن يكون له شفيعا » (٤) فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه
كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار
وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليقتل قبل الدخول من بر الحرة ولتطيب وليلبس أنظف ثيابا فإذا
دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بحجب النبركعتين ويجعل
عمود النبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة
المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک
من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن
القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد
ابن هشام الروزي (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني
من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يقد إلى قد جفائي ابن عدي والدارقطني في
غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم
يزرن قد جفائي وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث
أنس مامن أحدهم أمي له سعة ثم لم يزرن فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لا يهيمه إلا
زيارتي كان حقا على الله أن يكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا منقذ البشرية يا خير الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد التمر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كما ذكرك الله اكرهون وكما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استغفرك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمر الدين تبعا في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجرا كما الله خير ما جزى وزير نبي عت دينة ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة ويحمد الله عز وجل ويمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق - ولولاهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيم - اللهم إننا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرنا وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا متعترفين بخطايانا وتقصيرنا كتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفضنا بمنزلة عندك وحقه عليك اللهم اغفر للهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخرا العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصل فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

(١) حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زباله في تاريخ المدينة أن طول رمانق المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان .

لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزاد الإنسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يبع الإنسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للشمس قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر العسكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو طائفة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

أن يأتي أحدا يوم الخميس ويזור قبور الشهداء فيصلّي الفداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويصود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويזור قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويזור قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله بالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عند حمزة (١) ويأتي برأريس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها (٢) ويأتي مسجد القنص وهو على الحندق وكذا يأتي سائر المساجد وللشاهد ويقال إن جميع الشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب منها (٣) وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عند حمزة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه نزل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو المهن أو بئر جمل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئر رومة متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر رومة وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بائنين فابتعتها فبعتها لثقي والفقيه وابن السيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البقوي والطبراني من حديث بشير الأسدي قال لما قدم المهاجرون للمدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن ولطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كأن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها وفسائسها وشهواتها الخفية محرم مباني الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا وما لا يصلح العبد إلى الفرض إلا به صار فرضا وهو بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي أصل القتل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يطم الفرق بين لمة الملك ولة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت . وقال سهل ابن عبد الله هو طلب

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ^(٢) » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتي القبر الشريف ويعبد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصورة في المسجد فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل آخر العهد بنبينا وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة وسر رجوعي إلى أهلى ووطنى سالماً بأرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع للساجد الثمين للمدينة ومكة فيصل فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ^(٣) » وفي بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته يحرك الله يديه ويقول اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئسة فذلك هو السنة ^(٤) ولا ينبى أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقصد للمسجد أولاً وليصل ركعتين فهو السنة ^(٥) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توباً توباً لربنا أو باً لا ينادر علينا حوباً فإذا استقر في منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوماً فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرًا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زباله ضعيف وحديث بثر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من يوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بثر السقيا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتنوني بوضوء فلما توضع قام الحديث . وأما بثر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بثر جمل الحديث وصله ع وعلقه م وللشهور أن الأبار بالمدينة شعبة وقندوى الدارمى من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا على صبيح قرب من آبار شقى الحديث وهو عند دخ دون قوله من آبار شقى ^(١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تقدم في الباب قبله ^(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم في الباب قبله ^(٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر ومازاده في آخره في بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه المحاملى في الدعاء باسناد جيد ^(٤) حديث إرسال للسافر إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بئسة فذلك هو السنة ^(٥) حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا للمدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلاً أى عشاء كي نغتسل الشئمة ونستحب للنية ^(٥) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة.

علم الحال بمعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » نصار علمه فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتب بالصحة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقرين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم وراث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يجعل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له أن يحصل برأيه

ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمة وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللغو والحوض في المعاصي لما ذلك علامة الحج البرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتَعْظِيم شعائره وقد روى في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للزخوة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للنسبة وقراؤهم للسمعة (١) » وفي الخبر إشارة إلى جملة أفاضل الدنيا التي يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يملأه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه للسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصي بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه (٢) » ولست أقول لأهل الأجرة أو يحرّم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرّو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا (٣) » فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى لتيسر لها الارضاع بتلييس حالها عليهم . الثاني : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادقون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأشراف القاصدين في الطريق فإن تسليم المال إليهم إغانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كإغانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التغل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إغانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفي الاقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين يبذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فإنه لو قصد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والاتفاق من غير تقتير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للزخوة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عبيان الصابوني في كتاب الماتنين فقال نصح أغنياء أمي للزخوة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للنسبة وقراؤهم للرياء والسمعة (٢) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة للوصي بها وللنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حق من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يفرّو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن .

إذ هو جاهل بما له وعليه في ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليحييه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض لمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والالتقياد في الإسلام ولا يحبك في صدره شيء فهو سالم فإن حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدح في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجرّه إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب . وقال الشيخ أبو طالب للكي رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الإسلام لأنها اقترنت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأعلى بالاسراف التمتع بأطياب الأطعمة والترفيه بشرب أنواعها على عادة الترفين فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكام نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم «الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل له يا رسول الله ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) الرابع: ترك الرفق والفسوق والجدال كأنطق به القرآن والرفق اسم جامع لكل لغو وخنى وخفى من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يبيع داعية الجماع المحذور والداعي إلى المحذور محذور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو البالغة في الخصومة والمارة بما يورث الضغائن ويغرق في الحال المهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رقت فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والمارة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا همل محبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس: أن يعجز ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للججاج للشيء بكل خطوة بخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل وما حسنات الحرم؟ قال الحسنة بمائة ألف والاستجاب في الشيء في الناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق وإن أضاف إلى الشيء الاحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه الشيء فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل الركوب له أفضل كأن الصوم للمسافر أفضل للمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء عن العمرة أي شيء فيها أو يكثرى حمارا بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكرام أفضل من الشيء وإن كان الشيء أشد عليه كالأغنياء فالشيء له أفضل فساكنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى الكسارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجميع بين مشقة النفس وتقصان السالك ذكرا غير بعيد فيه . السادس: أن لا يركب إلا زاملة أما الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعنر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان الحمل يؤذيه والثاني اجتناب زى الترفين والتكبرين «حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم» (٢)

(١) حديث الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما بر الحج؟ قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد (٢) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رجل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذى في الشبائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر أن علم التوحيد داخل في ذلك لأن أولها الشهادتان والاخلاص داخل في ذلك لأن ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الأقاويل أكثرها ما يسع المسلم جهله لأنه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين الاستفادة من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الأشياء ولو كانت هذه الأشياء فرضت عليهم لمعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميل في هذه الأقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح

وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه ومماثله^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم»^(٢) وقيل إن هذه الهامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجواقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الثرى والمحمل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا لم من الحجاج. السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الثينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان التكبرين للترفين ويخرج عن حزب الضعفاء ولما كان وخصوص الصالحين قد أمر صلى الله عليه وسلم بالشمث والاختفاء^(٣) ونهى عن التتم والرفاهية^(٤) في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث «إنما الحاج الشمث التفت»^(٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوني غشا غبرا من كل فج عميق^(٦) وقال تعالى - ثم ليقتضوا نفثهم - والتفت الشمث والافرار وقضاؤه بالخلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يحتجب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف كانت على العموم فقد روى أنه عليه السلام كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمراء على الأتارب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم^(٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل. الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قصود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»^(٨) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية بروحها بذلك فهو سنة^(٩) وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكثرى بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لافي ميزان للكارى وكل من آذى يهجة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالشمث والاختفاء البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حنيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشوشنوا واتصلوا وامشوا خفا وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإفراط ولأحمد من حديث معاذ إياك والتتم الحديث (٥) إنما الحاج الشمث التفت ت. من حديث ابن عمر وقال غريب (٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار يتي قد جاءوا غشا غبرا من كل فج عميق الحاكم ومعه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمراء على الأتارب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم ومعه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقال مشى قليلا وثاقه تقاد.

مالا تطيق طولب به يوم القيامة . قال أبو الدرداء ليعبر له عند الموت بأيتها البعير لا تخصمى إلى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حري أجر فلباع حق الهداية وحق السكاري جميعا وفي نزوله ساعة تزوج الهداية وسرور قلب السكاري . قال رجل لابن المبارك أحمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجلال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا . التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجهد أن يكون من معين النعم ونفيه وليأكل منه إن كان تطوطا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يظم شعائر الله - إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من اللبقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكفه ولترك الكاس في شرائه قد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون الكاس فيمن الهدى والأضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاها ثمنا وأتقنه عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضي الله عنهما أهدى بخيئة فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعهما ويشتري بشمها بدنا فنهأ عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثة دنانير قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزيك النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بحمال التعظيم فنه عز وجل فلن ينال الله لحومها ولأدماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج (٢) » والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حنة وكل قطرة من دمها حنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « استنجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة (٥) » . العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثة دنانير فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهما ويشتري بشمها بدنا فنهأ عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه د وقال أخرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج واستغربه و . وك وصححه والبرار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر أي الحج أفضل (٣) حديث عائشة ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال بخ إنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حنة وكل قطرة من دمها حنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا . ك وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حنة وفي رواية للبيهقي بكل قطرة حنة قال خ لا يصح وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها لقاطمة .

[١] (قوله استنجدوا الحج) هذا الحديث لم يخرج في العراق وهو ليس في نسخة الشرح فله لم يكن في نسخة .

للشيخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا فمروا عن ساق الجد في طلب العلم للفتراض حتى عرفوه وأقاموا الأمور التي وخرجوا من عبدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها . قال بعضهم من يطبق مثل هذه الخطابة بالاستقامة إلا من أيد من الشهادات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالثبوت يرهان عظيم كما قال تعالى - ولولا أن تبنتك - ثم حفظ في وقت الشهادة ومشافهة الخطاب وهو للزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله - فاستقم

فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ويجالس الله والفقلة مجالس الله كروا القطة .

(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة

وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعنى فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق السانقة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الرحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم اهتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تدكرة للتذكرو عبارة للمعتبر وتنبية للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتيحها حق إذا افتتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتزهد عن الشهوات والكف عن اللذات والاعتصام على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا الله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون - فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله عز وجل وقروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة الرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (١) » يعني الحج « وسئل صلى الله عليه وسلم عن السامعين فقال هم الصائمون (٢) » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فحرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواله حرما لبيته ففخما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضع على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعنا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكبين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزويده عن أن يغربه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأنهم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والترديد في الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجه مفهوم وللمقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات النسي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبوداود من حديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواء الطبراني بانظ إن لكل أمة سياحة و سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نهر العدو وللبهيقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إنني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السامعين فقال هم الصائمون البهيقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كما أمرت - ولولا هذه القمامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها . قيل لأبي حفص أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « استقيموا ولن تحصوا » وقال جعفر الصادق في قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - أي انقصر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . قال قلت يا رسول الله روى عنك أنك قلت شيئا سورة هود وأخوانها فقال نعم قال قلت له ما الذي شريك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات الشهادات خطوب بهذا الخطاب وطول بمحافل الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية للقرّيون منهم الله تعالى من

ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتناء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقي والالتقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « لبيك بحجة حقا تبدا ورقا (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الالتقياد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التبعات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفتنت لهذا فهبت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدرة المجهول عن أسرار التبعات وهذا التقدير كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فأنما ينبعث بعد الفهم والتحقيق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قاصده قاصدا إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده للضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة القانية في دار الدنيا لا تنبأ لقبول نور النظر إلى وجهه عز وجل ولا تطبيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به تصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإبصار ولكنها قصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق إليه المجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لئيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما العزم : فليعلم أنه يزمه قاصدا إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وإن من طلب عظيما خاطره عظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه ببدا عن شوائب الرياء والسمة ولينحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وإن من أخش الفواحي أن يقصد بيت الله وحرمة والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه وإخلاصه بإجتباب كل ما فيه رياء ومهمة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة العاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايمه ينادى عليه ويقول له إلى أين توجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستبين به ومهمل له أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فبرذك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع للعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما ورامك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان للسافر وماله على خطر إلا من وفى الله سبحانه ولتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث لبيك بحجة حقا تبدا ورقا تقدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم
أهمهم طلب التهوض
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .

قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فان
نفسك متحركة في طلب
الكرامة وربك يطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر غفل
عن حقيقته كثير من
أهل السلوك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والتجدين سمعوا بسير
الصالحين للتقدمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا نفوسهم
لا تزال تتطلع إلى شيء
من ذلك ويحبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولم أحدم يقي
منكسر القلب متبها
لنفسه في حمة عمله حيث
لم يكشف بشيء من
ذلك ولو علوا سر
ذلك لكان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

والله الصبر فلا ينبغي أن يفشل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال وإذا أحسن من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعناه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لاحيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير . وأما الراحة : إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له السواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه الشقة ولتذكر عنده للركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنابة التي يحمل عليها فان أمرا للحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة هو لينظر أيا صلح سفره على هذا للركب لأن يكون زاده لذلك السفر على ذلك للركب فما أقرب ذلك منه وما يدرى له الموت قريب ويكون ركوبه للجنابة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنابة مقطوع به ويمسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر للشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويهمل أمر السفر للستيقن . وأما شراء ثوب الإحرام : فليتذكر عنده الكفن وله فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوب الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فسكنا لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه غبط كما في الكفن . وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهاى أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين توجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستمضوا قهضوا وقطموا الملائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى منام ويسمدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله في الارتهال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته ولبرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته النية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا إليه إذ قال جل جلاله - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله - . وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات ولتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ومن انقراذه عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخشى أن يقال لك لا ليك ولا سمعديك فكف بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكللا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر قال صفيان بن عيينة حج على بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فقيل له لم لا تلبى فقال أخشى أن يقال لي لا ليك ولا سمعديك فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يترهبه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد ابن أبي الخوارى كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا

يخرج على بعض
المجاهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزاد بما يرى
من خوارق العادات
وآثار القدرة فينا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواحي
الهوى وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الحجاب
ومن كشف بصرف
اليقين اعتنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن المراد منها
كان حصول اليقين
وقد حصل اليقين فلو
كشف هذا للرؤى
بصرف اليقين جنى
من ذلك ما الزاد فينا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق العادات
لهذا للوضع لاستغناءه
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للآخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

فأخذته العشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرظلة بنى إسرائيل أن يقولوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سمعديك حتى ترد ما في يديك فإنا نؤمن أن يقال لنا ذلك ولينذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية في الليقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منتقلين إلى مقرين ومقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الليقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا . وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خالبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبا فالكرم عظيم والبر رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وتمام المستجير اللانذ غير مضيع . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليغته إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آمليين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذنين في الدخول ومصرفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والهمة ما فصلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه باللائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تنظرن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما يبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت للعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف اللائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء بيمينتك فمن غدر في البايعة استحق القتل وقدرى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه^(٢) » . وأما التعلق بأستار الكعبة والاتصاق بالملتزم : فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمحاسة ورجاءا للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لاني البيت وتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب الغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنبت إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تخدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو .

صرف اليقين بصير
واسطة من رؤية
قدرة فان فيه آفة
وهو العجب فأغنى
عن رؤية شيء من
ذلك سبيل الصديق
مطالبة النفس
بالاستقامة في كل
الكرامة ثم إذا وقع في
طريقه شيء من ذلك
جاز وحسن وإن لم يقع
فلا يزال ولا ينقص
بذلك وإنما ينقص
بالاخلال بواجب حق
الاستقامة فليعلم هذا
لأنه أصل كبير للطالبيين
فالعلماء الزاهدون
ومشايخ الصوفية
والمقربون حيث
أكرموا بالقيام بواجب
حق الاستقامة رزقوا
سائر العلوم التي أشار
إليها للتقدمون كما
ذكرنا وزعموا أنها
فرض فمن ذلك علم
الحال وعلم القيام وعلم
الخواطر وسنشرح علم
الخواطر وتفصيلها في
باب إن شاء الله تعالى
وعلم اليقين وعلم
الإخلاص وعلم النفس
ومعرفتها ومعرفة
أخلاقها وعلم النفس

ومعرقها من أعز
علوم القوم وأقوم
الناس بطريق
المقربين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة أقسام
الدنيا ووجود دقائق
الموى وخفايا شهوات
النفس وشرها وشرها
وعلم الضرورة ومطالبة
النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفلاً
ولباً وخلاً وأكلاً
ونوماً ومعرفة دقائق
التوبة وعلم خفي
الدنوب ومعرفة سيئات
هي حسنات الأبرار
ومطالبة النفس بترك
مالا يضي ومطالبة
الباطن بمحصر خواطر
العصية ثم محصر
خواطر الفضول ثم علم
المراقبة وعلم ما يقدح
في المراقبة وعلم المحاسبة
والرعاية وعلم دقائق
التوكل وذنوب التوكل
في توكله وما يقدح في
التوكل وما لا يقدح
والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الإيمان
وبين التوكل الخاص
المختص بأهل المرفان
وعلم الرضا وذنوب

إليه ولا مفرغ له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يخارق ذيله إلا بالصفو وبذل الأمن في المستقبل . وأما السعي
بين الصفا والروية في فناء البيت : فانه يضاهي تردد البعد فناء دار الملك جانياً وذاها مرة بعد أخرى
إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند ترده بين الصفا والروية ترده بين كفى لليزان
في عرصات القيامة ولينزل الصفا بكفة الحسنات والروية بكفة السيئات ولينذكر ترده بين الكفتين
ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والنيران . وأما الوقوف بعرفة : فذكر بماترى
من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع القرق أئمتهم في الترددات على الشاعر
اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطعمهم
في شفاعتهم وتخيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فأترم قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتحضر في زمرة الفائزين بالرحومين وحق رجاؤك بالإجابة فالموقف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العززة من أوتاد الأرض ولا
ينفك للوقوف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب طائفاً اجتمعت همهم
وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى اقتسبها أنه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم
ويدخر عنهم رحمة تفرمهم ولذلك قيل إن من أعظم الدنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى
لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرا رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صعيد واحد . وأما رمى الجمار : فاقصد به الاتقياد للأمر بإظهار الرق والبودية وانهاضاً
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إبليس لئله الله تعالى في ذلك للوضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمصيبة فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فلذلك رماه وأما
أنا فليس يمرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترعزمك
في الرمي ويغيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
والتشهير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة
ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام الله إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم
الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار ^(١) فكذلك ورد الوعد
فكلما كان الهدى أكبر وأجزاءه أوفر كان فداؤك من النار أعم . وأما زيارة المدينة : فإذا وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع
(١) حديث أنه يتق بكل جزء من الأضحية جزءاً من المضحي من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب
الضحايا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يفر لك ما تقدم
من ذنوبك بقوله لفاطمة وإسناده ضعيف .

أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينه ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصوّر خشوعه وسكينته في الشئ وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو برفع صوته فوق صوته . بذكر مامن الله تعالى به على الدين أدركوا محبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من محبته ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتت رؤيته في الدنيا وأنت من رؤيته في الآخرة على خطر وأنت ربما لاراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم « يرفع الله إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا ^(١) » فان تركت حرمة شريسته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته وليعظم مع ذلك رجائك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتت رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فإذا بلغت للسجد فاذا كراتها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصاة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا للكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرنى رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب السجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ففتش عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلقي بله فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمه في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ما تلاين يديه فكذلك فافعل فان للسّ والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمه في خيالك موضوعا في اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته ^(٢) » هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه ولاكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ^(٣) » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم انت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم النبر ومثل في قلبك طلعت البية كأنها على النبر وقد أحرق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحتمهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

- (١) حديث يرفع الله إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد (٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته ن ح ك من حديث ابن مسعود بلفظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام (٣) حديث من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد
وتعديده بما يلزم من
ضرورته وما لا يقدح
في حقيقته ومعرفة
الزهد في الزهد ومعرفة
زهد ثالث بعد الزهد
في الزهد وعلم الانابة
والالتجاء ومعرفة
أوقات الدعاء ومعرفة
وقت السكوت عن
الدعاء وعلم المحبة
والفرق بين المحبة
العامة للفرقة بامثال
الأمر والمحبة الخاصة
وقد أنكر طائفة من
علماء الدنيا دعوى
علماء الآخرة المحبة
الخاصة كما أنكروا الرضا
وقالوا ليس إلا الصبر
وانقسام المحبة الخاصة
إلى محبة الذات وإلى
محبة الصفات والفرق
بين محبة القلب ومحبة
الروح ومحبة العقل
ومحبة النفس والفرق
بين مقام المحب والمحبوب
والتريد واليراد ثم علوم
الشاهدات كعلم الهيبة
والأنس والتقبض
والبسط والفرق بين
التقبض والمهم والبسط
والنشاط وعلم الفناء
والبقاء وتفاوت أحوال

الفناء والاستار
والتجلى والجمع والفرق
واللوامع والطوالع
والبوادي والصحو
والسكر إلى غير ذلك
لواتسع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات
ولكن الصغر قصير
والوقت عزيز ولولا سهم
الفضة لضاق الوقت
عن هذا القدر أيضا
وهذا المختصر للؤلؤ
يحتوي من علوم القوم
على طرف صالح نرجو
من الله الكريم أن
ينفع به ويحمله حجة
لنا لا حجة علينا وهذه
كلها علوم من ورثها
علوم عمل بمقتضاها
وظفر بها علماء الآخرة
الراهدون وحرم ذلك
علماء الدنيا الراغبون
وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها
إلا بذوق ووجدان
كالعلم بكيفية حلالة
السكر لا يحصل
بالوصف فمن ذاقه
عرفه وبينك عن
شرف علم الصوفية
وزهاد العلماء أن العلوم
كلها لا ينظر تحصيلها
مع حجة الدنيا والآخر

في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن
والهم والخوف وأنه ليس يرى قبله حبه وأثبت في زمرة المحبوبين أم ردة حبه وألحق بالمطرودين
وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تخافيا من دار التورور وانصرفا إلى دار
الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من
أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لئله الله فإذا ظهر
ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوعك أن يكون حظه من بفره الفناء والتعب
نمود باقه سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه للترسل الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حق اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من
القصص والأخبار واتضح بمسالك النهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال
والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من التورور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه
الله ومن ابتغى العلم في غير ما ضله الله هو جبل الله التين ونوره البين والعروة الوثقى وللمتصم الأوفى وهو
الهيض بالتليل والكثير والصغير والكبير لا تنقض عجايبه ولا تنهاى غرائبها لا يحيط بفوائده عند أهل
العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة التردد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما صممه الجن
لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - قالوا إنا صمنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا ولن نشرك
بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل
به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - ومن أسباب حفظ في القلوب والمصاحف
استدامة تلاوته والمواطبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة
والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول :
في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة
عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى (١) »
وقال صلى الله عليه وسلم « ما من شئيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره (٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طيب من حديث
عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن مسعود (٢) حديث ما من شئيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك
ولا غيره روى عبد الملك بن حبيب عن رواية سعيد بن مسعود ومرسلا للطبراني من حديث ابن مسعود
القرآن عاف مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرءوا القرآن فإنه يحيى يوم القيامة شيعا لصاحبه .

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وم به راضون » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر اللوت » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » (٩) الآثار : قال أبو أمامة الباهلي أقرءوا القرآن ولا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يذب قلبا هو وطء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاشروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا أقرءوا القرآن فأنتم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنة أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعبجه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام قلت يارب ما أفضل ما تقرب به للتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بفهمهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد وأحمد والدارمي والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه مخ من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن ضريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى و . ك من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر اللوت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته . حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد .

بحقائق التقوى وربما كان عبدة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجعلت النفوس على عبدة الجاه والرفعة حتى إذا استشمرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على العربة والأسفار وتعدد الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع عبدة الدنيا ولا تكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم فضل علم علماء الآخرة حيث يكشف النقاب إلا لأولى الأبواب وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسموه قط وقال الفضيل بن عياض
 ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج
 الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهر مع
 من يسهر ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل
 الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من تشر مصحفا حين يصلى الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله
 عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا وروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وقال اقرأ على القرآن قرا عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى -
 الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر
 وما يقول هذا جر (١) وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ
 خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي
 ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما هنأ
 أحد نساك به فديده إلى المصحف ووضع على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله
 عنه ثلاث يزدن في الحفظ وينهين البلم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة التافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلغنه وقال ميسرة القريب هو القرآن في جوف الفاجر
 وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة
 الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط
 ثم عاد قرأ قيل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب
 القرآن يستلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف
 بلبه إذا الناس ينامون وبناهاره إذا الناس يفرطون وبخزنه إذا الناس يفرحون ويكائه إذا الناس
 يضحكون وبصمته إذا الناس يغوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن
 يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا محاربا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال
 صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن
 ما نهاك فان لم ينك فليست تقرأه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل
 محارمه (٤) » وقال بعض السلف إن البعد ليفتح سورة فتصل عليه الملائكة حتى يفرغ منها
 وإن البعد ليفتح سورة فتلغنه حتى يفرغ منها قيل له وكيف ذلك فقال إذا أحس حلاها
 وحرم حرامها صلت عليه وإلا لغته . وقال بعض الطهارة إن البعد ليتلو القرآن فيلغنه نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على قرأ عليه - إن الله
 يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
 أسفله لمغروق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا جر ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد ورواه
 البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة
 وكذا ذكره ابن اسحق في السيرة بنحوه (٢) حديث أكثر منافق أمتى قراؤها أحمد من حديث
 عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٣) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك
 فليست تقرأه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث ما آمن بالقرآن من
 استحل محارمه ت من حديث صحيح وقال لبس إسناده بالقوى .

الزهاد لأنهم أعقل
 الخلق . قال سهل بن
 عبد الله التستري
 للمقل ألف اسم ولكل
 اسم منه ألف اسم
 وأول كل اسم منه
 ترك الدنيا . حدثنا
 الشيخ الصالح أبو الفتح
 محمد بن عبد الباقي
 قال أنا أبو الفضل
 أحمد بن أحمد قال
 أنا الحافظ أبو نعيم
 الأصفهاني قال حدثنا
 محمد بن أحمد بن محمد
 قال حدثنا العباس
 ابن أحمد الشاشي قال
 حدثنا أبو عقيل
 الوصافي قال أنا عبد الله
 الحواس وكان من
 أصحاب حاتم قال دخلت
 مع أبي عبد الرحمن
 حاتم الأصم الرى ومعه
 ثلاثمائة وعشرون رجلا
 يريدون الحج وعليهم
 الصوف والزمرقات
 ليس معهم جراب
 ولا طعام فدخلنا الرى
 على رجل من التجار
 متسك بحب التفشين
 فأضافنا تلك الليلة فلما
 كان من القد قال لحاتم
 يا أبا عبد الرحمن ألك
 حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحل وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه يثنيه ثم الدقل ^(١) وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يا نبيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقدم لأجله وتقرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتاب أنزلته إليك انظروا فصلت لك فيه من القول وكما كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصني إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات إليه أن كبوها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أجهلتي أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القاري وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده بجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في القراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء خمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فمشر حسنة وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » ^(٢) وذلك لأن الزيادة عليه تمنحه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع ^(٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهراً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن الحديث تقدماً

في العلم (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة)

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو

وصححه ت (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن

في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

أعود قتها لانهو طيل
قال حاتم إن كان لكم
فيه عليل فيادة
الفتية لها فضل والنظر
إلى الفتية عبادة فأنا
أيضاً جئ معك وكان
الطيل محمد بن مقاتل
قاضي الري فقال
سربنا يا أبا عبد الرحمن
فجاءوا إلى الباب فإذا
باب مشرف حسن
فبقى حاتم متفكراً
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فإذا دارقوراء
وإذا بزق ومنعة وسنور
وجمع فبقى حاتم متفكراً
ثم دخلوا إلى المجلس
الذي هو فيه فإذا بفرش
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
غلام ويسده مذبة
فبعد الرازي يسأله
وحاتم قائم فأوماً إليه
ابن مقاتل أن أقعد
فقال لا أقعد فقال له
ابن مقاتل لعل لك حاجة
قال نعم قال وما هي قال
مستقلاً سألك عنها قال
سأني قال نعم فاستنوا
جالسا حتى أسألكها
فأمر غلامه فأسندوه
فقال له حاتم عليك

هذا من ابن جنت به
قال الثقات حدثوني
به قاله عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال وأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم قضا
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منعه
أكثر كانت له النزلة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين وقدم
لآخريته كان له عند الله
النزلة أكثر قال حاتم
فأنت بمن اقتديت بالنبي
وأصحابه والصالحين أم
بمرعون ونمرود أول
من بنى بالحبس والأجر
يا عطاء السوء مثلكم
براه الجاهل الطالب

(١) حديث تهمز القرآن على صبعة أجزاء ده من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ على حزبي من القرآن قاله أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تهمزون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب الفصل وفي رواية للطبراني فأننا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهمز القرآن قالوا كان يهمزه ثلاثاً فذكره مرفوعاً وإسناده حسن .

يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءا وإلى أقسام آخر . الخامس الترتيل : هو المستحب في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفسر والترتيل معين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفا حرفا (١) وقال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هزيمة ، وقال أيضا لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهزيمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبناكوا » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٣) وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليكن قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والوائق والعهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجه فيحزن لا محالة ويكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليكن على قد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم للصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك إذا جمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج ستجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - خرّوا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك السبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى - ويخرون للأذقان يكون ويزيدم خشوعا - فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السجود فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمور تكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفا حرفا
 دن ت وقال حسن صحيح (٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبناكوا . من حديث
 سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث أبي هريرة
 (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث
 ابن عمر بسند ضعيف .

للهنيا الراغب فيها
 فيقول العالم على هذه
 الحالة لا أكون أنا
 شرامته وخرج من
 عنده فازداد ابن
 مقاتل مرضا فبلغ أهل
 المري ماجرى بينه
 وبين ابن مقاتل
 فقالوا له يا أبا عبد الرحمن
 بغزوين عالم أكبر شأنا
 من هذا وأشاروا به إلى
 الطنافى قال فسار
 إليه متعمدا فدخل
 عليه فقال رحمك الله
 أنا رجل أجهى أحب
 أن تطلقني أول مبتدئ
 ديني ومفتاح صلاتي
 كيف أتوضأ للصلاة
 قال نعم وكرامة يا غلام
 هات إناء فيه ماء فأنى
 بانه فيه ماء فعد
 الطنافى فتوضأ ثلاثا
 ثلاثا ثم قال هكذا
 فتوضأ فعد فتوضأ
 حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا
 بلغ غسل الدراعين
 غسل أربعا فقال له
 الطنافى يا هذا
 أسرفت فقال له حاتم
 فيما ذا قال غسلت
 ذراعيك أربعا قال
 حاتم يا سبحان الله أنا في
 كف ماء أسرفت وأنت

ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً . الثامن أن يقول في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفضا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح سبع وكبر وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوء سأل وإن مر بمخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه أو قلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح (١) ، فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن واجعله لى إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين (٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالصدقة » (٣) وفى الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً » (٤) وكذلك قوله عليه السلام « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحفى » (٥) وفى الخبر « لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والمشاء » (٦) وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لقلامه اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض صوته فقال الصلّام إن للسجد ليس لنا والرجل فيه نصب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاتهم لن يرضوا عنك من الله شيئاً فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركبته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير للدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية تنزيه إلا سبح مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمى بالقرآن واجعله لى إماماً وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود المظفر بن الحسين الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الثمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروى من رواية داود بن قيس مضافاً (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالصدقة كالمسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الله كره الحفى أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والمشاء رواه أبو داود من حديث البيهقى دون قوله بين المغرب والمشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل المشاء وجدها وفيه الحرب الأعور وهو ضعيف

فى هذا الجمع كله ، تسرف فلم الطافى أنه أراد بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وكتب بحار الرى وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطافى فلما دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل الكبن أعجمى ليس يكلمك أحد إلا وقطعتة قال ممي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمى قالوا أى شئ هى قال أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لأجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال سبحان الله ما أعفله فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال ساقم يا أبا عبد الله لا تعلم من الدنيا حق يكون معك أربع خصال قال أى شئ هى يا أبا عبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فسوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته (٢) » ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم فغفلني الأحوال فمر على أبي بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيه هو يسمنى ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيات من هذه السورة وآيات من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الأسرار أبعد عن الرياء والتضع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أضافت لغيره فالحير التمدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه همه ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال فافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فتمنى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا قول قراءة القرآن فى المصاحف أفضل اذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصعابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض قهواء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحفه فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إني لأصلى الصلوة وأضع المصحف بين يدي فما أطيعه حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيط مفرد غير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله شيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه مع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فسوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائقى وأنا أصح قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا إنما أعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته بوجه زيادة فيه أبو بكر البزار وصححه للقدس فى اللواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يخافت ويحمر وهو يجهر ويلا وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم فى صحيحه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله شيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله شيء ما أذن لشيء يتننى بالقرآن زاد من لشيء حسن الصوت وفى روايته كاذبه لشيء يتننى بالقرآن .

وتبذل لهم شيتك وتكون من شيتهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة . قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فينتفى العلم ممن لا يخشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول خير البغدادى الدار فلاح العلماء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أنصبه المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قبل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمستنى عن ذلك وأعجب بمن يذكر الله تعالى وهو متصف بغير صفاته بصفاء التقوى وكال الزهادة يصير الجبد راسخا فى العلم . قال الواسطى : الراسخون فى العلم هم

الذين رسخوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السرف فهم ما عرفهم
وخاضوا في بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادات
فانكشف لهم من
مدخور الخزان ما تحت
كل حرف من الكلام
من القهم وهجالب
الخطاب فنتقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
أطلع على محل المراد من
الخطاب وقال الخراز :
هم الذين تكلموا في جميع
العلوم وعرفوها واطلموا

على هم الخلائق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا يبنى
به أن الراسخ في العلم
ينبغي أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
العلم ووقف في معنى قوله
تعالى - وفاكهة وأبا -
وقال ما الأدب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإنما عني بذلك
أبو سعيد ما يفسر أول

ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم (٢) من أراد أن يقرأ القرآن فضاطربا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (٣) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود « اقرأ على » فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إني أحب أن أسمع من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان (٤) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبته لك تهيأ (٥) ورأى عيسى القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي أنت المهيم الذي نزل القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال بأمر المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولا تذكروا الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة » (٦) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتضع .

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع القهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترتي ثم التبري . فالأول : فهم عظمة الكلام وعلمه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يجز بالبشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنهه بجلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسامع الكلام عرش ولا ترى ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما أطاق لسامع كلامه كالم يطق الجبل

(١) حديث كان ينظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله . من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمرو بن . من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أنما قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد بن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع .

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حذفهم الخلق ولهذا عبر
بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل
قاف وإن اللائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل
عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل
طوره ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع
علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض
الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فنهه فقال الملك
أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس
حملة فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع
حسنه وتزيينه وبديع نظمه فزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات
يضعونها لائقه بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس
يسجرون عن حمل كلام الله عز وجل بكفه وكالصفات فصاروا بما تراجحوا بينهم من الأصوات التي سمعوا
بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة الخبوءة
في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً
ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فسكناً أن أجساد البشر تكرم وتمزج لكان الروح فكذلك
أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على للنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم
في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد للرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام
كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة
كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به
أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس
العزيرة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو
مفتاح الخزان النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يموت ودواء الأسقام الذي من سقى
منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لانتليق بطم العاملة
فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكلم فالتقارير عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن
يحضر في قلبه عظمة للتكلم ويسلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله
عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكأن ظاهر جلد المصحف وورقه
محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محبوب
عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح
لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا ليل معانيه كل قلب ومثل هذا التعظيم
كان عكرمة بن أبي جهل إذا شر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم
الكلام تعظيم التكلم ولن تحضره عظمة للتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر
ياله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن
الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين
تقته وسطوته إن أنتم بفضلوا وإن عاقب فبعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار

كلامه بآخره وهو قوله
اطلعه واطلهم الخلائق
كلهم لأن التقى حق
التقوى والزاهد حق
الزهادة في الدنيا صفا
باطنه وانجلى مرآة
قلبه ووقفت له محاذاة
شيء من اللوح
المحفوظ فأدرك بصفاء
الباطن أمهات العلوم
وأصولها فيعلم منتهى
أقدام العلماء في علومهم
وفائدة كل عالم والعلوم
الجزئية متجزئة في
النفوس بالتعليم
والممارسة فلا يغنيه
علمه الكلي أن
يراجع في الجزئي أهله
الدين هم أوعيته
نفوس هؤلاء امتلأت
من الجزئي واشتغلت
به واتقطعت بالجزئي
عن الكلي ونفوس
العلماء الزاهدين بعد
الأخذ بما لا بد لهم
منه في أصل الدين
وأساسه من الشرع
أقبلوا على الله واتقطعوا
إليه وخلصت أرواحهم
إلى مقام القرب منه
فأفاضت أرواحهم على
قلوبهم أنواراً تنبأت
بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتقت
عن حد إدراك العلوم
بمكوفها على العالم الأزلي
وتجردت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقلوبهم بنسبة
وجهها الذي يلي
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بمناسبة انفصال
العلوم باتصالها بالروح
المحفوظ والمعنى
بالانفصال انتفاشها
في اللوح لا غير
وانفصال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النفوس
فصار بين المنفصلين
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب المنزلة
يا بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار
من يصير فيأتي به
العلم مجعول في قلوبكم

ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم للتكلم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - أي بجهد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه من غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشيء قال أو شيء أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان للعظيم
الكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا ينفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في
المنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن مبادئ وبساتين ومقاصير وهرائس ودبابيح
ورياض وخانات فالحاميات مبادئ القرآن والراءات بساتين القرآن والحانات مقاصيره والمسبحات
هرائس القرآن والحاميات دبابيح القرآن وللفضل رياضة والحانات ماسوى ذلك فاذا دخل القاري
للبيادين وقطف من البساتين ودخل للمقاصير وشهد الهرائس ولبس الدبابيح وتنزه في الرياض وسكن
ضرب الحانات استغرق ذلك وغفله عما سواه فلم يهزب قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه
وهو لا يتدبره وللقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر يتمكن
من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه : لا خير في عيادة لائقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل
الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة بمن يناجيه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسييح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروي
عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتري في الصلاة فليل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقف بين يدي ربي من وجل وأني كيف أنصرف
فقد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشیطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم ديني ولكن بمنه به عز الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين عنه فما استطعتم
الله ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها وعن أبي ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تفرحهم (٢) - الآية » وقام نعيم الدار ليلة بهذه الآية - أم حسب
الذين اجتروا السيئات - الآية وقام سعد بن جبير ليلة بردها هذه الآية - وامتازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنني لأنتسح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا أنفهمها ولا يكون قلبي فيها لأعد لها ثوابا . وحكى عن أبي سليمان الداراني أنه قال إنني لأتلو
الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف
أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي
كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا قول أئمت نفسي مقام الأجراء فانا أعمل مياومة ومجاعة ومشاهدة ومسانة

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروي في معجمه
من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبي ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية
بردها وهي - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ن . ه . بسند صحيح .

الخامس التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أهله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى - ليس كمثل شيء - وهو السميع البصير - وكقوله تعالى - الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر - فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتهامعان مدفونة لا تنكشف إلا للموقنين وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله ما أسر إلى رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن جريصا على طلب ذلك الفهم (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لا ثقة بأفهامهم ولم يثروا على أغوارها . وأما أهله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه كل شيء . إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيظل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرايتم ما تعبدون ، أفرايتم ما تمنون ، أفرايتم الماء الذى تشربون أفرايتم النار التى توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحلث والملى بل يتأمل فى التلى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيف تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرهائهم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرهائهم إلى ما ظهر فيها من الصفات الذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجمل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أوم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع . وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام : فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والرسول إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا سمع نصرته فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين : كعاد وتمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته وقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واعتبر بما أمهل فربما تدركه النعمة وتفد فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسأر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رقة فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب

(١) حديث على ما أسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه من رواية أبى جحيفة قال سألتنا عليا قلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائى قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يهده إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر التفهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصدقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى ينفطكم
أو يضركم فالتأدب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
تقاضى جيلاتها وقمها
بصرى السلم فى كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن علم وقرب
وتطرق إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيتحفظ بالحق للحق
أخبرنا شيخنا
أبو النجيب عبد القاهر
السهروردى إجازة قال
أخبرنا أبو منصور بن
خيرون إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن على
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
الحباس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن للروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
حسان بن عطية بلفظ
أن عطاء بن أوس
رضى الله عنه نزل
منزلا فقال اتقونا

بالسفرة نصبت بها
فأنكر منه ذلك فقال
ما تكلمت بكلمة منذ
أسلمت إلا وأنا أخطئها
ثم أزمها غير هذه
فلا تحفظوها على فشل
هنا يكون التأديب
بآداب الروحانيين
مكتوب في الإنجيل
لا تطلبوا علم ما لم تعلموا
حق تعلموا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الشیطان ربما يسوقكم
بالعلم قلنا يا رسول الله
كيف يسوقنا بالعلم قال
يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال
الصيد في العلم قائلاً
وللعمل مسوقاً حتى
يموت وما عمل ». وقال
ابن مسعود رضي الله
عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم بالحشية
وقال الحسن إن الله
تعالى لا يحب أذى علم
ورواية إنما يحب أذى
فهم ودراسة علوم الوراثة
مستخرجة من علم
الدراسة ومثال علوم
الدراسة كاللبن الخالص
السائق للشاربين

مبين - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً -
وقد لك قال على رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين نبيراً من تفسير فائحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه
التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في
أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
ماذا قال آتاه أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هي الوانغ التي سند كرها في موانع الفهم
وقد قيل : لا يكون للرب مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويرف منه نقصان من اللزيد ويستغنى
بالمولى عن الصيد . السادس : التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن
لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال عليه السلام « لولا أن
الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت (١) » ومعاني القرآن من جملة اللسكوت وكل
ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من اللسكوت. وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون
الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بأخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرآن ليصرفهم
عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على تديد الحرف بخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه
لهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تكشفه للعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان
مطيعاً لمثل هذا التلبس . ثانياً : أن يكون مقلداً للمذهب محمياً بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده متقدم عن أن يجاوز
فلا يمكنه أن يخطر بباله غير متقدم فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لمع برق على بصره وبدأ له معنى
من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباع منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية
إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد وبمجرد كلمات جدلية
حررها التصبون للمذاهب وألقوها إليهم فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والشاهدة بنور البصيرة
فكيف يكون حجاباً وهو منتهى للطلب وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء
على العرش التمكن والاستقرار فان خطرله مثلاً في القموس أنه للقدس عن كل ما يهجر على خلقه لم
يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانهجر إلى كشف ثاب وثالث وتواصل ولكن
يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لما قصته تقليده الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم
والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود
الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
في كتاب قواعد العقائد . ثالثاً : أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداء وهو كالخشب على للرآة فيجنع جلية الحق من أن يتجلى فيه
وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكترون وكلما كانت الشهوات أعيد ترا كما كانت معاني الكلام
أهدأ احتجاباً وكلما خفف عن القلب أهوال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه فالقلب مثل للرآة والشهوة مثل الصدأ
ومعاني القرآن مثل الصور تراءى في للرآة والريضة للقلب بإمطاة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للرآة
وقد لك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمق الديار والهرم نزع منها هبة الإسلام وإذا تركوا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرّموا بركة الوحي (٢) » قال الفضيل يعني حرّموا فهم القرآن

- (١) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى اللسكوت تقدم في الصلاة .
(٢) حديث إذا عظمت أمق الديار والهرم نزع منها هبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرّموا

وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال تعالى - إنما يتذكر أولو الألباب - فالدين آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب . رابعاً : أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعداً من النار فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول من رضى الله عنه إلا أن يؤنى الله عبداً فهمافى القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر للنقل لما اختلفت الناس فيه . السابع : التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه للنهي وللأمر وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليخبر به وليأخذ من تضاعف ما يحتاج إليه فإما من قصة في القرآن إلا وسياقها لقائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمه ولذلك قال تعالى - ما ثبت به فؤادك - فليقدر العبد أن الله ثبت قلوبهم بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لا يتظار نصر الله تعالى وكيف لا يندر هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاه وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون . وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القارى الواحد مقصود لئلا يلساثر الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عملاً بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويتمثل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده تدبرها في الصلوات وتقف عليها في الخلوات وتنفذها في الطاعات والسنن الثابتات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كما أن النيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحدهما القرآن إلا قام زيادة أو نقصان قال تعالى - هو شفاه ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . الثامن : التأثير وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضيق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل - وإن أنفقنا - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى - وقوله تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدى بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا أكثر حزنه وقل فرحه وأكثر بكاءه وقل ضحكته وأكثر نصيبه وشغله بركة الوحي رواء ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الهنية للطلوبة من اللبن وللأية في اللبن جسم قام به روح الهنية وللأية بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أو من حكان ميتاً فأحييناه - أى كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مباني الإسلام والإسلام بعد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد يقال للتوحيد وللعرفة وللشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروع علوم العلوم الإسلام علوم الإنسان وعلوم الإيمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية للتلاوة فند الوعيد وتفيد للفرقة بالشروط يتضائل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع ووعد للفرقة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة بنض صوتة وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالاتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند وصف النار ترتعد فرائضه خوفا منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ طي (١) قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - رأيت عيني تذرطان بالدمع فقال لي حسبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استفرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الحائفين من خير مفعيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الأحوال يخرج عنه أن يكون حاكيا في كلامه فاذا قال - إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم - ولم يكن خائفا كان حاكيا وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - ولم يكن حاله التوكل والإناة كان حاكيا وإذا قال - ولنصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر أو المزعجة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى - ألا لعنة الله على الظالمين - وفي قوله تعالى - كبرمقا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون - وفي قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله عز وجل - ومنهم أमीون لا يطمون الكتاب إلا أمانى - يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل - وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو البين لتلك الآيات في السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تنب إلى ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلم له لوترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التيسير والاستغفار وللعرض عن الصلابة أريد بقوله عز وجل - فنبشروه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فيئس ما يشترون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم قوموا عنه (٢) » قال الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ طي على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فليستم تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم قوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى . بسند صحيح .

عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدينامع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الإيمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الإيمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الإيمان وللشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين إذن فوق الشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدينامنه لمح يسير لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد الظماء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله عز وجل » (١) فالقرآن يراد الاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ نائياً فاتهرني وقال جعلت القرآن على عملاً اذهب فاقراً على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهيك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فاتتهى إلى قوله عز وجل - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - (٣) قال يكفي هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو قبيح . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان قليل الجدوى بل التالى باللسان للعرض عن العمل جدير بأن يكون هو للراد بقوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى - وبقوله عز وجل - كذلك أتتك آياتنا فتنيتها وكذلك اليوم تنسى - أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تتبأ بها فان القصر في الأمر يقال إنه نسي الأمر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب لحفظ اللسان تصحيح الحروف

(١) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم النافق في كتاب فضائل القرآن (٢) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفاً لعله أراد بالمدينة وإلا فقد روي عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبوزيد قلت ومن أبوزيد قال أحد عمومي وزاد بن أبي شيبة كالصنف من رواية الشعبي مرسل وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأثير بسنده إلى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بئنا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مائة من القرآن فأتى على رجل من أحدتهم فقال مامعك يا فلان ؟ قال معنى كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٣) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فاتتهى إلى قوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - فقال يكفي هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو قبيح دن في الكبرى يوجب له وصحه من حديث عبد الله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئني يا رسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لأزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع الروي مجل أطلع الروي مجل ولاحمد ون في الكبرى من حديث مصعب عمه الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا بألى أن لا أسمع غيرها

نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الورثة والدراسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمن الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنسبة الشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزاقه الأعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر « فضل العالم على العابد كفضل علي أمي » والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والعناق وإنما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالماً بالله تعالى ذائقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل من علماء التابعين بمقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء

بالترتيل وحفظ العقل تفسيرا للماني وحفظ القلب الانماط والتأثر بالانزجار والالتفات للسان يرتل والعقل
يترجم والقلب يتعظم . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من
نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر
إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتهاال . الثانية أن يشهد
بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطفاه ويناجيه بانعامه وإحسانه لقائه الحياه والتعظيم
والاصفاء والقهيم . الثالثة أن يرى في الكلام التكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق
الانعام بمن حيث إنه منم عليه بل يكون مقصورا لم على التكلم موقف الفكر عليه كأنه مستغرق
بمشاهدة للتكلم عن غيره وهذه درجة القريين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو
درجات التافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز
وجل لحلقه في كلامهم ولا يصرون وقال أيضا وقد سأله عن حالة لحقه في الصلاة حتى خرمفتيا
عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى صممت من التكلم بها فلم يثبت
جسمي لمحاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وقوة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء كنت
أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنني أصممت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم
رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأنني أصممت من جبريل عليه السلام يلقه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أصممت من التكلم به ففندها وجدت له لغة ونسما لأصبر عنه
وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها
بالطهارة تترقى إلى مشاهدة للتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة
وتعمت به عشرين سنة وبمشاهدة للتكلم دون ما سواه يكون العبد ممثلا لقوله عز وجل - فقرأوا إلى
الله - ولقوله تعالى - ولا تجعلوا مع الله إلها آخر - فمن لم يره في كل شيء قدر أي غيره وكل ما التفت
إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل
شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه وبين
الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد وللدخ للصلحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للوقنين
والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين
شهد على نفسه هناك وقد ر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم
إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل له هذا الظلم لما بال الكفر فتلا قوله عز وجل - إن الإنسان لظالم
كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل
من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان شهد
العبد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراهها ومن شهد
القرب في العبد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في العبد أسفل مما هو فيه ومهما كان
مشاهدا لنفسه بين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في
قراءته كشف له سر للسكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يطر
عنده فأبطأ عليه حتى طلع الصبح فلقه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفرط عندي فأخلفت فقال
لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبس عنك إني لما صليت الغنمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنني
لا آمن ما يحدث من اللوت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر
من الجنة لما رلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التابعين فيهم من هو
أقوم بعلم الفتوى
والأحكام من بعضهم .
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن السيب وكان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لو نزل أهل البصرة
على قبياء لوسعهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسينا فكانوا يردون
الناس إليهم في علم
الفتوى والأحكام
ويعلمونهم حقائق
اليقين ودقائق المعرفة
وذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابعين
صادقهم طراوة الوحي
المنزل وغمرهم غزير
العلم الجمل والفصل
فتلقى منهم طائفة مجله
ومفصلة وطائفة مفصلة
دون مجله والجمل أصل
العلم ومفصلة المكتسب
بطهارة القلوب وقوة
الفريرة وكال الاستعداد
وهو خاص بالخواص
قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم

الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه الكاشفات بحسب أحوال المكاشف حيث يتلو آيات الرجا ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعمل المكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا وللسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام حيار متكبر لا ينال وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

لملك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١) وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسويين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما أهل عن ابن عباس وصائر للتفسيرين وذهبوا إلى أنه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك لما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدسه وهو مصيب في الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم (٢) قال على رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة للنقولة فاذلك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومظلمة » (٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير في معنى الظاهر والباطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فامعناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو الهرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم وماتى علمه إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها ولإخراجها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجمل فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والقامات في التعمق في تفصيلها راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والفقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف ينفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره وقد قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسا لأرباب الفهم تقدم قوله على في الباب قبله إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومظلمة تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله .

- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - وقال تعالى - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة - فلهذه السبل سابعة ولهذه الدعوات قلوب قابلة لفتحها نفوس مستعدة جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبيلها فليتها بنار الإنذار والموعظة والحداد ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريية منها لمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دماء بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاء بالحكمة فاللدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها للقرون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو العرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقايق والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم

فصارت متابة الأحوال
إجابتهن نفسا ومتابة
الأعمال إجابتهن قلبا
والتحقق بالأحوال
إجابتهن روحا وإجابة
الصوفية بالكل وإجابة
غيرهم بالبعض . قال
عمر رضى الله عنه :
رحم الله تعالى صبيا
لو لم يخف الله لم يصبه
بعض لو كتب له كتاب
الأمان من النار حمله
صرف للفرقة بمظلم
أمر الله على القيام
بواجب حق اليهودية
أداء لما عرف من حق
المظلة فاجابة الصوفية
إلى الدعوة إجابة
الحب للمحبوب على
الذادة وذهاب الصبر
إجابة غيرهم على
الكابدة والمجاهدة
وهذه الإجابة يظهر
مع الساعات أثرها
في القيام بمحافق
الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى - فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسن فسيسره
للهمسرى - قال بعضهم
أعطى الدارين ولم ير
شيئا واتقى اللغو
والسبائات وصدق

﴿اقرأوا القرآن واتمسوا به﴾ (١) وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طي "كرم الله وجهه" والذي
يشق بالحق نبيًا لتفرقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون
إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل
وهو جل الله للتين ونوره البين وشفاه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزوج فيقوم
ولا يزيع فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلق كثرة الرد (٢) الحديث وفي حديث حذيفة
«لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله فإذا
تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأجبت عليه
ذلك ثلاثا قال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل وأعمل بما فيه ففيه النجاة (٣)»
وقال طي "كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جل العلم ، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى جامع
المعوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا - يعني الفهم في القرآن . وقال عز وجل - فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - متى
ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالظن له باسم الفهم وجملة مقدما على الحكم
والعلم قبله الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رجا ومتسعا بالتأ وأن النقول من ظاهر
التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونهيه
عنه (٤) صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضى الله عنه أى أرض تغلق وأى سماء تظلى إذا
قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار في النهى عن تفسير القرآن بالرأى
فلا يخفى إما أن يكون المراد به الاتصاف على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم والمراد
به أمرا آخر ، وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :
أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك
مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل
ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم . والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل
مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
لرد الباقي فبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف
التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن
الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون

(١) حديث اقرأوا القرآن واتمسوا به ، ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقي
في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث طي والذي يشق بالحق
لتفرقن أمي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا
كان ذلك فليكن بكتاب الله فإن فيه نأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر
اقتراق الأمة بلفظ إلا إنها ستكون فتنة مضلة قلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه
نأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف
والفرقة بعده قلت ما تأمرني إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله وأعمل بما فيه الحديث دن في الكبرى
وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

الكل مسموعا . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل (١) » فان كان التأويل مسموعا كالتزويل ومحفوظا مثله لما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعلمه الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الجيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله . وأما التي فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليخرج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يخرج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس للراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى رأيه هو الذى حمل على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأشجار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة (٢) » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنمطفى - ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد القاعدة لتغريب الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يملكون قطعا أنها غير مرادة به فهذه فنون أحد وجهى النسخ من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العريية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما ينطق به ثرائب القرآن وما فيه من الألفاظ للبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العريية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتق به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط . والثرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأثر الثمن كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتينا نوحا والناقة مبصرة فظلموا بها - معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العريية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدروا أنهم بماذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم أو أنهم ظلموا أنفسهم وقوله تعالى - وأشرى بوفى قلوبهم المجل بكفرهم - أى حب المجل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا أذقناك ضعف الحياة وضعف الماتسأى ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح

بالحسن أقام على طلب الزلقى والآية قيل نزلت في أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى للوساوس والهواجس وصدق بالحسن لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسه للمبرى تفتح عليه باب السهولة في العمل والميش والأنس وأما من يخل بالأعمال واستغنى امتلا بالأحوال وكنب بالحسن لم يكن في لللكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسه للمبرى نسد عليه باب اليسر في الأعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبده سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر ونصيهم من المعرفة أكل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل جاء رجل

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما مجتهد
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضعيف اليقين يستوره
الشك قال معاذ
ليحبطن شك عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أحبط شك
الأول أعمال بره
ليحبطن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ يده وقال ما رأيت
الذي هو أقمه من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا استطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل المره
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
العلم لأنه أدعى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكال
الحظ من اليقين والطم
بالله للصوفية والعلماء

اللغة وقوله تعالى - واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير فالأهل
فيهما محذوف مضمرة وقوله عز وجل - ثقلت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى
- وتعملون رزقكم أنكم تكذبن - أي عكركم رزقكم وقوله عز وجل - آتينا ما وعدتنا على رسلك -
أي على السنة رسلك لحذف الألسنة وقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارت بالحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
أخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل - لئلا
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها للنقول النقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء - سلام على آل ياسين - أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
للكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن وقوله عز وجل - قال للآل
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها للقدم وللؤخر وهو مظنة التلطف كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى
- يألونك كأنك حفي عنها - أي يألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل
الأنفال لله والرسول - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق - أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض
بإخراجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده - لا قول إبراهيم لأبيه الآية - ومنها للبهيم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكأشياء والقرين والأمة والروح ونظائرهما قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فإن ابتغى فلا تسألني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدى بها العارف في أو ان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرين فكقوله عز وجل - وقال قرينه هذا ما لبى عتيد - ألقيا في جهنم
كل كفار - أراد به الملك للوكل به وقوله تعالى - قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
الشیطان - وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه الأمة الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقوله نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وادكر بدامة -
والأمة القامة يقال فلان حسن الأمة أي القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشرك فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم « يبعث زيد بن عمرو بن ثعلبة أمة وحده (١) » والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد.

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن ثعلبة أمة وحده ن في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء

والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الإيهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأتين به تعافوسطن به جما - فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي اللوريات أي أئرن بالحوافر تعافا . والثانية كناية عن الاظارة وهي المفيزات أصبحت فوسطن به جما جمع الشركين فأظاروا بجمعهم وقوله تعالى - فأنزلناه الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر . ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إذ لم يظهر به أنه ليل أو نهار وبأن بقوله عز وجل - إنا أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وربما بظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا ينفي فيه إلا النقل والسماح فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفعلا لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بهم ظاهر العرية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماح والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة للغي الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا جمعه في موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منبها عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى - قاتلهم بدينهم الله بأيديكم - فإذا كانوا هم للقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو للعذب وإن كان الله تعالى هو للعذب بتحريك أيديهم لما معنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم الكاشفات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إصاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العبر لو اتفقوا في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط به فقد ماتوا ولو اختلفوا لا تضيء العبر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن إلا وتحققها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسرارهم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للمطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لانهائية لما فتنفد الأبرقيل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعافاتك من عقوبتك وأعود بك منك لا أحمي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (١) أنه قبل له اسجد واقترب هو جد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى القدرات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استعياه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى التناء فأنى بقوله لا أحمي ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لما أغوار وراء هذا بنت أبي بكر بإسنادين جيدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الزاهد بن قبان بذلك فضلهم وفضل علمهم . ثم إلى أمور مسئلة يستبين بها العبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقد فقه فأنصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يظن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى الداولة ولا يفكر في منشأ هذا للرض ولو علم أن هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر وإظهاره ذلك إلى القمل تكبر حيث القصر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه حتى دون

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نوردته لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم . ثم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد ومحبيه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله للستمان لاربسواه .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل لقرآنه العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني أذكركم - ورجبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطعم الطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلالة برفع الحاجات والأمان بقوله - فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفياه وسلم تسليما كثيرا . [أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل للأثر من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعانة وغيرها ويتحرر للقاصود من ذلك بذكر أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية مأثورة وممزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة محدوفة الاسناد من الأدعية للأثورة . الباب الخامس : في الأدعية للأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائده على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكركم - قال ثابت البناني رحمه الله إنني أعلم من يذكرني ربي عز وجل فجزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرتني ذكرني وقال تعالى - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنضم من عرفات فاذكروا الله عند الشمر الحرام واذكروه كما هداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والفقر والغنى والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالعدو والأصل ولا تكن من الغافلين - وقال تعالى - ولذكرا أتاك - قال ابن عباس رضي الله عنهما : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط المشيم ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط المشيم أي في الحلية والبهمة في الشب من

للسلمين ولا يرى نفسه في مقام تميز يعجزها بمجلس فالصوفي العالم بخصوص يميز ولو قدر له أن يتلى بمثل هذه الواقعة وينصرف من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويروى أن هذا داء وأنه إن استرسل فيه بالإصغاء إلى النفس وانصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الإنابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قصد فوقه وربما أقبل على من قصد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل . فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فإذا اعتبر العبر وتفقد حال نفسه في هذا اللقاع يرى

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه » (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع » (٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » (٣) . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل فقال « أن نموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » (٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله أصبح وتمسى وليس عليك خطيئة » (٥) ، وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالعداء والعشى أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحالا » (٦) ، وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى في نفسه ذكرته في نفسى وإذا ذكرنى فى ملائكتى ذكرته فى ملائكتى وإذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هرولت إليه » (٧) ، يعنى بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا قضاة عيانه من خشية الله » (٨) ، وقال أبو الهرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائما » (٩) ، وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » (١٠) .

حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه هـ حب من حديث أبي هريرة وك من حديث أبي الهرداء وقال صحيح الإسناد (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عندى بلفظ إذا مررت برياض الجنة فارتموا وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٤) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال أن نموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب فى الدعاء والبهقي فى الشعب من حديث معاذ (٥) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله أصبح وتمسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأصبهاني فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٦) حديث لذكر الله بالعداء والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحار ورواه من حديث أنس بسند ضعيف فى الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كلوا من ابن عبد البر فى التمهيد (٧) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا قضاة عيانه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضا (٩) حديث ألا أنبئكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم الحديث ت هـ ك وصححه إسناده من حديث أبي الهرداء (١٠) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ح فى التاريخ والبرزخ فى الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبى للناسب الدينية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير للسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين وتقصان الراغبين لأورث اللال وهذه من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله للوفق للصواب .

[الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم]

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن طي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم

وأما الآثار : فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أينما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكر الله عز وجل بين نفسك وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الله ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروي « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا خفت بهم ملائكة وغشيتهم الرحمة وذكروا الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضا « ما قصد قوم مقصدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهي إذا رأيته أجاوز مجالس القادرين إلى مجالس العاقلين فأكرم رجلي دونهم فإنها نعمة تتم بها علي . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليرآون بيوت أهل الأرض التي يذكروا فيها اسم الله تعالى كما تراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فاتهم إذا غرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فإذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تتادوا هلموا إلى بيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء

الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضفاء وفي الثقات أيضا (١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا خفت بهم للملائكة وغشيتهم رحمة وذكروا الله فيمن عنده م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قصد قوم مقصدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولمه وكذلك لم أجده إسنادا (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة أو انقطاع .

الأنصاري قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني إن قدرت أن تصبح ونمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنن ومن أحيائني قد أحياني ومن أحيائي كان معي في الجنة » وهذا أثر شرف وأكل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من أحيائنا ستمة الصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الفل والنفس عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وإيمانهم قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لخدمهم في الدنيا وتركها لأزواجها وطلابها لأن منار الفل والنفس حبة الدنيا وحبة الرفة وللزفة عند الناس والصوفية

فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم بحمدونك وبعبادتك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شئ بتعذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد خورا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم (١) .

(فضيلة التهليل)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال عليه السلام « مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا لأبي هريرة « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث مامن عبد توشأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يعلى والطبرانى والبيهقى في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فاتها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى في الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وسمارهن غیری والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن في اليوم واليلة وحسبك ومحمده .

زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم للزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد يقول القائل كنست بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من السالين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب النش والغل وجرت هذه الحكاية وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وقع على أن معنى كنست بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالزبللة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها للذموم

من القل والنفس والحق
والحمد فكأنها
تكنس بنور الروح
وهذا للنفس صحيح
وإن لم يرد القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
- نزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو خنيس كيف يبقى
القل في قلوب اتلفت
بالله وانظمت على محبته
واجتمعت على مودته
وأنست بذكره إن
تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطبائع بل
كحلت بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالحلق
حجابهم عت القيام
ياحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قولا وفلا وحالات
نفوسهم فاذا تبدلت
نوت النفس ارتفع
الحجاب وحييت للتابعة
ووقعت للواقعة في كل
شيء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجبت
المحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحبكم

وقال صلى الله عليه وسلم « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك » (١) وقال
صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب هدماً قلت
يا رسول الله هذا للموت فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم » (٢) وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله غلصاً دخل الجنة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخلن الجنة
كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله قيل يا رسول الله من الذي أبى وشرد
عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله » (٤) ، فأكثرنا من قوله لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فاتها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي ثمن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قيل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نعمة » (٥) وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله » (٦)

(١) حديث لو جاء حامل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له غريب بهذا اللفظ .
ولقد مر في حديث أنس يقول الله يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة . ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلك
غلصاً من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا أبا هريرة
لقن للوثى شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسلاً (٣) حديث
من قال لا إله إلا الله غلصاً دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف (٤) حديث
لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل أمق يدخلون الجنة إلا من أبى . زادك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولا بن عدي
وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثرنا من قوله لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضاً ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير النخالي مرسلاً إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الثمال من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة للاستجابة لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولا بن عدي من
حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه قد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولا بن عدي والمستغنى من حديث أنس
ثمن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبني له بيتا في الجنة » وروى « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفة فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها (١) » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل صلى الله عليه وسلم » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي خفرت له أودعا استجيب له فإن عوضا وعلى قبلت صلاته (٢) » .

(فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبغ دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم للثلاث بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (٣) » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطايا وإن كانت مثل زبد البحر (٤) » وروى « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأبذأت من صلاة لللائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تضيء الصبح تأتيك الدنيا راغمة ضاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء والسابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى (٦) » قال الرفاعة الزرقى « كتابي ما فعلت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله من حمده

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه في الاستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفة فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمار من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه مخ (٤) حديث من سبغ دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطايا وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال تولى عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبذأت من صلاة لللائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث للاستغفر في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحا قال لابنه آمرك بلإله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح (٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء والسابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطى غريب بهذا اللفظ لم أجده

الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الإسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا - ثم اتبعوه في أعمالهم من راجد والاجتهاد في العبادة والتهجد والتواقل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا بركة المتابعة في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصنع والخوف والرافة والشفقة والتدابة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من للتكلم آتفا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعتين ثلاثين ملكا يتندرونها أيهم يكتبها أولا (١) وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات من لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» (٣) رواه بن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الدين يذكر من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمظن حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكر من صاحبه أولاً يجب أحدهم أن لا يزال عند الله ما يذكر به» (٤) وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس» (٥) وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هو خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيمن بدأت» (٦) رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور طهر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقها أو مكثر نفسه فمعتها» (٧) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٨) وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفتي الله سبحانه للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٩) وقال

(١) حديث رفاعة الزرقى كنا يومنا صلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ -
(٢) حديث الباقيات الصالحات من لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم والليلة وجب لك وصحة من حديث أبي سعيد بن ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند حسن وحسنه ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث النعمان بن بشير الدين يذكر من جلال الله وتسيحه وتكبيره وتحميده ينمظن حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه الحديث ه وك وصحة على شرط م (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول والمستغرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الاسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه م (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور طهر الإيمان والحمد لله تملأ لليزان الحديث رواه م وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي هريرة كلتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٩) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما اصطفتي الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون

والزهّد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
التابعات وأحيوا سنته
بأقصى الغايات . قيل
لمجد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والماصفون عليها
بقلوبهم وللمتصمون
بسيدهم من شرفهم
هم الصوفية وهذا
وصف تام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الاقتدار إلى مولاه حتى
يقول لا تكلني إلى
نفس طرفة عين
الكلاني كلاءة الوليد
ومن أشرف ما ظفربه
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الاقتدار
ودوام الاتجاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الاقتدار
إلا عبد كوشف باطنه
بصفاء المعرفة وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القرب وخلا سره بلاذاة
السامرة فبقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحانه الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليل صدقة وتكبير صدقة وأمر بمروءة صدقة ونهى عن منكر صدقة ووضع أحدكم القمعة في أهلها فهي له صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق فقال رسول الله ﷺ أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبيح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدا ثلاثا وثلاثين وتكبرا أربعاً وثلاثين ^(٤) » وروى بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكن بالتسبيح والتحليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستنطقات ^(٥) » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التسبيح ^(٦) وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها شد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن قالهن عند الموت لم يمه النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحانه الله العظيم ^(١) حديث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة وكه وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالوا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة ^(٢) حديث جابر من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ت وقال حسن بن في اليوم واليلة وحب وكه وقال صحيح على شرط م وصححه ^(٣) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي الحديث رواه م ^(٤) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق الحديث رواه م إلا أنه قال قال سفيان لأدري أين أربيع ولأحمد في هذا الحديث وتحمدا أربعاً وثلاثين واسنادها جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعاً وثلاثين كما ذكر المصنف ^(٥) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتحليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالأنامل فاتها مستنطقات د ت ك باسناد جيد ^(٦) حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يقول التسبيح قلت إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه وكه ^(٧) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن بن في اليوم واليلة وكه وصححه ^(٨) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شروهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالمها وهي وشيكة الرجوع سريرة الانقلاب والاضلال فانه تعالى بكمال لطفه عرفها إلى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطاً للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الاتجاه وصدق الافتقار والدعاء فلا يغفل الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يغفل عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيها ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي المالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من

التقوى بأوثق العرى
ومن الذي يهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفي فدوام
افتقار إلى ربه تمسك
بجناب الحق وليأذبه
وفي هذا الباب استغراق
الروح واستتباع القلب
إلى محل الدعاء وفي
انجذاب القلب إلى محل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستقرها
من الأقسام العاجلة
ونزولها إليها في مدارج
العلم مخوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
النائلة من الغل والغش
والحق والחסد وسائر
الذمومات فهذا حال
الصوفي. ويجمع جل
حال الصوفية شيئا من:
هما وصف الصوفية
واللهما الإشارة بقوله
تعالى - الله يجتبي إليه
من يشاء ويهتدى
إليه من ينيب - يقوم
من الصوفية خصوصا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خصوصا

وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله بن قيس أوبا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال
بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفي رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول
ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش
قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين
يصبح رضيت بأمر ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا
على الله أن يرزقه يوم القيامة (٣) » وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من
بيته فقال باسم الله قال الملك هديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله
قال الملك وكفيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى وولى لاسيل لكم إليه .
فإن قلت : لما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة
العبادات مع كثرة الشقات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمع
بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب
لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يدل عليه أيضا (٤) وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله
عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر
الأوقات هو المقيم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية ولذا ذكر
أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك
الأنس والحب فإن المرید في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى
ذكر الله عز وجل فإن وفق للمداومة أنس به وانفوس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي أن يتعجب من
هذا فإن من المشاهد في العبادات أن تذكر ثابتا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله
عنده فيجبه وقد يشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر التكلف أولا صار مضطرا
إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء
وإن كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم تمتع
الصبر عنه آخر فيصير الوجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين
سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من
المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعيا فكيف يستبعد هذا وقد
يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشمه أولا ويكابدا كله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى
لا يصبر عنه فالنفس مضادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تعود أي ما كلفتها
أولا يصبر لها طبعيا آخر ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه اقتطع من غير ذكر الله وما سوى الله

(١) حديث يا عبد الله بن قيس أوبا أباه وسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول
ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة حمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول
لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم واليلة وك من قال سبحان والحمد
الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد
(٣) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربنا الحديث دن في اليوم واليلة وك وقال صحيح الاسناد
من حديث خادم النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فقهه سعد
ابن الرزبان ضعيف جدا (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن
والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدعن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فصطبت غبطته وتخلص من السجن الذي كان يعموه عما به أنه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة (١) » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يغنى في حقه بالموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما تغنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تغنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بدموته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يمر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عندما يمنع الذكر بل عندما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لامن عالم الملكوت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢) » وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣) » وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من الشركين « يا فلان يا فلان وقد صامم النبي صلى الله عليه وسلم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً (٤) » فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأني يجيئون وقد جيفوا؟ فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما أتم أسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيئوا » والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في الشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « أراحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥) » وهذه الحالة وما أشبه هذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونفى بالخاتمة وداع الدنيا والقعود على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد على أن يحمل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يزيد لها حياته وقدهون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فانك مفارقة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال إنما قدسنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم به النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من الشركين يا فلان يا فلان وقد صامم إني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح .

بالهداية بشرط مقدمة الإجابة فالاجتناب المحض غير مطلق بكسب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتاده وفي هذا أخذ بطائفة من الصوفية رقت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذذة والعيش فيها فرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذة النازل بهم من صفو العرفان فحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرباح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين . أخبرنا أبو زرعة طاهر بن

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله عز وجل أحيا أبالك فأقدمه بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ على يا عبدي ما شئت أعطيكه فقال يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١) » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن أُلزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن قرة تضره فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحنّ بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حفظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود مصود وكل مصود إله فهذا الشهيد قاتل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال . فنسأل الله تعالى أن يجمعنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها وعجيين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة)

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي - وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أبالك وأقدمه بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمنّ على الحديث ت وقال حسن وه ك وصحح إسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك مثفق عليه من حديث أبو موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل لذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليري مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفصيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار ت وقال حسن ون في اليوم واليلة وه من حديث جابر (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

أبي الفضل إجازة قال أنا أبو بكر أحمد ابن علي بن خلف إجازة قال أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخزاز يقول أهل الخاتمة الذين هم المرادون اجتنابهم مولايم وأكلهم النعمة وهما لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الألفة والذكر والتسم بمناجاته والافتقار بقربه وبهذا الاسناد إلى أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي ابن سعيد يقول سمعت أحمد بن الحسن الحمصي يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرة تلميذة أبي سعيد تقول سمعت الخزاز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذي قاله الشيخ أبو سعيد هو الذي

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم (١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة (٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له (٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من اللعق وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج (٥) » .

(آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالأسماء يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له (٦) » وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربى ليدعو في وقت السحر قيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتسم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فيسيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جعلت في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « الصائم لا ترد دعوته (٨) » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع المهتم وتعاون القلوب على استدراار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وكه وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مع العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد دن في اليوم واليلة وت وحسنه من حديث أنس وصفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم واليلة باسناد آخر جند وحب وك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من التوافل وقد رأوا جمعا من الشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يملوا أن الذين تركوا التوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بداياهم للردين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فبقى عليهم الأعمال والتوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق للردين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطوبى لساوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا تهديهم سبلنا -
 يدرجهم الله تعالى في
 مدارج الكسب بأنواع
 الرياضات والمجاهدات
 وسهر الدايجر وظلما
 المواجه وتأجيج فيهم
 نيران الطلب وتحجب
 دونهم لوامع الأرب
 يتقبلون في رمضان
 الإرادة وينخلعون
 عن كل مألوف وعادة
 وهي الإنابة التي شرطها
 الحق سبحانه وتعالى
 لهم وجعل الهداية
 مقرونة بها وههنا
 الهداية آتاه هداية
 خاصة لأنها هداية إليه
 غير الهداية العامة التي
 هي الهدى إلى أمره
 ونبيه بمقتضى المعرفة
 الأولى وهذا حال
 السالك المهب للريد
 فكانت الإنابة غير
 الهداية العامة فآتمرت
 هداية خاصة واهتدوا
 إليه بعد أن اهتدوا
 بالمكابدات فخلصوا
 من مضيق الصر إلى
 فضاء اليسر وبرزوا
 من وهج الاجتهاد إلى
 روح الأحوال فسبق
 اجتهادهم كشوفهم
 والرايون سبق

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثر وافية من الدعاء (١) » وروى ابن عباس
 رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما
 الركوع فأنظمو أفيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه من أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث :
 أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « آى الموقف بحرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس (٣) » وقال
 سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردّها
 صفرا (٤) » وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
 بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
 السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أى اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
 ارفعوا هذما لأيدي قبل أن تفل بالأغلال ثم ينفي أن مسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله
 عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
 عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما ممابلي وجهه (٨) فهذه هيئات اليد ولا يرفع جهره
 إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أصدارهم إلى السماء عند الدعاء أول تخطفن
 أصدارهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين المخافة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قد منا
 مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس
 إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم (١٠) » وقالت
 عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أى بدعائك وقد أثنى
 الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال - إذ نادى ربه نداء خفيا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية - . الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع

(١) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وافية من الدعاء رواه م (٢) حديث
 ابن عباس إن نيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم آى الموقف بحرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون
 قوله يدعو فقال مكانها واقفا ون من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بحرفات فرفع يديه يدعو
 ورجاله تقاط (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها
 صفرا دت وحسنه وهك وقال إسناده صحيح طي شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
 يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
 مفيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة مر على إنسان يدعو بأصبعه السبابتين فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن وهك وقال صحيح الاسناد (٧) حديث عمر كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب
 وك في المستدرک وسكت عليه وهو ضعيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
 ضم كفيه وجعل بطونهما ممابلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام
 عن رفع أصدارهم إلى السماء عند الدعاء أول تخطفن أصدارهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
 في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
 متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لأن داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا
 تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أى بدعائك متفق عليه .

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »^(١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - « قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن يجاوز الدعوات للأثورة فإنه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته لما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال عليه السلام « إياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل »^(٢) وفي الخبر يأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أطل الله تعالى أشهد لقد رأيت عبيدا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وقنا للخير والناس يدعوون من كل ناحية وراه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فمادونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . واعلم أن المراد بالسجع هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلزم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد »^(٣) وأمثال ذلك فليقتصر على الآثار من الدعوات أوليتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعا وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه »^(٤) . السابع : أن يحزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم

كشوفهم اجتهدم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
تنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجريري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول ما أخذنا التصوف
عن القليل والقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
المألوفات والمستحسنات
قال محمد بن خفيف
الإرادة سمو القلب
لطلب المراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجد
وترك الراحة وقال
أبو عثمان اللريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فبريد
الله وحده ويريد
قربه ويشتاق إليه
حتى تذهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

- (١) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور ده حب ك من حديث عبد الله بن مغل
- (٢) حديث إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك النار وما قرب إليها من قول وعمل غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله عليه السلام لا يفعلون إلا ذلك و . ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
- (٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركوع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ساء الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته ولطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبيدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندها ضعيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فإنه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة
- (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء حب من حديث أبي هريرة .

وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل^(١) وقال
سفيان بن عيينة لا يمنن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شرا خلق إبليس
لنه الله إذ قال رب فأنتظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من اللذين لا ينظرون - الثامن : أن يلح في الدعاء
ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعاه ثلاثا وإذا سأله ثلاثا^(٢) وينبغي أن لا يستبطل^(٣)
الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيه قول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كرعا^(٤) » وقال بعضهم إنى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الإجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا ينبغي وقال صلى الله عليه وسلم
« إذا سألك ربه مسألة فصرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال^(٥) » . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحته بقوله سبحان ربى العلى الأعلى
الوهاب^(٦) وقال أبو سليمان النخعي رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداها ويرد
الأخرى^(٧) » رواه أبو طالب الليثي . العاشر : وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد المظالم
والإقبال على الله عز وجل بكنه الحمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة فيروى عن كعب الأحماس أنه
قال أصاب الناس قحط عديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى ببني إسرائيل
يستسقى بهم فلم يستقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يستقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إنى
لا أستجيب لك ولأمن معك وفيكم نمام فقال موسى يارب ومن هو حتى تخرجه من بيتنا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أنهاكم عن النجاسة وأكون نماما فقال موسى لبني إسرائيل توبوا إلى ربكم
ياجمكم عن النجاسة فتأبوا فأرسل تعالى عليهم الصيث . وقال سعيد بن جبيرة قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال للملك لبني إسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أولئذ يهطل
له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أكل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا للبتة من

(١) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من
حديث أبي هريرة وقال غريب وك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح اللرى وهو أحد زهاد البصرة
قلت لكنه ضعيف في الحديث (٢) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثا وإذا
سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٣) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يسجل فيه قول قد دعوت فلم
يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إذا سألك ربه مسألة فصرف الإجابة فليقل
الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في
الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا بإسناد ضعيف (٥) حديث
سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحته وقال سبحان
ربى العلى الأعلى الوهاب أحمد وك وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليماني ضعفه الجمهور
(٦) حديث إذا سألك ربه حاجة فابتدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين
فيعطى إحداها ويرد الأخرى لم أجده مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي النرداء .

شوقه إلى ربه وقال
أيضا عقوبة قلب
المريدين أن يحجبوا
عن حقيقة للاملات
والمقامات إلى أضدادها
فهذان الطريقان
يعلمان أحوال
الصوفية ودونها طريقان
آخران ليسا من طرق
التحقق بالتصوف .
أحدهما مجذوب أبقى
على جذبة مارد إلى
الاجتهاد بعد الكشف
والثاني مجتهد متعبد
ماخلص إلى الكشف
بعد الاجتهاد وللصوفية
في طريقتهما باب
مزيد من وصية طريقهم
بحسن التابذة ومن
ظن أن يبلغ غرضا
أو يظفر بمراد لا من
طريق التابذة فهو
مخدول مضروب . أخبرنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصفار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي
ابن خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت

للزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومستهم إلى بأقدامكم حتى تحق ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل ألسنتكم عن الدعاء فاني لأجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا للظالم إلى أهلها فقبلوا ليطروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا سرايا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وتزفون إلى أكفا قد سفكم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اهدت غضبي عليكم ولن زدادوا مني إلا بعدا . وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستقي لربضة ملقاة على ظهرها رافضة قوائعها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام أرجعوا قد مضى بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا معشر من حضر ألسن مقيرين بالإساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد معصاك تقول - ما على المحسنين من سيل - وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لئلا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرغ يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لما لك بن دينار أدم لنا ربك قال إنكم تستبطلون للطر وأنا أستبطل الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في القفازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علت من شيء غير آني كنت ذات يوم أصلي فرتني امرأة فنظرت إليها بعيني هله فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانزعجتا وأبعت للمرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك قال فدعا فجلت السماء سحابا ثم صبت فسقوا . وقال يحيى النساني أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نفو عن ظلمنا اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نستقي أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد للساكنين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقنا يابك فلا ترد دعائنا فسقوا وقال عطاء السلي منعا النبي فخرجنا نستقي فإذا نحن بسعدون المجنون في القفار فنظر إلى قبال يعطاء أهلنا يوم النشور أو بشر ما في القبور قتلنا لا ولكننا منعا النبي فخرجنا نستقي فقال يعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب ساهوية قتلنا بل بقلوب ساهوية فقال هيات يعطاء قل للتهرجين لا تتهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر للكنون من أسماك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غلغا فرأنا تحي به العباد وتروى به البلاد بأمن هو على كل شيء قدير قال عطاء لما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والمابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين المليحة حبا فاقض لي لهموم ساهرونا

شفلهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد أزر باحداها وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جانبي فسمعت يقول إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عناغيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فأسألك يا حليذا أناة بأمن لا يعرف عباده مه إلا الجليل أن تسقيهم الساعة الساعة فترزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر
يقول سمعت قسبا غلام
الزقاق يقول سمعت
أبا سعيد السكري يقول
سمعت أبا سعيد الخزاز
يقول كل باطن بخالفه
ظاهر فهو باطل وكان
يقول الجنيد رحمه الله
علنا هذا مشبك
بهديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من أمر
اللسنة على نفسه قولا
وفلا نطق بالحكمة
ومن أمر الهوى على
نفسه قولا وفلا نطق
بالبدعة . حكى أن
أبا يزيد البسطامي
رحمه الله قال ذات يوم
لبعض أصحابه قم بنا
حتى نطرح إلى هذا
الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان
الرجل في ناحية مقصودا
ومشهورا بالزهد
والعبادة الضينا إليه
فلما خرج من بيته قصد
المسجد في زاقة نحو
القبلة قال أبو يزيد
انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتست السماء بالعمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحث إلى الفضيل فقال مالي أراك كشيئا قلت أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر متفشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه في القوم إليك لمكان من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدنا إليك بالدنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراحم لا تهمل الضالة ولا تضع الكبير بدار مضجة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغيثك قبل أن ينظروا فيهلكوا فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال لما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروى أنه صلى الله عليه وسلم « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه » قال عليه السلام إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أمارضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه غفرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى على فليقل عند ذلك أوليكم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي على (٤) » وقال عليه السلام « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة (٥) » وقال عليه السلام « من صلى على من أمى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات (٦) » وقال عليه السلام « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي (٧) » وقال رسول الله ﷺ « من صلى على

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه قال إنه جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أمارضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرة (٢) من حديث أبي طلحة باسناد جيد (٣) حديث من صلى على صلت عليه للملائكة ماضى فليقل عبد من ذلك أوليكم (٤) من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبراني في الأوسط باسناد حسن (٥) حديث إن أولى الناس بي أكثرهم على صلاة من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٦) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٧) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة دن وحبك وقال صحيح على شرط ط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في المثل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى على من أمى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ن في اليوم واليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات ، وله في السير وابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر هو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء

ولم يعلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعي من مقامات الأولياء والصديقين ومثل خادم الشبلي رحمه الله ما رايت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى أن وضئى للصلاة فوضأته فنسبت غليل لحبته قبض على يدي وأدخل أصابعي في لحبته بخلها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فاطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالا على غير هذا الوجه فليدفع مفتون كذاب .

[الباب الخامس في ماهية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم تزل للملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الأرض ملائكة سياحين يلغون عن أمي السلام (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام (٣) » و « قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (٤) » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يكي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جلع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس أخذت منبرا لتسميهم فعن الجذع لقراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما لارقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جل طاعتك طاعته قال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالغفوة عنك قبل أن يخبرك بالذنوب قال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بشك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال عز وجل - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار لفاذا بأعجب من أصابك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فاذا بأعجب من الشاة السحومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك اقترع لانا كلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعانا نوح على قومه قال رب لا تنذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلث لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأيت أن تقول إلا خيرا قلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولولم تتكح

وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف. وزاد الحسن بن علي العمري في اليوم واليلة من حديث أبي الهرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته وسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمعتم للؤذن تقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على نبي صلوا على الوسيطة وفيه لمن سأل الوسيطة جلت عليه الشفاعة (١) حديث من صلى على في كتاب لم تزل للملائكة تستغفره مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب وللمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن في الأرض ملائكة سياحين يلغون عن أمي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام د من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال ثنا عثمان ابن سعد قال ثنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب الساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال روي التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقيق بالبدل والإيثار وترك التمسك والاختيار وقال الجنيدي وقد سئل عن التصوف قال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولولم تؤاكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا فلهذا والله جالسنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولقيت أصابك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أمانتم الصلاة على في كتابك لما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه وروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يا رسول الله بم جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الأكررون وغفل عن ذكره الغافلون فقال **جوزي** عنى أنه لا يوقف للمصاب.

(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذن بهما عبد ذنبا قراها واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال عز وجل - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - والمستغفرين بالأسحار - وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والأسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دعى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولحق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الأسراء متفق عليه من حديث أنس ودون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحديث كلام الشاة للمسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث أنه دعى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضرب به قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط وحديث لطفه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم واليلة وهكذا وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وصححه ابن حبان .

معروف الكرخي
التصوف الأخد
بالخفاف والياس مما
في أبدي الخلاق لمن
لم يتحقق بالفقر لم
يتحقق بالتصوف .

وسئل الشبلي : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشئ
دون الحق . وقال
أبو الحسين التووي
نعت الفقير السكون
عند المم والبلى
والإثارة عند الوجود

وقال بعضهم إن الفقير
الصادق ليحترق من
النار حذر أن يدخل
عليه النار فيفسد
فقره كأن النار يحترق
من الفقير حسنه أن
يدخل عليه الفقر
يفسد عليه غناه .

وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا
عبد الرحمن الرازي
يقول سمعت مظفرا
القمي يميني يقول
الفقير الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل طالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي ققلت « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لبياني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار فاني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوب إلى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت للقدم وأنت للآخر وأنت على كل شيء قدير (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صممت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفى الله عز وجل بما شاء أن ينفي منه وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته قال وحديثي أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد يذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - (٨) الآية - وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه فإن تاب

(١) حديث إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة خ من حديث أبي هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره للصف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إنى لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة م من حديث الأغر (٣) حديث من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبي سعيد وقال غريب لا يعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي . قلت الوصافي وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ في التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن في اليوم واليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة الخ وزاد أوتوب إلى الله فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبراني في الدعاء فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على عن أبي بكر مامن عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت .

وصحته يقول سألت أبا بكر للمصري عن التقير فقال الذي لا يملك ولا يملك (قوله لا يكون ه إلى الله حاجة) معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلامه به لا يهوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة ، وأقوال الشايع تنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات وتحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل قد تشبه الاغارات في الفقر بمعاني الزهد تارة ومعاني التصوف

ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى قفل قلبه (١) فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للبد في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك (٢) » وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنبا قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنبا فلم أن لهربا يأخذ بالذنوب ويغفر الذنب، عبدى عمل ما شئت قد غفرت لك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وقال **عليه السلام** « إن رجلا لم يصل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إنى ربى يا رب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنبا فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي (٨) » وقال **عليه السلام** « من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي فإنه لا ينظر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب الخيل (٩) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء على نفسي بذنبي قد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا ينظر الذنوب جميعا إلا أنت (١٠) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل إن أحب عبدي إلى للتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد وللمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت

(١) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكته سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم واليلة وه حب لك (٢) حديث أبي هريرة إن الله ليرفع البد الدرجة في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواء أحمد باسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جعدان مختلف فيه (٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدى ذنبا فلم أن له رب يأخذ بالذنوب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة دت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى (٦) حديث إن رجلا لم يصل خيرا قط نظر إلى السماء قال إنى ربى يا رب اغفر لي قال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصه على أصل (٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد اطلع عليه غفره وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبدي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفره غفرت له ولا أبالي ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأصله عند بلطف آخر (٩) حديث من قال سبحانه ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي إنه لا ينظر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب الخيل البيهقي في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تهوئن لو كان عليك كمد الخمل أو كمد الدر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لإله إلا أنت في أوله وفيه ابن لميعة (١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث مع من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وأخرت ودون قوله جميعا .

تارة ولا يبين المستغفر
بعضها من البعض .
فتقول التصوف غير
التمر والزهد غير الفقر
والتصوف غير الزهد
فالتصوف اسم جامع
لما في التمر ومعاني
الزهد مع مزيدا وصف
وإضافات لا يكون
بدونها الرجل صوفيا
وإن كان زاهدا
وقهرا . قال أبو حنيس
التصوف كله آداب
لكل وقت أدب ولكل
حال أدب ولكل مقام
أدب فمن لزم آداب
الأوقات بلغ مبلغ
الرجال ومن ضيع
الآداب فهو بعيد من
حيث يقطن القرب
ومردود من حيث
يرجو القبول . وقال
أبنا حسن آداب الظاهر
عنوان حسن أدب
الباطن لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
« لو خشع قلبه لحشمت
جوارحه » . أخبرنا
الشيخ رضي الدين
أحمد بن إسماعيل إجازة

أهل الأرض بقوبة ذكرتهم قترتهم وصرفت القوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داءكم فالدنوب وأما دوائكم فالاستغفار . وقال طي كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يملأه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرا أطلقى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الريس بن خثيم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأنوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للثوم وإن تركي استغفارك مع علي بسمة عفوك لمجزفكم تتجيب إلي بالنعم مع غناك عني وكم أنبفض إليك بالمعاصي مع قهرى إليك يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى . اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغنت بها علي مصيبتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أنبتته في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء أو خلاء وسر وعلاية يا حلیم ويقال إياه استغفار آدم عليه السلام وقبل الخضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب

أن يدعو بها للرء صباحا ومساء وبقلب كل صلاة)

لها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتضمنى بها من كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا وقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومراقبة الأنبياء اللهم إني أتزل بك حاجق وإن ضف رأى وقلت حيلق وقصر عملى واقضرت إلى رحمتك فأسألك يا كافى الأمور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السمير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأى وضف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت مطيه أحدا من خلقك فإني أربغ إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلا لأوليائك نجب بحبك من أطاعك من خلقك ونصاى بصدائتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإن الله وإنا إليمر اجنون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القربين الشهود والركم السجود والوفيق بالهدود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه الذى

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قلنا نا الشيخ أبو الظفر عبد للنم قال أخبرنى والذى أبو القاسم القشبرى قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن طي يقول سئل أبو محمد الجربرى عن التصوف فقال للدخول في كل خلق سقى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا للحنى في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى سلفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هذا وصف للصوفية والله تعالى محام قراء وسأوضح معنى يفرق الحال به بين التصوف والفقر قول الفقير في قهره

لبس المز وقال به سبحانه الذي تمطف بالمجد وتسكرم به سبحانه الذي لا ينفى التسبيح إلا الله سبحانه ذي الفضل والنعم سبحانه ذي العزة والكرم سبحانه الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شمري ونورا في جصري ونورا في لحي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا (١) .

(دعاء عائشة رضي الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما نشر رضي الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك عما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبتي رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضي الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة ما يمنك أن تسمى ما أوصيك به أن تقول : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله (٣) » .

(دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيت أو قضاء قضيت أو سائل أعطيت أو غنى أقرت أو فقير أغنيت أو مال هديت وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعت على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر للزل في كتابك من لهدتك من النور للبين وأسألك باسمك الذي وضعت على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبسطت لك وكبرياتك وببور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بهولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حديث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملتي وتلم بها شئ الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بسم العباس لابنه عبد الله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . و ك وصححه من حديثها (٣) حديث يا فاطمة ما يمنك أن تسمى ما أوصيك به أن تقول يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تسكني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله ن في اليوم واليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث في الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية

تمسك به متحقق
فضله يؤثره على
النفس متطلع إلى
ما تحقق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل قهراً
أمن الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة
عام » فكلما لاحظ
العوض الباقي أمسك
عن الحاصل الثاني
وعانى الفقر والقلّة
وخشى زوال الفقر
لقوات الفضيلة والعوض
وهذا عين الاعتلال في
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها الصوف
يترك الأشياء
للاعواض للعودة
بل للأحوال للوجود
فانه ابن وقته وأيضاً
ترك الفقير الحظ
الماجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة في حال
الصوفي لأن الصوفي
صار قائماً في الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه)

روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعيف وخد لي الخير بناصيق واجعل الإسلام مني رضى اللهم إني ضعيف فقو في وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارث)

إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرسني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أهملها فقال عليه السلام أما لهدنياك فإذا صليت الغداة قل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانك إذا قلتهم أمنت من الهم والجدام والبرص والقاح وأما آخرتك قل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك واتر علي من رحمتك وأزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم أما إنه إذا وفي بين عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضى الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضى الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلتها فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري أى قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهم وهي اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيري وأصبحت مرتها بعلى فلا تقير أقرمى اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسؤ بي صديق ولا تجعل مصيقي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط علي من لا يرحمي يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبدة عن أبيه أن أبا بكر آتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويتفلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث بريدة الأسلمى أن أبا بكر آتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرسني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم واليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في للسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

بإرادة الله تعالى لإبرادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة قهر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيما يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مائة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول فيها للصادقين إلا بعد إحكامهم علم الاذن وفي هذا منزلة للأقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه ركب الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن التسفر أساس التسوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

إلى رتب التصوف
طريقه الفقر لا على معنى
أنه يلزم من وجود
التصوف وجود الفقر .
قال الجنيد رحمة الله
عليه : التصوف هو أن
يمتلك الحق عنك
ويعيك به وهذا
للعق هو الذي ذكرناه
من كونه قائما في
الأشياء بالله لا بنفسه
والفقير والزاهد
مكونان في الأشياء
بنفسهما واقفان مع
إرادتهما مجتهدان
مبلغ عليهما والصوفي
متهم لنفسه مستقل
لعله غير راكن إلى
معلومه قائم بمراد ربه
لا بمراد نفسه . قال
ذو النون المصري
رحمة الله عليه الصوفي
من لا ينجمه طلب ولا
يزعجه سلب وقال أيضا
الصوفية آثروا الله
تعالى على كل شيء
فآثروا الله على كل
شيء فكان من
إيثارهم أن آثروا علم
الله على علم نفوسهم

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس لـدنيا وخمس
لـآخرة من دعاء الله عز وجل بين وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرودها عليك
كما ردها علي بـكر بن خنيس رحمه الله : حسبي الله لديني حسبي الله لديي حسبي الله الكريم لما
أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بـني علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند
اللـوت حسبي الله الرؤوف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند
الليزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات - فان تولوا قتل حسبي الله لا إله إلا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - كفاه الله عز وجل ما همه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا .
(دعاء عتبة الغلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سري وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا ياتسّر قلبي وبقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت علي والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إليه إني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من فديتك في دعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهوموه ونزعنا الفقر من بين عينيه وأنجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدّها .

(١) حديث طي إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم فيقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم الحديث بطوله لم أجده أصلاً .

في الأول لمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا لمن دعا بهن كتب من الساجدين المحبتين الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدین في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .
(دعاء للعترة وهو وسليمان التيمي وتسييحاته رضي الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا يلاذ الروم قال ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال ؟ قال رأيت تسييحات ابن العترة من الله عز وجل بمكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل سمواته ومل أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ماضى وعدد ما هم ذا كروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأفاض وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبدا أبدا الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينقطع آخره .

(دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه)

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : مرجا يوم للزبد والصبح الجديد والكتاب والشهد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد الحميد الرفيع الودود القمال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبقائه مصدقا وبجنته معترفا ومن ذنب مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله قبرا وعلى الله متكللا وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعدك وعلمك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أمت إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت ليك وسعديك والخير كله يديك وأنا لك وإليك أستغفر وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويًا سائما هنيئا لانظما بعده أبدا واحشرنا في زمرة غير خزايا ولا ناكثين للمهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا مزالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك يا على يا عظيم يا باري يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحته له السموات بأكنافها وسبحان من سبحته له البحار بأمواجها وسبحان من سبحته له الجبال بأصداؤها وسبحان من سبحته له الحيتان بلفاتها وسبحان من سبحته له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحته له الأعجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحته له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ،

وإرادة الله على إرادة
تقوسهم . قبل لبعضهم
من أحب من
الطوائف قال الصوفية
فإن لقيح عندهم
وجه من العاذر وليس
لكبير من العمل
عندهم وقع برضونك
به فتصيحك تحسك
وهذا علم لا يوجد عند
الفقير والزاهد لأن
الزاهد يستعظم الترك
ويستحب الأخذ
وهكذا الفقير وذلك
لضيق وطأهم ووقوفهم
على حد علمهم . وقال
بعضهم الصوفي من
إذا استقبله حالان
حسنان أو خلتان
حسنان يكون مع
الأحسن والتقير
والزاهد لا يميزان كل
الخير بين الخلقين
الحسين بل يختاران
من الأخلاق أيضا
ما هو أدعى إلى الترك
والخروج عن عواجل
الدنيا ما كان في ذلك
بليها والصوفي هو
للتبين الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحي وتحيث وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم عذوبة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله) يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحبا وراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المرادين لحث الآخرة للقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فبإدعائه قتل في مفتاح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحانه ربّي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (٥) اللهم لا تؤمنني مكره ولا تولني غيرك ولا تنزع عني مترك ولا تنسني ذكرك ولا تهملني من الغافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت (٨) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرداً لعملي بعد الموت وليلة النظر إلى وجهك الكريم وهو قائل إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعدي أو يعتدي علي أو أكتب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٩)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث للبخاري بن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا والحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمست قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمنني مكره ولا تولني غيرك ولا ترفع عني مترك ولا تنسني ذكرك ولا تهملني من الغافلين وما أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء بالحديث

عند الله بصدق التجاه
وحسن إتيائه وحظ
قربه ولطف ولوجه
وخروجه إلى الله تعالى
لطفه بربه وحظه من
محادثته ومكانته قال
روى التصوف
استرسال النفس مع
الله تعالى على ما يريد
وقال عمرو بن عثمان
للصوفي أن
يكون العبد في كل
وقت مشغولاً بما هو
أولى في الوقت وقال
بعضهم التصوف أوله
علم وأوسطه عمل
 وآخره موهبة من الله
تعالى وقيل التصوف
ذكر مع اجتماع ووجد
مع استماع وحمل مع
اتباع وقيل التصوف
ترك التكلف وبلد
الروح وقال سهل بن
عبد الله الصوفي من
صفاء الكدر والعتلا
من الفكر والقطع
إلى الله من البصر
واستوى عند الذهب
واللدر وصل
بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك ما تعلم فأنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فأنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرة عين الأبد ومراقبة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمي وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والنضب والصدق في الفقر والفاقة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضره وفتنة مضلة اللهم زينا بزيينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في قلوبنا من عظمتك ما تدلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك (٧) اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة ومغفرة (٨)

إلى قوله أودبنا لا يفر أحد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد (١) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث عطاء بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٢) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونفعا لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد و ن من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد وأسألك نفعا لا يبيد وقرة عين لا تقطع (٤) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الخيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحة (٥) حديث اللهم إني أسألك بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (٦) حديث اللهم اقم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتم مجلسه بذلك (٧) حديث اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لما وقف له على أصل (٨) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة عبد بن حميد في المنتخب والطبراني من حديث ابن أوفى بالشرط الأول فقط إلى قوله نجاحا وإسناده ضعيف .

قال تصفية القلب
عن موافقة البرية
ومفارقة الأخلاق
الطبيعية وإخاد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة وإتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذوالنون المصري
رأيت بعض سواحل
الشام امرأة قتلت من
أين أقبلت قالت من
عند أقوام تتجافى
جنوبهم عن المضاجع
قتلت وأين تريد
قالت إلى رجال لا تلهمهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله قتل صفهم
لي فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فألهم همهم تسمو إلى
أحد
فطلب القوم مولا
وسيدم
باحسن مطلبهم للواحد
الصدق

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لمزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتواضع كل شيء لكبريائه (١)
 اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضايتك عنا ووقنا لهما بك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب كل شيء إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف كل شيء إنك أنت الغفار الحليم وبملكك على إرفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك على ملكي نفسي ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربى ولا يضر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألمهني رشدي وقي شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٨) أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين والمعاونة في الدنيا والآخرة (٩) يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لمزته الحديث إلى قوله وتواضع كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجوعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قط لك حق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي ون من حديث جابر وابنه المقام المحمود الذي وعدته وهو عندك بلفظ وابنه مقاما محمودا قال قط إسناده حسن وقال ك صحيح وقال حق في المعرفة إسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للتقين وحزبك للفلاحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه وطب من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائده وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب كل شيء إنك أنت التواب الرحيم وبملكك على عف كل شيء الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنت ربى إنه لا يضر الذنوب إلا أنت حق في الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي إنك أنت ربى وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألمهني رشدي وقي شر نفسي ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه في اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني فيه وأقنني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني لم من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنني بما رزقتني وبارك لي فيه وأخلف على كل فائبة لي بخير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما إن تازعهم دنيا
 ولا شرف
 من للطاعم والذات
 والولد
 ولا لبس ثياب فائق
 أنق
 ولا لروح سرور حل
 في بلد
 إلا مسارعة في إثر
 منزلة
 قد قارب الخطو فيها
 بأعد الأبد
 فهم رهائن غدران
 وأودية
 وفي الشوامخ تلقاهم
 مع المدد
 وقال الجنيدي: الصولي
 كالأرض يطرح عليها
 كل قبيح ولا يخرج
 منها إلا كل مليح
 وقال أيضا هو كالأرض
 يطؤها البر والفاجر
 وكالسحاب يظل كل
 شيء وكالقطريسي كل
 شيء وأقوال الشاذلي
 في ماهية التصوف
 تزيد على ألف قول
 ويطول عليها ونذكر
 ضابطا يجمع جمل
 معانيها فان الألفاظ

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تتبع وأعوذ بك من الجوع فإنه يشي الضجيع ومن الحياة فاتها بئس البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والمهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الهيا واللمات اللهم إنا نسألك قلوبا أو آهة محبة منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والفتنة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التهم والفرق والمهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في طلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر لسانى وشر بصرى وشر سمى وشر منى (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفلة والميلة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والتفانى وضوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفردا في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التهم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا دن ك وصحح إسناده من حديث أنى البسر واسمه كعب ابن عمر زيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علمت وإنما هو علمت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك في الثمائل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعلم وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والآهواء ت وحسنه وك وصححه واللفظه من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبى هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمى وشر بصرى وشر لسانى وشر منى دن ت وحسنه ك وصحح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول ن ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والنفلة والميلة والدلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والتفانى والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام دن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

الحضرة الإلهية ينى
أن روح الصوفى
متطلعة منجذبة إلى
مواطن القرب وللنفس
بوضعها رصوب إلى
طالها واغلاب على
عقبها ولا بد للصوفى
من دوام الحركة بدوام
الافتقار ودوام القرار
وحسن التفقد لمواقع
إصابات النفس ومن
وقف على هذا للنفس
يجد في معنى الصوفى
جميع للتفرق في
الإشارات [الباب
السادس في ذكر
تسميتهم بهذا الاسم]
أخبرنا الشيخ
أبو ذرعة طاهر بن
محمد بن طاهر قال
أخبرني والدي قال أنا
أبو طى الشافعى بمكة
حرسها الله تعالى قال
أنا أحمد بن إبراهيم
قال أنا أبو جعفر محمد
ابن إبراهيم قال أنا
أبو عبد الله الهذلي
قال ثنا سفيان عن
مسلم عن أنس بن
مالك قال كان رسول

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول طاقتك ومن فجأة تفتك ومن جميع سخطك (١).
اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشرقة النقي وشرقة الفقر
وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغم والمائم (٢). اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب
لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر القم وفتنة الصدر (٣). اللهم إني أعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء (٤) وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .
(الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)

إذا أصبحت وصمعت الأذان فيستحب لك جواب اللؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلا
والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فإذا خرجت إلى المسجد قل : اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلقي نورا وأمامي نورا واجعل من فوق نورا
اللهم أعطني (٥) نورا وقل أيضا اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك (٦)
فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن
تقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة قل
باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي (٧) بسم الله الرحمن الرحيم لاحول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم باسم الله التكلان على الله (٨) فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله
قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي واقتح لي أبواب رحمتك (٩)

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول طاقتك وفجأة تفتك ومن جميع سخطك
م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة
القبر وشرقة النقي وشرقة الفقر وشرقة المسيح الدجال وأعوذ بك من المائم والمغم متفق عليه
من حديث عائشة (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم
إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا تستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك
أبو العنبر في صحابه من أنس ولنسائي بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك ومن
حديث أنس اللهم إني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم إني أعوذ
بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .
(الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند كل حادث من الحوادث)

(٥) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق
عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
إليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من
المنزل لحاجة باسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي أصحاب السنن من حديث
أم سلمة قالت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة إلا بالله التكلان
على الله م من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال باسم الله
فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي واقتح لي أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت حسن وليس إسناده متصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل
أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

له صلى الله عليه وسلم
بب دعوة العبد
يركب الحمار ويلبس
الصوف لمن هذا
الوجه ذهب قوم إلى
أنهم مما صوفية نسبة
لهم إلى ظاهر النسبة لأنهم
اختاروا لبس الصوف
لكونه أرفق ولكونه
كان لباس الأنبياء
عليهم السلام . روى
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« مرة بالصخرة من
الروحاء سبعون نبيا
حفاة عليهم العباء
يؤمنون البيت الحرام »
وقيل إن عيسى عليه
السلام كان يلبس
الصوف والشعر
ويأكل من الشجر
ويبيت حيث أمسى .
وقال الحسن البصري
رضي الله عنه لقد
أهدت سبعين بدرية
كان لباسهم الصوف
ووصفهم أبو هريرة
وفضالة بن عبيد قالا
كانوا يخرجون من
المجموع حتى نحسبهم

وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع قل لا أبيع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد قل لا ردها الله عليك أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح قل باسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فاذا ركعت قل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت رب خشع صمعي وبصري وعي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قل سبحان رب العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع قل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٧) وإذا سجدت قل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق صمعي وبصري فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك لى وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت لى نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٨) أو تقول سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات (٩) فاذا فرغت من الصلاة قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فاذا قلت من المجلس وأردت دعاء يكفر لقول المجلس قل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (١١) فاذا دخلت السوق قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت يده الخير وهو لى كل شيء قدير (١٢) باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بمينا

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لا أبيع الله تجارتك وقال حسن غريب ون في اليوم واليلة من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لا ردها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث لى (٥) حديث القول في سبحان ربى العظيم ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول في سبح قدوس رب اللائكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الرفع من الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده فهى في اليوم واليلة للحسن بن لى للممرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند م من حديث أبى هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث لى اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك لى وأبوء بذنبي وهذا ماجنيت لى نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس ك قال بل هو ضعيف (٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا د ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغت من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم واليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت يده الخير وهو لى كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح لى شرط الشيخين .

الأعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يهرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث وقال بعضهم إنه ليؤذنى ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان اختيارهم لباس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعهم بسد الجوعه وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار بلام ويناسب من حيث الاستغراق لأنه يقال لى لى إذا لبس الصوف كما يقال قمص إذا لبس القميص ولما كان حلقهم بين سير وطير لتقلبهم في الأحوال والبرقعاتهم ن قال إلى أعلى منه

فاجرة أو صفة خاسرة (١) فإن كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك
عن سواك (٢) فإذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسو تني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير
ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تسكره فقل اللهم لا يأتني
بالحسنة إلا أنت ولا يذهب السيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) وإذا رأيت الهلال فقل اللهم أهله
علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي
وربك الله (٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بحالقتك (٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر
وأعوذ بك من شر يوم الحشر (٧) وتكبر قبله أو لا تلائما وإذا هبت الريح فقل اللهم إني أسألك خير
هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به (٨)
وإذا بلغك وفاة أحد قتل إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم اكتبه في الحسنين واجعل
كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله (٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر
ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بيمين فاجرة أو صفة خاسرة كمن حديث بريدة وقال أقربها
لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله خص بن سليمان
الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث الدعاء إذا
لبس ثوبا جديدا اللهم كسو تني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من
شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني
بلفظ المصنف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتني بالحسنة إلا أنت ولا يذهب
بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهن في الدعوات من
حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فجعله مسندا
(٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة
والإسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت
وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بحالقتك د
مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال
خير ورشد آمنت بالله خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من
حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث
اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في
مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثني من لأتهم

(٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به
ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث
أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغه وفاة أحد إن الله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا منتقلون اللهم
اكتبه في الحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا
بعدمه واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وحب من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة
فليقل إن الله وإنا إليه راجعون وسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين

يقدم وصف ولا
يحسبهم نعت وأبواب
للزبد علما وحالا عليهم
مفتوحة بواطنهم
معدن الحقائق وجمع
العلوم فلما تعذر تقديم
بحال تقديم لتنوع
وجدانهم وتجنس
مزيدم نسبوا إلى
ظاهر اللبسة وكان
ذلك أئين في الإشارة
إليهم وأدعى إلى حصر
وصفهم لأن لبس
الصوف كان غالبا على
المتقدمين من سلفهم
وأبضا لأن حالهم حال
المقربين كما سبق ذكره
ولما كان الاعتزاء إلى
القرب وعظم الإشارة
إلى قرب الله تعالى أمر
صعب يمز كشفه
والإشارة إليه وقت
الإشارة إلى زبدهم ستر
لحالهم وغيرة على عزيز
مقامهم أن تكسر
الإشارة إليه وتداوله
الأسنة فكان هذا
أقرب إلى الأدب
والأدب في الظاهر
والباطن والقول والفعل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الحشران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه قنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقنارا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قل سبحان من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفيته (١) فإن رأيت الصواعق قل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قل اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا (٣) اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب (٤) فإذا غضبت قل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قل اللهم إنا نجعلك في محورم ونعوذ بك من شرورم (٦) فإذا غزت قل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قل الحمد لله الذي بمرته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت قل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان القرب قل اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠) وإذا أصابك هم قل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيقي بيدك ماض في حكمك عدل في قضايتك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الفارين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده ولللائكة من خفيته مالك في اللوطا عن عبدالله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك وتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ون في اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى للمطر قال اللهم اجعله صيا نافعا وه سيا بالسين أوله ون في اليوم والليلة اللهم اجعله صيا هنيئا وإسنادها صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ن في اليوم والليلة من حديث سعيد بن السيب مرسلا (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما قل اللهم إني أجعلك في محورم وأعوذ بك من شرورم ون في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل دن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان القرب اللهم هذا إقبال ليك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي ت د وقال غريب وك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الحرائط في مكارم الأخلاق والحسن بن علي للعمري في اليوم والليلة (١١) حديث القول إذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيقي بيدك الحمد لله أحمد وحب لك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م إن سلم من إرسال عبد الرحمن

عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو أن نستبهم إلى اللبسة تنبي عن تقلهم من الدنيا وزهدهم فيها تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم حتى إن للبتي للبريد الذي يؤثر طريقهم ويجب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقل ويسلم أن للأكل أيضا من جنس اللبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند البتي والاشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفيه لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا قبيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابة على الأرض ثم رفعها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يديك على الذي يتألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (٢) « فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله العليّ الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثه وثلاثين واحمد ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيأ وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليك فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي (٩) اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك

عن أبيه فإنه يختلف في صماعة من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث وضع يده على الذي يتألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي العاص (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العليّ الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثبتت على نفسك النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع (٦) حديث اللهم باسمك أحيأ وأموت مخ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغتنا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفرها وقال مخ فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك ت في الشئائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تيمت وكذا رواه ت من حديث حذيفة وضمه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم هموا صوفية للبسم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ويقرب أن يقال لما آثروا القبول والاحول والتواضع والانكسار والتخفي والتوازي كانوا كالحرقة للقاء والصوفة للرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم وللفني القصود به قريب بلاءم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والتقشفين والعباد . أخبرنا أبو زرعة طاهر عن

وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجأ منك إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونييك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تفرني إليك زلني وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح قل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجتري فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم فإنك قلت - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يجمعكم فيه ليقتضى أجل مسمى - (٧) اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني في أحب الأعمال إليك تفرني إليك زلني وتبعدني من سخطك بعدا أسألك تمنيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابتنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فذكرنا ونسألك تمنينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كرواه ابن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٤) من حديث حذيفة (٥) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحوال والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء قُرب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما الله وإسناده ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبيزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبيزى عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وحب وحسنه ت إلا أنهم قالوا وإليك النشور وابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نألك أن تبثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجتري فيه سوءا أو نجبره إلى مسلم الحديث لم أجداؤه وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجبره إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوني على الجهاد في سبيلك ، وللدارقطني في الأفراد من حديث البراء نألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال ثنا أبو علي
إسماعيل بن محمد قال ثنا
الحسن بن عرفة قال ثنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحرث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكفه من
صوف ونعله من جلد
حمار غير مذكي . وقيل
مبوا صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارخاع
همهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل صفوى
فاستقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل مبوا
صوفية نسبة إلى الصفة

باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما فذراً وبراً ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في المرأة قال الحمد لله الذي سوى خلقه فعدله وكرم صورته وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اشترت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالنكاح قل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قل للقضى بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما جزاء السلف الحمد والأداء » (٧)

هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدايه وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن علي العمر في اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم إني أتنا لك خيراً ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والجديد عند م في النساء خير ما في هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً (١) حديث باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلم إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال يلتقي الخضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم يعني فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمنه الله من الفرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أوردته في ترجمة الحسين بن رزين قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٢) حديث رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح إلا أنك تقول أمسينا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما فذراً وبراً ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وبرزاً وذراً أعصم من شر الثقلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبراً ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في المرأة الحمد لله الذي سوى خلقه فعدله وكرم صورته وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادماً أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د . من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض - الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاء كل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحواً من أربع مائة رجل يسكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالهارو بالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى المرید عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت لفائدة الدعاء والقضاء لا مرد له . فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافحان فكذلك الدعاء والبلاء يتماثلان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى - خذوا حذرکم - وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو قطع البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة »^(١) والغالب على الخلق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملة فان الانسان إذا مسه الشر فذود دعاء عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما التقى فسبب للبطر في غالب الأمور فان الانسان ليطنى أن رآه استغنى فهذا مأردنا أن نوره من جملة الأذكار والدعوات والله للوفيق للخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعبادة المريض وغيرها فتأتى في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكأله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات تقع الله به للسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يفادر في القلب استكبارا ولا قهورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غداوة وغشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا يستقروا في منابها بل ليتخذوها منزلا فيترودوا منها إذا عملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكثرزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايد ما ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأوله منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسئوه مراحله وشهوره فراسخه

إنما جزاء السلف الحمد والأداء ن من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلى قال قد ذكره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل)

بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - وقوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتولى أن جاءه الأعمى - وكان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صالحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يمت مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضي الله

وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رهوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حق ينقض في غير طاعة تقربه إلى الله زلني متعرض في يوم التغابن لعينة وحسرة ماله منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب المهائل فمرر لاوقون عن ساق الجسد وودعوا بالنكيلة ملاذ النفس واغتموا بقايا العمر وربوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا الفهم بذكر باين : الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد وبيان أن الواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والأنس لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب وللواظبة عليه وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الله كرو الفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى غمط واحد أظهرت الملل والاستتقال وأن الله تعالى لا يعمل حتى تململوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالاستتقال لذاتها وتمظ باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها الباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الدنيا لمواقفها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فآتي يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرده . وأما الرد إلى العبادات فتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسناته وتنقل موازين خيالاته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والنفوس من كرم الله منتظر فمضى الله تعالى أن يفقره بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تسكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واتبعه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه . إن لك في النهار سبعا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . وقال تعالى . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى . وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . وقال سبحانه . وسبح بحمديك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم وقال تعالى . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . وقال تعالى . ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار لمك ترضى . وقال عز وجل . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت مبين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فاذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد ولسونا به وواسينناكم مما ولسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان الخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

يذهب السيات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى - آمن هو قانت
آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقال عز وجل - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار
هم يستفكرون - وقال عز وجل - فصبحنا الله حين نمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم
قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - أي خلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
المبتغى هو الثواب والنفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

(يان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد النهار سبعة لما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال ووردان وما بين الزوال إلى وقت العصر ووردان وما بين العصر إلى المغرب ووردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد ووردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وتمدحه به إذ قال - طالق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة قبض
الظل فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا - وهو وقت قبض ظل الليل يسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التيسير فيه بقوله تعالى - فصبحنا الله حين نمسون وحين تصبحون - وبقوله
تعالى - فصبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناه الليل
فصبح وأطراف النهار لعلك ترضى - وقوله تعالى - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - فأما ترتيبه
فلأخذ من وقت ابتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتدبّر بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستماعة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الله ويدخل
أولا رجلا اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني و
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله .

ابن زكريا الطريثي
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأنماطي قال
حدثنا الحسن بن يحيى
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البلخي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خالد بن محمد عن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقدر رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما على
أهل الصفة فرأى قهرم
وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال أبتروا يا أصحاب
الصفة فمن بقي منكم
على النمت الذي أنتم
عليه اليوم راضيا بما
هو فيه فإنه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
بخراسان بأوون إلى
الكهوف والغارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعنى السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو للمسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ولا يفتي دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيًا بل يمشي وعليه السكينة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء للمأثور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد مقعًا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويستغل بالدعاء المذكور بعدهما وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بشر أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك واقلب بعمره مبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال الرجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة قلت لصلاة العتمة فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرده فاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعتنه وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً (٨) » ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث الشئ إلى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للمأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعمره سيئة والحسنة بشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لم أجده أصلاً بهذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى للغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمره متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده فاطمة وهما نائمان فقال ألا تصلون قال علي قلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله الحديث متفق عليه .

والذين يسمونهم في خراسان شكفتي لأن شكفت اسم القار ينبونهم إلى النوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم نجوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخير والصالح فسمى قوما أبراراً وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والتذكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع التفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ وقال معي أربع دوائيق يكفي مامى ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء

والتسبيح إلى أن تمام الصلاة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم صلى الفريضة مراعيًا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقنوة فإذا فرغ منها قصد في السجدة إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سترته قد قال عليه السلام «لأن أقصد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب» (١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى القعدة قصد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، وفي بعضها ويصلى ركعتين» (٢) أى بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول إنه قال : يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقصد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبعة وقراءة قرآن وتذكر أما الأدعية فكلما فرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينارينا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتح الدعاء بما كان يفتح به رسول الله عليه السلام وهو قوله سبحانه ربى الطل الأطلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (٤) ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق قلبه وأخف على لسانه . وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثاً أو سبعاً وأكثره مائة أو سبعون أو وسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر أو الأوسط الأوسط أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قلبها مع للداومة أفضل وأعد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير التفرق ماء يصب دفعة أو دفعت متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة . الأولى : قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير (٥) . الثانية : قوله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) حديث لأن أقصد في مجلسي أذكر الله فيه من صلاة القعدة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى القعدة قصد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قصد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتح الدعاء بسبحان ربى الطل الأطلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشراً دون

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديماً وقيل لم يصرف هذا الاسم إلى اللاتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صهياباً لشرف حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابياً ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتوعدت الأنحاء وتفرد كل ذي رأى برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية التقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت

ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١). الثالثة: قوله سبح قدوس رب الملائكة والروح (٢).
الرابعة: قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣). الخامسة: قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤). السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (٥). السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦).
الثامنة: قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧).
التاسعة: اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨).

قوله يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير فاتها في اليوم واليلة للنسائي من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين والطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف.

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحبك وصحبه من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولابي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمستغفر في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفر في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحنة القبر واستجلب به الثنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب البنين وابن حبان وك وصحبه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي على آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد النافقي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وهكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأتم لهم صالح الأعمال سقى الأحوال ونهى لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشفت برتبة في الإيمان غير ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات

العاشر : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرها واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمين الرسول وشهد الله^(٥) وقل اللهم مالك للآيتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسي كان بتلك الميزة وقال حسن غريب ولا بن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيما يقال عند الفرع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة الحمد من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في الملك الذي نزل إلى الأرض وقال للنبي ﷺ أجبني نورين أو تيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم يقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا النضر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث وخ من حديث أبي هريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة وجهى الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا إله قد صدقتك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله الإسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده ودية جىء به يوم القيامة قبيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن الخطاب روى الأباطيل قاله ابن عدى وسبأى حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفرى في الدعوات من حديث على بن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهما وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن عمير وفي ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقال موضوع لأصل له والحارث يروى عن الآيات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تعليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يتعاهدونها فحرروا
لنفوسهم اصطلاحات
تشير إلى معان يعرفونها
وتعرب عن أحوال
يحدونها فأخذ ذلك
الحلف عن السلف حتى
صار ذلك رصما مستمرا
وخبرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسموا به وسموا به
فلاسم صميمهم والعلم بالله
صفتهم والعبادة حلينهم
والتقوى شمارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم، نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباب النيرة وقطان
ديار الحسيرة لهم مع
الساعات من إمداد
فضل الله مزيد ولهب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
أحشرنا في زمرةهم
وارزقنا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف وللشبه به]
أخبرنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب

وقوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - إلى آخرها (١) وقوله سبحانه الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - (٢) الآية وخمس آيات من أول الحديد (٣) وثلاث من آخر سورة الحشر (٤) وإن قرأ السبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز أقبل مني هذه الهدية لأنها نعمت الهدية فقلت يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أرفق زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشديا منا ولا أطيب ريحانة فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر قلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبائك في الله وعندى هدية أريد أن أهديك لك قلت ما هي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين وللمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لاتدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم (٥) فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا بقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءتته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة عمارآه في الجنة قال فسألت للملائكة

حديثا وفي آخره قل حسب الله إلى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هديما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (١) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجده فيه حديثا يخصها لكن في فضل سورة الفتح مارواه أبو الشيخ في كتاب من حديث أبي بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٢) حديث فضل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية كلها وإسناده ضعيف (٣) حديث فضل خمس آيات من أول الحديد ذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن من حديث علي إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرا خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله - عليم بذات الصدور - ومن آخر سورة الحشر من قوله - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا وتدعو بما تريد (٤) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل هذا بورقة ولبهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أوليته فقد أوجب الله له الجنة (٥) حديث كرز بن وبرة من أهل الشام عن إبراهيم التيمي أن الخضر علمه للسبعات العشرة وقال في آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته .

السهروردي إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور ابن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا محمد بن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الأصفهاني قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا للقمي بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين للسائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا آتي

قلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأنا
 النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين الشرق والغرب
 فلم علي وأخذ يدي قلت يا رسول الله الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر
 صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى
 في الأرض قلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما
 أعطيته فقال والقي بعثي بالحق نبيا إنه لا يعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه لا يفقر له جميع
 الكبار التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من
 السيئات إلى سنة والقي بعثي بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله
 شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلمطه كان بعده هذه الرؤيا فهذه وظيفة
 القراءة فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع
 لفضل الله كروا الفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة . وأما الأفكار فليكن
 ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكير من ربيع النجيات ولكن
 مجامعنا ترجع إلى فنيين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من العمالة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من قصيره
 ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر
 قصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي
 معاملته للسلبيين . الفن الثاني فيما ينفعه في علم الكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتوابع
 آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته وتقماته ليزيد معرفته
 بقدرة الاله واستغاثته ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكير فيها
 على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكير ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
 المبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
 والكشف . والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تكشف عظمة الله سبحانه
 وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته . وهما باب أفضاله فيحصل من الفكر للمعرفة ومن المعرفة التعظيم
 ومن التعظيم المحبة والله كرايا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى
 وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد
 جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفضاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
 على محبه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
 فيهما فليس محبته له كحبة المشاهد وليس الخبر كالمأينة فالباد الواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
 الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
 جملة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصرة
 الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من
 الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولانهاية لجمال حضرة الربوبية ولا حجبها وإنما عدد
 حجبها التي استحققت أن تسمى نورا وكاديظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
 صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره (١) »
 وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

أحب الله ورسوله
 فقال النبي عليه الصلاة
 والسلام: «المرء مع من
 أحب أو أنت مع
 من أحببت» قال
 أنس لما رأيت
 للسلبيين فرحوا بشي
 بعد الاسلام فرحهم
 بهذا فالتشبه بالصوفية
 ما اختار التشبه بهم
 دون غيرهم من
 الطوائف إلا لمحبه
 إياهم وهو مع قصيره
 عن القيام بمهام فيه
 يكون معهم لموضع
 إرادته ومحبه وقد
 ورد بلفظ آخر أوضح
 من الخبر الذي
 رويناه في النبي
 روى عبادة بن
 الصامت عن أبي ذر
 الغفاري قال: قلت
 يا رسول الله الرجل
 يحب القوم ولا
 يستطيع أن يعمل
 كهمهم قال « أنت
 يا أبا ذر مع من أحببت »
 قال قلت فاني أحب
 الله ورسوله. قال « فانك
 مع من أحببت » قال

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد .

في الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - أي أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أي وصل إلى حجاب من حجب النور فبرعنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام للضيئة فان أحاد العوام لا يغني عنهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرم فلما يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب للسماء أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه للعاني فاتها خارجة عن علم للعامة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له باب والتيسر على جمهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم للعامة وذلك أيضا مما تغزر خالدهته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة للريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجته والصوم هو الجنة التي تضيق مجارى الشيطان للعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (١) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلوصلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بعض ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح وصلى أربعا أو ستا أو ثمانيا إذا رمضت الفصل وضحت الأقدام بحرق الشمس فوق الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن باللحى والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والنبارات التي على وجه الأرض فاتها تمنح إشراقها الثام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل (٢) فلذلك تقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطول نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم «إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها» (٣) فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا براعى بالتقريب . الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الخيرات المتعلقة بالناس التي تجرت بها العادات بكرة من عبادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عندما في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصل طيب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عندما دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقتها تقدم في الصلاة .

فأعادها بوذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم « فحجة للتشبه لإمام لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون يجاذب الروح غير أن للتشبه عموق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاء شيء من صفات نفسه عليه للتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات للتطوع بها إن شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة فيها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية للسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والذكر والفكر . الورد الثالث : من ضحوة النهار إلى الزوال ونفى بالضحوة المتصف وماتله قليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فبها وقبل مضى صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالصر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كنزلة الصبر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تعرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فحفف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدير للميشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فينصع وحففة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أعغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة إلى زاد الآخرة أعد والتمتع بأدوم فاعتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، فقد قيل لا يوجد للؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يصمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدم الفقر ويأمرهم بالتحشاء فيصفون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يعدم منفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : القيولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن السحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل التفة وتحدث معهم فالتوم أحبه إذا كان لا يبيت نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في التوم الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله التوم وذلك إذا كان يرأى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالتأمل القاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يصحبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يقبض قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور السجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الأعمال وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت حقة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند إغراض الصيد عن بابه جدير بأن يركيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فان الليل وقت التفة بالنوم وهذا وقت التفة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبه وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فإذا كان قد توسأ قبل الزوال وحضر السجد لهما زالت الشمس وابتدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والتقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدره وقد أنكر قوم من أهل اللب كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدره ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خسه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان وللتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائر ما والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشفه علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به

وليس في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهما بتسليمة واحدة (١) وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار تقل بعض العلماء أنه يصلها بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة (٢) وهو الذي صحت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللذين أو أربعاً من الثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم يصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود أن يتبع القريضة بمثلاً من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت . الورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه المكوف في السجدة مشغلاً بالذكر والصلاة أو غفون الخير ويكون في انتظار الصلاة متذكراً لمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل للسجدة بين الظهر والعصر فيسمع للمسلمين دوياً كدوي النحل من التلاوة فإن كان يته أسلم له يته وأجمع لهما فالبيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يغتف الله عليها الضحك بغير عجب والآكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكان أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدرة الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتها للعباد وهو أحد الأصول التي ذكرها الله تعالى إذ قال - وثق يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن ينفل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي للذكر وفي قوله والعشي بالعشي والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر ثم صلى الفرض ويشغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رؤوس الشيطان وتصفر والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تحرب من الأرض بحيث يغطي نورها البارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه أنها فيها تفتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لي فيها عمل صالح . د . هـ من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى . د . هـ من حديث ابن عمر .

صاحب علم وجاه فوق ذلك صاحب إيمان حق لا يزال طريق الطلب مسلو كما فيكون في حال التدقيق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لني نسيم على الأرائك ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون - فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين والمقربين ذلك صرفاً فللمصوفي شراب صرف والمقصوف من ذلك مزج في شراهم وللتشبه مزج من شراب التصوف فالمصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى المصوفي كالزهد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما سبق

وهو للراد بقوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى - فسبح وأطراف النهار - قال الحسن كانوا أشد تعظيماً للمشي منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجمعون أول النهار للدينا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى سواستغفر لذنوبك وسبح بحمد ربك بالمشي والابكار والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله استغفر الله إنه كان غفارا استغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها . والليل إذا ينشئ . وللمؤذنين . ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الأذان قال اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويستغل بصلاة للفرب وبالفروب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمنه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال ^{عليه السلام} « لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا (١) » فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة قليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على تلافى ما سبق من تضييعه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يعلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضي لا محالة جعلتها باتقضاء آحادها (بيان أوراد الليل وهي خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى للفرب واشتغل بأحياء ما بين المشاءين فآخر هذا الورد عند غيوبة الشفق أغنى الحرة التي يغيبونها يدخل وقت الصلوة وقد أقسم الله تعالى به فقال - فلا أقسم بالشفق - والصلوة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى - ومن آناء الليل فسبح - وهي صلاة الأوابين . وهي المراد بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين المشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره (٢) » والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال الصلاة بين المشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال للصف أسنده ابن أبي الزناد [١] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء للثناء من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء الضبري عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين المشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين الفرب والمشاء والحديث عند حسن بلقظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى الصلوة .

[١] قول المراقى ابن أبي الزناد هي نسخة وقت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فلي تأمل .

عليه من وصفه فهو مجتهد في طريقه سائر إلى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبروا سبق للفردون » قيل من للفردون يا رسول الله ؟ قال للسهرة بذكر الله وضع الذكرك عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفي في مقام للفردين وللصوفي في مقام السائرين واصل في سيره إلى مقر القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه فالصوفي في مقام الروح صاحب مشاهدة والتصوف في مقام القلب صاحب مراقبة والتشبه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلويح الصوفي بوجود قلبه وتلويح للتصوف بوجود نفسه والتشبه لتلويح له لأن التلويح لأرباب الأحوال والتشبه مجتهد سالك

ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو لا يقرأ فيها قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعاً يطيلها ثم يصلى إلى غيوبة الشفق ما تيسر له وإن كان للسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه المكوف في السجد وإن عزم على المكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أي وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك ينسق الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل (١) والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يتقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فأخر الليل أفضل ثم يقرأ في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة (٢) فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك (٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل (٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية (٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وانه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل . من حديث عائشة لم يكن يوتر بأقل من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضاً ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثر فيه وحسب من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الغزنوي في فضائل القرآن من حديث علي ياطي أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللمحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيعتي هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وتقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل وتقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن ون في الكبرى من حديث عرابض بن شارية .

لم يصل بعد إلى الأحوال والكل يجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات - قال بعضهم الظالم الزاهد وللمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : الظالم صاحب الأقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأفعال القرينة المناسب

يجملونها سنا فيزيدون سبع اسم ربك الأملئ إذ في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبع اسم ربك الأملئ ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبع اسم ربك الأملئ ^(١) وقل يا أيها الكافرون والإخلاص ^(٢) فإذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات . الثالث الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادة القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان مضادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ^(٥) وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة آحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترًا بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت خففت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما نقص الوتر فقد صح فيه نهى فلا ينبغي أن ينقص ^(٦) وروى أنه مطلقا أنه ^(٧) قال لا وتران في ليلة ^(٨) ولما يتردد في استيقاظه تلتطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت وألهاكم ^(٩) لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرة وإفراد العبادة لله تعالى قيل إن استيقظ قامة مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ماضيا شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب الليثي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كاذب كرهه لكن ربما يخطر أنهما لو شفعا ماضيا لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافيا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم إتيانه قبلهما وإعادة الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفعا بصورتهم أو تر بمضاهيهما فيحسب وترًا إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالظلمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى أنه صلى الله عليه وسلم مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة ^(١٠) وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد ^(١١) » وذلك يدل على صحة النافذة نائما . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبع اسم ربك الأملئ أحمد والبخاري من حديث علي بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبع اسم ربك الأملئ وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث النهى عن نقص الوتر قال للصفصع فيه نهى قلت وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله حجة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث مامات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن النبي صلى الله عليه وسلم وتقل كان أكثر صلاته جالسا (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين

من حال الصوفي
والتصوف والتشبه
وكلمهم من أهل الفلاح
والنجاح بجميع دائرة
الاصطفاء وتؤلف بينهم
نسبة التخصيص بالمنع
والعطاء . أخبرنا
الشيخ العالم رضي
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسماعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو سعد
محمد بن أبي العباس
قال أنا القاضي محمد بن
سعيد قال أنا أبو اسحاق
أحمد بن محمد بن
إبراهيم قال أخبرني
الحسين بن محمد بن
فنجويه قال حدثنا
أحمد بن محمد بن رزمة
قال حدثنا يوسف بن
عاصم الرازي قال
حدثنا أبو أيوب سليمان
ابن داود قال حدثنا
حصين بن نمير عن أبي
ليل عن أخيه عن
أسامة بن زيد رضي
الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال
في قوله تعالى - فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم

في الأوراد فانه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل : إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله (١) وفي الخبر «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش (٢)» هذا في العوام فكيف بالخواص والطاء وأرباب القلوب الصافية فانهم يكشفون بالأسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونومه تسبيح (٣)» وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوق القرآن فيه نغولا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقمه منك (٤) .

وآداب النوم عشرة : الأولى الطهارة والسواك . قال عليه السلام «إذا نام العبد على طهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فذلك للنامات أضغاث أحلام لا تصدق (٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي للزورة في انكشاف حجب الغيب . الثاني أن ينع عند رأسه سواكه وطهوره . وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكما تنبه يستاك كذلك كان يغمه بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها (٦)» وإن لم تيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته . فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام «من آتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (٧)» . الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض في النوم فان مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا للسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم . الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من أجل العقب والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالمتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير . سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الحرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الحرقة ثم احضر حتى ألبسك الحرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الحرقة وما يجب من رطابة حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الحرقة وجبن

(١) حديث قيل إنه إذا نام على طهارة ذكر الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (٢) . حديث إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي الترداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري الأوسط من حديث علي مامن عبد ولا أمة تام فتقل نوما إلا عرج بروحه إلى العرش فالتى لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والتي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة ونومه تسبيح قلت للمروفي فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل ؟ قال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأخوق القرآن نغولا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في قومي فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقمه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولا قوله معاذ أقمه منك وإنما زاد فيه طبري فكان معاذ أفضل منه (٥) حديث إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٦) حديث أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم في الطهارة (٧) حديث من آتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له مانوى وكان نومه صدقة من الله عليه

« من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم (١) » . الخامس أن لا ينعلم بتمهيد
الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفا وكان أهل
الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليه نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم
وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام ما لم يخله النوم ولا يتكاف
استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة
ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجمون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري
ما يقول فليمن حتى يقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر « لا تكابدوا الليل (٢) »
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل قهبي عن ذلك وقال
ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد (٣) » وقال عليه السلام « تكلفوا من العمل ما تطيقون
فإن الله لن يعمل حتى تعلموا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أسره (٥) » وقيل له صلى الله عليه
وسلم « إن فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يظطر فقال لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها
فليس مني (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يظله فلا تبغض إلى
تفك عبادته الله (٧) » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المختصر
وهو المستلق على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على
جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسما
ربي وضمت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات (٨) ويستحب
أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى - وإلهم إله واحد لا إله إلا
هو - إلى قوله - لقوم يعقلون - قال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينمه وقرأ من سورة
الأعراف هذه الآية - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام - إلى قوله قريب من الحسين -

ن ه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينوى ظم أحد ولا يحقد
على أحد غفر له ما اجترم ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يجهنم بظلم أحد غفر له
ما اجترم وسنده ضعيف (٢) حديث لا تكابدوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفیان الثوري موقوفا على ابن مسعود لا تقابلوا هذا الليل .
(٣) حديث قبله إن فلانة تصلي فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل قهبي عن ذلك الحديث متفق عليه
من حديث أنس (٤) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يعمل حتى تعلموا متفق عليه
من حديث عائشة بلفظ اكلفوا (٥) حديث خير هذا الدين أسره أحمد من حديث مجتن
ابن الأدرع وتقدم في العلم (٦) حديث قبله إن فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكنني
أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو
دون قوله هذه سنتي الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتي فليس مني وهي متفق عليها
من حديث أنس (٧) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يظله ولا تبغض إلى تفك
عبادة الله الخ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وللبهي من
حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى تفك عبادته الله ولا يصح إسناده .
(٨) حديث الدعاء للمأثورة عند النوم باسمك اللهم رب وضمت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة
التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ
بما يجد عند الطالب
من قولي له فاستحضرني
وعاتبني على قولي له ذلك
وقال بعثه إليك حتى
تكلمه بما يزيد رغبته
في الحرقة فكلمته بما
قوت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح
وهو الذي يجب من
حقوق الحرقة ولكن
إذا أثرنا للتدني
بذلك نرى وعجز عن
القيام به فنحن نلبسه
الحرقة حتى يتشبه
بالقوم ويتزى بزيمهم
فيقر به ذلك من
مجالسهم ومحافلهم
ويكره محالطته معهم
ونظره إلى أحوال القوم
وسيرهم يحب أن يسلك
مسلكهم ويصل
بذلك إلى شيء من
أحوالهم ويوافق هذا
القول من الشيخ أحمد
القرافي ما أخبرنا شيخنا
رحمه الله قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصفار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي بن

وآخر بنى إسرائيل - قل ادعوا الله - الآيتين فإنه يدخل على سمائه ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المودتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآية للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة واليقظ نوع بث قال الله تعالى - الله يتوفى الأتقى حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي يتوفاكم بالليل - فهما توفيا وكما أن السيقظ تكشف لمشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك للموت يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة وللموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في اللوت فلا تنم فكما أنك تام كذلك تموت وإن كنت تشك في البث فلا تنبه فكما أنك تنبه بعد نومك فكذلك تبث بعد موتك وقال كعب الأحمري إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فاتها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلة ذلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك » (٢) الدعاء إلى آخره كذا ذكرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الطالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أوجب الدنيا ولينحقق أنه يتوفى على ما هو الطالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن للره مع من أحب ومع ما أحب . العاشر الدعاء عند التنبيه فليقل في تيقظاته وتقبلاته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » (٣) وليجهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلزم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الطالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فاتها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجبر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ . الورد الرابع : يدخل بعض النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للهجد فاسم التهجد يختص بما بعد المجهود والمجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الليل أصح فقال جوف الليل » (٤) وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهي

- (١) حديث قراءة للمودتين عند النوم بنفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحد على اليد وتهم من حديث حفصة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أي الليل أصح قال جوف الليل دت وصحه من حديث عمرو بن عبسة .

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لبت الفقير فلا تبدأ بالعلم وأبدأ بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه ويرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع بالبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رققا بالبتدى الطالب . حكى عن بعضهم أنه صجبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر للبتدى إليه والتأدب بأدبه والاعتناء به في عمله وهذا هو الفرق الذي مداخل في شيء إلا زانه فالمتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

إني أحب أن أتعبد لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادادود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخلوبك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل القادر»^(١) يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبارته إلى سماء الدنيا^(٢) وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسنته وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذواللكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق وقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنصور حق والنيبون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت^(٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها^(٤) اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت^(٥) أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء للمفقر القليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين^(٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل القادر أحمد وحب من حديث أبي ذر دون قوله القادر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسة .

(٢) (الأخبار الواردة في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن

في آخر الليل ونزول الجبار إلى سماء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال : قال داود يا جبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجريري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجرة وله من حديث أبي الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو مثله (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها شهدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلهته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء للضطر القليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة يخدم في الحج .

ومحاسبة . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر البسمة وللشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لأنه غير محال لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه بمنزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق بهم جلسهم وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال ثنا إبراهيم بن محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) » ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما وأسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل (٥) » وأكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال - وبالأصباح يستخفرون - قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبو برداء رضي الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو البرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له ثم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان ثم الآن قفاما فصلح فقال إن لنفسك عليك حقا وإن لنبيك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي البرداء أخبرت سلمان أنه لاينام الليل قال فأتيا النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السجود وذلك عند خروجه من الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو للراد بقوله تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - عهد الله أنه لا إله إلا هو وللأمة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما عهد الله به لنفسه وعهدت به لملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديمة وأساه حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احفظ عني بها وزرا واجعل لي عنك ذخرا واحفظها لي وتوفني عليها حتى ألقاها بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستمعون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وعهود جازة في الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدرج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا البرداء فلما كان الليل ذهب أبو البرداء ليقوم فقال له سلمان ثم فنام الحديث وفي آخره فقال صدق سلمان يخ من حديث أبي جيفة .

الشافعي قال تناطى بن أحمد قال تناطى بن علي القدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن عامر قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فإذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلمسوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى هنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي ؟ قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول وكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أهدي تسبيحا وتمجيذا وتمجيذا فيقول

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له (١) » وفي رواية دخل الجنة فانفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقض اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » (٢) ولقوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة » (٣) ودفعت مائشة رضى الله عنها إلى سائل عنية واحدة فأخذها فظن من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لما قبل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك مأسأله أحد شيئا قال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت (٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى للفصل وفي جسده ثلثائة وستون مفصلا فأمر ك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسييح والتهيل ثم قال بوركتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمع من لك ذلك كله (٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن المراد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه إما طاب دواها عالم وإما متعلم وإما وال وإما معترف وإماما وخدم مستغرق بالواحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أورادها ما ذكرناه ، نعم لا يمتد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسيجات فقد كان في الصحابة رضى الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثائة ركعة إلى ستائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم واليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اليلة في التفكير في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقبلا بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تسر الواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتخليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملاحة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لا أكثر الخلق توزيع هذه الخبرات المختلفة على الأوقات كاسبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبص المعنى فان سمع تسيحة مثلا وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسييح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسييح منذ خلقت

- (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمع في امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم في الزكاة (٤) حديث مأسأله أحد شيئا قال لا إن لم يقدر عليه سكت من حديث جابر والبرار من حديث أنس أو بسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م من حديث أبي ذر .

ما يسألونني ؟ قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوزون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوزا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فمنهم فلان ليس منهم إنما جاء حاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى جلسهم فلا يشقى جلس الصوفية واللتشبه بهم والحب لهم .

[الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله] قال بعضهم اللامق هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضر شرا وشرح هذا هو أن اللامق تشربت عروقه طم الإخلاص وتحقق

قلت لما اسمك قال بها يا نيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم تمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان للنان سبحان الله للصبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المرید ووجد له في قلبه وقفا فيلازمه وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينفع الناس بعلمه في قنوى أو تدريس أو تصنيف ترتيبه الأوراد بخلاف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لاحالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد للكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعليم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم للواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها للتعليم فيصلح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وإنما نفي بالعلم للتقديم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويترحم في الدنيا أو العلم الذي يبينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تطهروا على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأول بعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهوم الدنيا يبين على النطق للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقتا كل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يغلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : للتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتطبيق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعليم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متملا على معنى أنه يخلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رجلا من الجنه فارتعوا فيها

(١) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل القدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت علي بن سعيد وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأله عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحصاف وسأله عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زيد عن

فقبل بأمر رسول الله وما رياض الجنة قال خلق الله (١) وقال كسب الأجبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق طي وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهد مسكينة الطفافية في المنام وكانت من اللواظبات على خلق الله ذكر فقال مرحبا بامسكينة فقالت هيهات هيهات للسكنة وجاء الفنى فقال هيه فقالت ما السأل عمن أيسح لها الجنة بهذا فبرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر ، وعلى الجملة لما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأرفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسيبجات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فإنه لا يجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصديق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات التمدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر . الخامس الوالى مثل الامام والقاضى وللتولى لينظر فى أمور المسلمين ققيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة لحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعل إذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيقت المسلمين ولو نمت بالليل ضيقت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أحران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفصل المروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه . السادس : للوحد للستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهو مومم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يفرح سمهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لأمم إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهو لاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرون - ففروا إلى الله وعفوق فيهم قوله تعالى - وإذا اعتزلتموهم وما يبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة بقوله - إني ذاهب إلى ربى سيدين - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والواظبة عليها دهر طويلا فلا ينبغى أن يفتقر الريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم .

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
« سألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعته قلب من
أحببت من عبادى »
فاللامتية لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكنمها حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصي
من ظهور معصيته
فاللامتى عظم وقع
الاخلاص وموضعه
وتمسك به معتدا به
والصولى قاب فى

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا ترعبه هواجم الأهوال ولا تستغزه عظام الأشغال وآتي ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتمتع على الكفاية ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفي الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذا الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصواب - أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يتفاوتون في درجات القرب في أصله وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يبد غيره . والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس للداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر في المجموع فإذا لم يقب العمل الواحد أثره محسوسا ولم يردف ثبات وثالث على القرب انعمي الأثر الأول وكان كالتقية يريد أن يكون قلبه النفس فانه لا يصير قلبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته (٣) . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله (٤) » وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تدارك لما فاتته من ركعتين شغله عنهما الوفاء ثم لم يزل بعد ذلك يصلحها بعد العصر ولكن في منزله لافي المسجد كيلا يقتدى به (٥) روت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فإن قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ فاعلم أن اللعان الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه ببدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك وغيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين واللال كالألف في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية القيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهم دخل الجنة وقال الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبتته رواه م (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقتته الله وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغله الوفاء عن ركعتين فصلها بعد العصر ثم لم يزل يصلحها بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلحها ولا يصلحها في المسجد مخافة أن يشغل على أمته ، والله للوافق للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .
قال أبو يعقوب
السوسي متى شهدوا
في إخلاصهم الإخلاص
احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص وقال ذوالنون
ثلاث من علامات
الإخلاص استواء القلب
والسبح من العامة
ونسيان رؤية الأعمال
في الأعمال وترك
اقتضاء ثواب العمل في
الآخرة أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
إجازة قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت
أبا عثمان المغربي يقول:
الإخلاص مالا يكون
لنفس فيه حظ بحال
وهذا إخلاص العوام
وإخلاص الخواص
ما يجري عليهم لأبهم
فتبدو منهم الطاعات
وهم عنها بمنزلة ولا يقع
لهم عليها رؤية ولا بها
اعتداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحيائها
وفي فضيلة إحياء الليل وما بين المشاءين وكيفية قسمة الليل)
(فضيلة إحياء ما بين المشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة للغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتعربها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الراوي لأدري من ذهب أوفضة « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغفر له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكبر قصورنا يا رسول الله فقال الله أكثر وأفضل أو قال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم ركع ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله الله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت للحضر عليه السلام علفي شيئا أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب الميسرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصغار في كتاب الصلاة رواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده ضعيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ه بلفظ اثنتي عشرة سنة وضعفت وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأجار كادوله أبو الوليد الصغار ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وسنده ضعيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين في الجنة لم أجده أصلا من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذن تكبر قصورنا يا رسول الله الحديث ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلا (٥) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف

الخواص وهذا الذي
فصله الشيخ أبو عثمان
للغربي يفرق بين
الصوفي والملاحق لأن
للملاحق أخرج الخلق
عن عمله وحاله ولكن
أنبت نفسه فهو مخلص
والصوفي أخرج نفسه
عن عمله وحاله كما
أخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلص
الحال والمخلص قال
أبو بكر الزقاق نقصان
كل مخلص في إخلاصه
رؤية إخلاصه فإذا
أراد الله أن يخلص
إخلاصه أسقط عن
إخلاصه رؤيته
لإخلاصه فيكون مخلصا
لا مخلصا قال أبو سعيد
الحراز رياء العارفين
أفضل من إخلاص
الريدين ومعنى قوله
إن إخلاص للريدين
مطلوب برؤية الإخلاص
والعارف منزّه عن
الرياء الذي يطل

قال إذا صليت المغرب قم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تسلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحداً وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم إذا الجلال والإكرام بالله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم قم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا فقال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بحضور من فعلته ممن علمه إياه (١) ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من دأوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين (٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتسنى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالهار وأحي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما

(فضيلة قيام الليل)

أما من الآيات قوله تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - أمن هو قانت آناء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس - ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يقعد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح شيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٤) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الحضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الحضر عن ممات هذا قال إني حضرت محمداً صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لا أصل له (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

العمل ولكن له يظهر شيئاً من حاله وعمله يعلم كامل عنده فيه لجذب مرید أو معاناة خلق من أخلاق النفس في إظهار الحال والعمل وللمارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس رياء إنما هو صريح العلم بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه . قال رويم :

الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من للكين . وقال بعضهم صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق واللامتنع يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف إخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لا بد لكل مخلص من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنده رجل بنام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ^(١) »
وفي الخبر « إن للشيطان سموطا ولموقا وذرورا فإذا أسقط العبد ساء خلقه وإذا ألغقه ذرب لسانه
بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتان يركعهما العبد في جوف
الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم ^(٣) » وفي الصحيح عن جابر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا
أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الغيرة بن
شعبة قام رسول الله ﷺ حتى غطرت قدماءه قيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ^(٤) ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن
الشكر سبب المزيد قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة أتريد أن
تكون راحة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة
صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا ^(٥) » وقال صلى الله
عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب
ومطرقة للهاء عن الجسد ومنهية عن الإثم ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ تكون له
صلاة بالليل فقلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر « لو أردت سفرا أعدت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أبا ذر بما ينفعك
ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة
القبور ورحمة لظلمة الأمور وتصديق صدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها ^(٨) »

(١) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث
ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سموطا ولموقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس إن للشيطان
لموقا وكلا فإذا لقي الإنسان من لموقه ذرب لسانه بالشر وإذا كله من كله نامت عيناه عن الذكر
ورواه البزار من حديث حمزة بن جندب وسندهما ضعيف (٣) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف
الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم آدم بن أبي إياس في الثواب
ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي
في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث للغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى غطرت قدماءه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا أبا هريرة أتريد أن تكون راحة الله عليك
حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن
نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم
بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب
وهو من حديث أبي أمامة بسند حسن وقالت إنه أصح (٧) حديث ما من امرئ يكون له صلاة
بالليل ينل به عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه
رجل لم يسم صاه ن في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوى
ورواه ن ه من حديث أبي البرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال
لأبي ذر لو أردت سفرا أعدت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبتك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك
اليوم قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة
القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن عجله مرسلًا والسري ضعفه الأزدي.

إخلاصه وهو نقصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الحلي سألت
أبا القاسم الجنيدي رحمه
الله قلت أيقن الإخلاص
والصدق فرق ؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بعد الدخول في
العمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الإخلاص ومخالصة
كائنة في المخالصة فعل
هذا الإخلاص حال
اللامق ومخالصة
الإخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكائنة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو فناء
العبد عن رسومه
برؤية قيامه بقيومه
بل غيبته عن رؤية

وروي « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني فأثابه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يابث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة^(١) » وروي « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من حواري فوعزني وجلالي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد السوح . » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضج في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبت نضجت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الأكرمين الله كثيرا والذاكرات^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل^(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل^(٧) » . الآثار روى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد للريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا انطجع على فراشه تنقل عليه كما تنقل الحبة على القلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له ما بال المهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره شهد له فراش فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فأذنوني الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ، ابن جبان من حديث أبي هريرة (٤) حديث رحمه الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د خب من حديث أبي هريرة (٥) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الأكرمين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (٦) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبي هريرة (٧) حديث عمر من نام عن حربه أو عن شيء منه قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه م .

قيامه وهو الاستغراق في العيون عن الآثار والتخلص عن لوث الاستئثار وهو قد حال الصوفي واللامق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين اللامق والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشهر بهذا الاسم وقلنا يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامية استدعى إلى مماع فامتنع قليل له في ذلك فقال لأنى إن حضرت بظهر طي وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالى . وقيل إن أحمد بن أبي الحواري

حتى فاته ورده انحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنّ عليه الليل يأتي فرائضه فيمر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيروني طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليزنّب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لاتصص الله تعالى بالنهار ولا تنم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا للكتابة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعني من قوم لا يصلون إلا للكتابة ردني فردها وقال الربيع بن خثيم في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجوزية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر لما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحكي نصف الليل فرّ يقوم فقالوا إن هذا يحكي الليل كله فقال إنى أستحي أن أوصف بما لا أفضل فكان جد ذلك يحكي الليل كله ويروي أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - أم حسب الذين اجتروا السبائب أن نجعلهم كالدّين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الفيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته الخبرة فجعل يقول اللهم حرم شيعة مالك على النار إلهي قد علمت ما كن الجنة من ما كن النار فأرى الرجلين مالك وأبي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أحسن تقرأ فقلت نعم فدفت إلى الرقعة فاذا فيها :

ألهتك اللذائد والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش محلدا لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجّد بالقرآن

وقيل حج مسروق لما بات ليلة إلا ساجدا ويروي عن أزهر بن ميث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني تنسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت ومأمرك قالت طول التهجد . وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائته من لؤلؤ وصنصنه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم القاعون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المجتهدون فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم المصلون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقيم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت ربّ العزة في النوم فسمعته يقول وعزّي وجلالي لأكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي القدادة بوضوء المشاء أربعين سنة ويقال كان منهبه

قال لأبي سليمان
الداراني إنى إذا كنت
في الخلوة أجد لحامتي
لئلا أجسدها بين
الناس فقال له إنك
إذا لضعيف فلامتق
وإن كان متمسكا
بعمرة الإخلاص
مستغفرا بساط الصدق
وليكن بقى عليه بقية
رؤية الخلق وما أحسنها
من بقية تحقق
الإخلاص والصدق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرفي العمل
والترك للخلق وعزلهم
بالكلية ورآهم بين
القضاء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله - كل
شيء هالك إلا وجهه -
كما قال بعضهم في بعض
غلباته ليس في الدارين
غير الله وقد يكون
إخفاء للامتنان الحال على
وجبين أحد الوجبين
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقاً النبي لا ينتظر بقيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه اليسرة له ظاهر أو باطناً . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على اللاندة كل ليلة ويقول معاشر المريدن لائناً كلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتعسروا عنداوت كثيراً وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضاً مجلبة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانهاسنة للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يختب الأوزار بالنهار فان ذلك يحايي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد إنني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لطمهم ولعومهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقبلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قبل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلاً يسكني قفلة في قفلة هذا مرأه وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبره وهويكي قفلة أذاك نسي بعض أهلك فقال أشد قفلة وجمع يؤلمك قال أشد قفلة فذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تغتو أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجناية بعد وقال بعض العلماء إذا صمت يامسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فان البعد ليا كل أكلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر القسمة الحال في تصفية القلب وتحريره إلى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان البعد ليا كل أكلة أو فخل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانيين كنت سجانياً نيفاً وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تماطى الفحشاء والمنكر .

(وأما اليسرات الباطنة فأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحق على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق فيهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال : يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضاً فنامم
الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم المابدين وكما حكى أن غلاماً بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيده إن قيامك بالليل يضر بملكك بالنهار فقال إن صيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لعلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم .

والصدق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بحبوه بكرة اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبه وهذا وإن علا في طريق الصوفي علة وقص فعل هذا بتقدم اللامق على التصوف ويتأخر عن الصوفي وقبل إن من أصول السلامية أن

منع القرآن بوعده ووعيده مقل الميون بليها أن تهجوا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فراقهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا :

يا طول الرقاد والنفلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن زلت إليه لرقادا يطول بعد اللغات
ومهادا مهادا لك فيه بذنوب هملت أو حسنت
أأمنت الليات من ملك للو ت وكم قال آمنة ييات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كأبدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذا صبح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
الشاهدة وإذا صبح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الهيبة وإذا
صبح ذكر القلب قر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه
فيهيجبه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته
فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يرزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا
نتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول
الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله
وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله تعالى أحب لاهالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة
فتحملة لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فاعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو الملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته
حتى لا يأتية النوم طول ليله . فان قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان
الجميل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع
في أمر آخر سواء وكان يتنعم باظهاره عليه وذكره بلسانه يسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده .
فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه
ويستكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه وكيف والموقف يسمع من
الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في
جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات . وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في
تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيت قط يربى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان
مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين
حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال علي بن بكار منذ أربعين
سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم أله من أهل اللهو
في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التماس في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم . وقال ابن المنذر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتقطين فيملؤها أنواراً فتد الفوائد على قلوبهم فتستبصر ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين ، وقال بعض العلماء من القدماء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبوني ويشاقون إليّ وأشتاق إليهم وينذكرونني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كما يرعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنم الليل واختلط الظلام وخلل كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليّ يا ناعمي فبين صارخ وبأكي ، وبين متأوه وشاكي ، بيني ما يتحملون من أجلى وبسمى ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه ، وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة ، وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب النقيضة وتغطي القلوب النائمة فعرض لتلك النفحات فقال ياسيدي تركتني لأنام بالليل ولا بالتهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » وذلك كل ليلة « ومطلوب القائلين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا للنوم إلى التهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء . حكى أبو طالب الليثي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد السكياني وطاوس ووهيب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وطى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو حاتم الباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
اللسان على الله كرو ذلك
ذكر العادة وليس كل
واحد من هذه الأذكار
عندهم آفة فآفة ذكر
الروح اطلاع السر عليه
وآفة ذكر السر اطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتعظيمه
أو طلب ثوابه أو ظن أنه
يصل إلى شيء من
للقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهس بن النبال وكان يحتم في الشهر تسعين ختمه ومالم يفهمه رجع وقرأ مرة أخرى وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكدر في جماعة يكثر عددهم . المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد اللواظين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . للرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب الناس بالعداء وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلت صفة وجهه وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة (١) » وقالت أيضاً رضي الله عنها « ما ألقىته بعد السحر إلا نائماً (٢) » حتى قال بعض السلف هذه الضجة قبل الصبح سنة منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة وللشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم . المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسة وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يظلم النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة من حديث عائشة كان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله ، ولأبي داود كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصل ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بالفظ : كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إذا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما ألقىته السحر الأعلى إلا نائماً متفق عليه بالفظ ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا نائماً لم يقل غ الأعلى وقال ما كنت ألقى أوالقي النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا وهو نائم عندي (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن يظلم النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان دت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، والبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصل أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطة الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا
الأصل الذي بنوا عليه
أن ذكر الروح ذكر
الذات وذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم
وذكر القلب من الآلاء
والنعماء ذكر أثر
الصفات وذكر
النفس متمركز
للعلات فمضى قولهم
اطلاع السر على الروح
يشيرون إلى التحقق
بالقضاء عند ذكر
الذات وذكر الحلية

يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في
 للوضعين من سورة الزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى
 من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب
 من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
 يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعني الديك وهذا يكون السدس لما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت
 صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق
 فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إنك لا تخلف العباد ثم استل من فراشه سواً كافاستاك به
 وتوضاً وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال
 ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة (٣) . المرتبة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع
 ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء
 فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤)
 فهذه طرق القسمة فليختر للريد لنفسه ما يراه أبسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل
 فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر
 فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار
 فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى
 القدر فليس يجرى أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه
 في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والأيام الفاضلة)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث
 وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء الحديث ولأن داود قام حتى إذا
 ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل .
 (٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا
 ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف العباد ثم استل من فراشه سواً كافاستاك وتوضاً
 وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأرقيبن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية
 اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأرقم بن سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث
 وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل
 ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربعه فواق حلب
 ناقة فواق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسل لا بد من صلاة الليل
 ولو حلب ناقة أو حلب شاة .

في ذلك الوقت ذكر
 الصفات مشعر بنصيب
 الهيبة وهو وجود
 الهيبة ووجود الهيبة
 يستدعي وجوده وبقية
 وذلك يناقض حال
 الفناء وهكذا ذكر
 السروجودية وهو
 ذكر الصفات مشعر
 بنصيب القرب وذكر
 القلب الذي هو ذكر
 الآلاء والنعماء مشعر
 يمدد لأنه اشتغال
 بذكر النعمة وذهول
 عن المنعم والاشتغال

لا ينبغي أن يغفل المرء عنها فأنها مواسم الحيرات ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومق غفل المرء عن فضائل الأوقات لم ينجح فسته من هذه اليالي في شهر رمضان: خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الآخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة للمعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم «للعامل من هذه الليلة حسنة مائة سنة» (١) فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة الميدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي الميدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا » (٣) وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم الميدين . والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به الميدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثني عشر فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

برؤية المطاء عن
رؤية المظلي ضرب
من بعد للنزلة
واطلاع النفس نظرا
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أهل
من بعض ، والله أعلم .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من أحيا ليلتي الميدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي أهبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل اليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم في الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بمجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، ويتلوه : الجزء الثاني)

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢ (الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات الناظرة والجدل وشروط إباحتها)	مقدمة
٤٣ بيان التلبس في تشبيه هذه الناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى	ترجمة الامام الغزالي
٤٥ بيان آفات الناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	٢ خطبة الكتاب
٤٩ (الباب الخامس في آداب التعلم والعلم أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل)	٥ (كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)
٥٥ بيان وظائف المرشد المعلم	(الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم)
٥٨ (الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)	وشواهد من النقل والعقل
٨٢ (الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وتقسامه)	٥ فضيلة العلم
٨٢ بيان شرف العقل	٩ فضيلة التعلم
٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه	١٠ فضيلة التعليم
٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل	١٣ في الشواهد العقلية
٨٩ (كتاب قواعد العقائد)	١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود والذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفق من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة)
وفي أربعة فصول	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة الخ	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٢٩ (الباب الثالث فيما بعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر للذموم منها)
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة	٢٩ بيان علة ذم العلم المذموم
	٣٢ بيان ما يدل من ألفاظ العلوم
	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صفحة	صفحة
١٣٤ قضية الوضوء	١٠٤ فأما الركن الأول من أركان الإيمان في
١٣٥ كيفية القفل	معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله
١٣٥ كيفية التجم	تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٣٦ القسم الثالث في النظافة والتطيف عن	١٠٨ الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى
التضلات الظاهرة وهي نوعان : أوساخ	ومداره على عشرة أصول
وأجزاء	١١٠ الركن الثالث السلم بأفعال الله تعالى
١٣٦ التسوع الأول الأوساخ والرطوبات	ومداره على عشرة أصول
للترسعة وهي ثمانية	١١٣ الركن الرابع في السميات وتصديقه
١٣٩ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من	صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره
الأجزاء وهي ثمانية	على عشرة أصول
١٤٥ (كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)	١١٥ الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما
وفيه سبعة أبواب	بينهما من الاتصال والاتصال وما يتطرق
١٤٥ (الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود	إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء
والجماعة والأذان وغيرها)	السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
قضية الأذان	١١٥ مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان
١٤٦ قضية للكتوبة	أو غيره الخ
١٤٧ قضية إتمام الأركان	١١٩ مسألة فإن قلت قد اتفق السلف على
١٤٨ قضية الجماعة	أن الإيمان يزيد وينقص الخ
١٤٩ قضية السجود	١٢١ مسألة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا
قضية الحشوع	مؤمن إن شاء الخ
١٥١ قضية للسجد وموضع الصلاة	١٢٤ (كتاب أسرار الطهارة)
١٥٢ (الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة	وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
من الصلاة والبدانة بالكبير وما قبله)	١٢٧ القسم الأول في طهارة الجث والنظر
١٥٤ القراءة	فيتره يتعلق بالزك والزال به والازالة
الركوع ولواحه	١٢٧ الطرف الأول في للزال
السجود	١٢٨ الطرف الثاني في للزال به
١٥٥ التشهد	١٢٩ الطرف الثالث في كيفية الازالة
١٥٦ التيات	١٣٠ القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها
١٥٨ تميز القرائن والسنن	الوضوء والتسل والتيم وتقدمها
١٥٩ (الباب الثالث في الشروط الباطنة من	الاستجاء
أعمال القلب الخ)	١٣٠ (باب آداب قضاء الحاجة)
١٥٩ بيان لفراط الحشوع وحضور القلب	١٣١ كيفية الاستجاء
	١٣١ كيفية الوضوء

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان للماني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة النعم	١٦٣ بيان للمواني النافع في حضور القلب
٢١١ النوع الثاني زكاة للخصرات	١٦٥ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة التقدين	١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع في الإلمة والقنوة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاز والعدن	١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجملة وآدابها وستيا وشروطها)
النوع السادس في صدقة القطر	١٧٨ فضيلة الجملة
الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجملة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٠ وأما السن الخ
الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي هي مراد طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجملة على ترتيب العادة وهي عشر جل
٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأداء	١٨٥ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع التهار وهي سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإسرار	١٨٩ (الباب السادس في مسائل متفرقة تتم بها البلوغ ويحتاج للرد إلى مرقها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترضيا للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع في النواقل من الصلوات وفي أدربة أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يفسد صدقته بالبن والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستنصر الطبية	١٩٨ القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الأيام والأسابيع
٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتقن من ماله أجوده وأحبه إليه وأجه وأطيه	٢٠١ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو بالصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من النواقل ما يتعلق بأسباب مازنة ولا يتعلق بالمواقف وهي ثمة
٢٢١ الفصل الثالث في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه	٢٠٥ (كتاب أسرار الزكاة)
٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق	وفيه أربعة فصول
٢٢٣ بيان وظائف القابض	
٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها	
٢٢٧ بيان فضيلة الصدقة	
٢٢٧ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة	

صفحة	صفحة
٢٥٦	٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
الوقوف من البيت والرمي والنحر	وفيه ثلاثة فصول
والخلق والطواف	٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن
٢٥٨	الظاهرة والأوازم بإفساده
إلى طواف الوداع	أما الواجبات الظاهرة فسته
٢٥٩	٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
الجملة التاسعة في طواف الوداع	٢٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها	وشروطه الباطنة
٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر	٢٣٧ الفصل الثالث في التطوع بالصيام
٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال	وترتيب الأوراد فيه
الباطنة)	٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
بيان دقائق الآداب وهي عشرة	وفيه ثلاثة أبواب :
٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص	(الباب الأول وفيه فصلان)
في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد	الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة
الشريعة وكيفية الافتكاح فيها والتذكر	البيت ومكة وللمدينة حرسهما الله تعالى
لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره	وشد الرحال إلى المساجد
٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)	٢٤٠ فضيلة الحج
وفيه أربعة أبواب :	٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفقة
٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله	٢٤٤ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
وذم القصرين في تلاوته)	فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد
٢٧٣ فضيلة القرآن	٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج
٢٧٥ في ذم تلاوة الغافلين	وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته
٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة	٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة
وهي عشرة)	من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة جمل
٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في	٢٤٧ الجملة الأولى في السير من أول الخروج
التلاوة وهي عشرة)	إلى الإحرام وهي ثمانية
٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره	٢٤٨ الجملة الثانية في آداب الإحرام من
بالرأى من غير نقل)	اليقات إلى دخول مكة وهي خمسة
٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)	٢٥٠ الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى
وفيه خمسة أبواب :	الطواف وهي ستة
٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وفهمته	٢٥١ الجملة الرابعة في الطواف الح
على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار	٢٥٣ الجملة الخامسة في السعي
والآثار)	٢٥٤ الجملة السادسة في الوقوف وما قبله
٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر	

صفحة	صفحة
٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محدوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب الليثي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)	٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة للأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار
٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)	٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل) وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابهان :	٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٣٤ (الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها)	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضيلة الأوراد ويان أن للواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ يان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣٤٥ يان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها للمرء صباحا ومساء وبغيب كل صلاة)
٣٥٣ يان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب للسيرة بقيام الليل وفي البالي التي يستحب إحيائها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشائرين وكيفية قسمة الليل)	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين العشائرين	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضيلة قيام الليل	٣١٨ دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه
٣٦٢ يان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٧٠ يان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي المرداء رضي الله عنه
٣٧٢ يان البالي والألهم القاضة	دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم
	٣١٩ دعاء الحضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة القلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن العنبر وهو سليمان التيمي ونسبته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه

فهرس

ما بهامش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١	٢ - ١ كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد	تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وغرد من العرقة قريبا الخ	٢ خطبة الكتاب
١٢٨ بيان أرباب للربة الثالثة وهو توحيد للقرينين	٤ للقدمة في عنوان الكتاب
١٤٤ بيان للربة الرابعة وهو توحيد الصديقين	٨ المقصد في فضل الكتاب وبعض الدافع والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطمع بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إنشاء سر الربوبية كفر وغير ذلك	١٦ (فصل) فيمن أتى على الإحياء من العلماء الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان للواضع التي استشكل فيها على الإحياء والجواب عنها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	٣٤ (خاتمة) في الإشارة إلى ترجمة الامام القزالي وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضى الله عنهم
١٦٩ (فصل) في معنى ولا يتخطى رقاب الصديقين	٥٥ - ٢ كتاب
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى	الإيماء في اشكالات الإحياء
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإمكان أبدع مما	خطبة الكتاب
صورة هذا العالم الخ	٦٠ ذكر مراسم الأئمة في الكل
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب القلاء للجمادات غير مستنكر	٦٥ مقدمة في الألفاظ المستعملة
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم الملك، وبين العلم الالهي في عالم الملكوت	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف والاستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة
١٨٧ (فصل) في حد عالم الملك	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأئمة
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتعيين فرقهم
١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للنبي عن التوحيد
الالهية سر لو انكشف بطلت النبوات، والنبوات سر لو انكشف لبطل العلم، والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت فما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر، والبحث حتى تعلموا، أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله الخ
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم المكتوبة في الطلب، وسلوك هذه القامات، ورفع هذه المراتب، واستنهاج هذه الخطابات	

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث في بيان قضية علوم الصوفية والإشارة إلى أممذج منها)	١٩٩ (فصل) لأي شيء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالتشابه من الألفاظ دون المحكمات
٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم)	٢٠٣ - ٣ (كتاب عوارف المعارف)
٣١١ (الباب الخامس في ماهية الصوف)	خطبة الكتاب
٢٥ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية)
٣٣٩ (الباب السابع في ذكر التصوف وللقب به)	٢٣٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)
٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله)	